

الرسائل الجامعية

مدينة بغداد في ظل الاحتلال البريطاني
(١٩١٧ _ ١٩٢١)

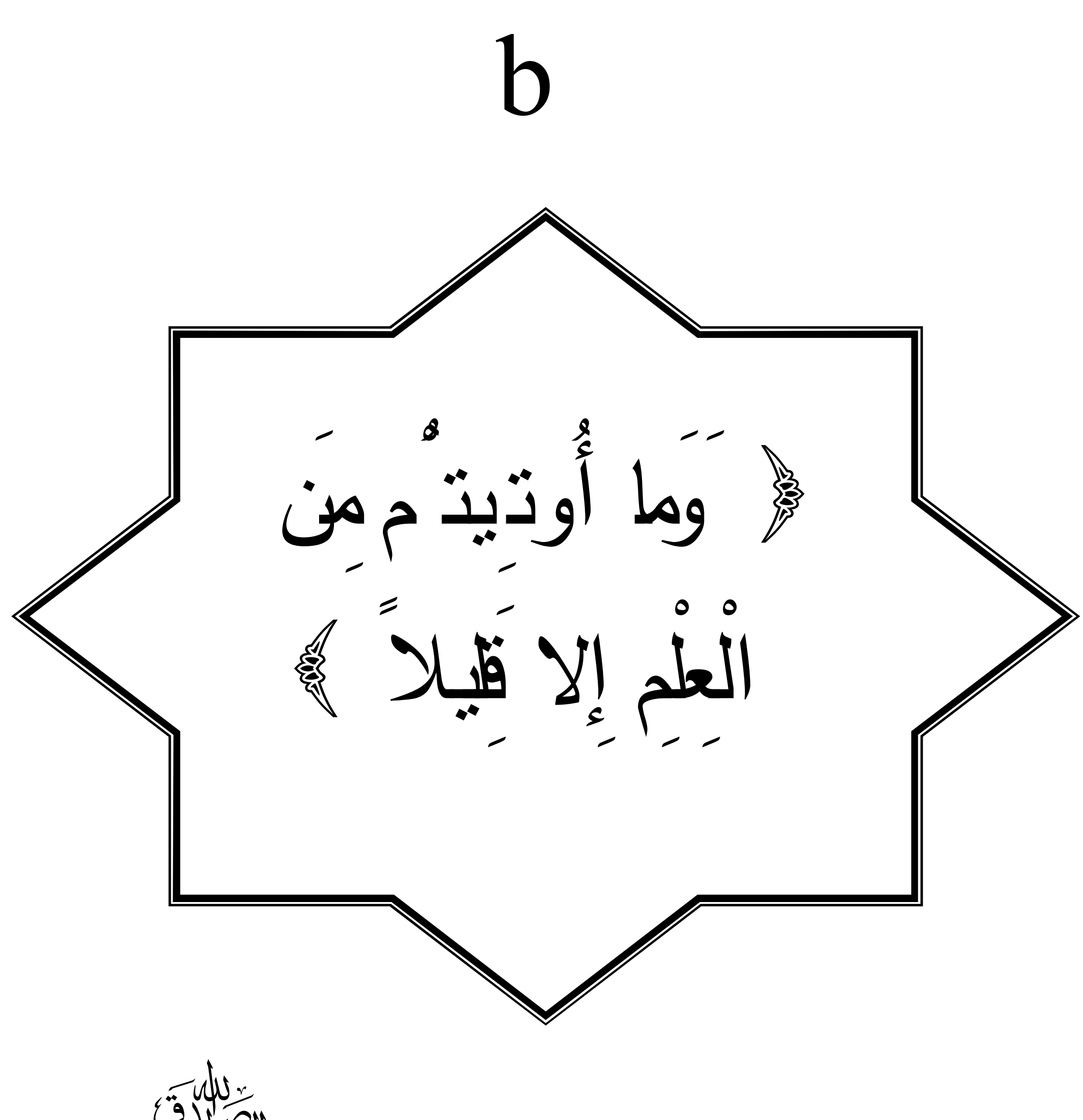
دراسة تاريخية

رسالة تقدم بها
أياد طارق خضير الدليمي

إلى مجلس كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير آداب في التاريخ الحديث

إشراف
الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عباس القيسي

١٤٢٣هـ
٢٠٠٢م



صدق الله العظيم

[سورة الإسراء : آية ٨٥]

الإهداء

إلـــى...

كل من أحب المصطفى ﷺ

وعمل بنـهجه القويم

الباحث

شكر وتقدير

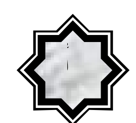
لا يسعني وأنا أنجز هذا البحث إلا أن أتقدم بشكري الجزيل ، وامتناني الكبير لأستاذي المشرف الدكتور عبد الوهاب عباس القيسي الذي كان لتوجيهاته السديدة وملاحظاته القيمة أكبر الأثر في أن تظهر الرسالة بشكلها الحالي .

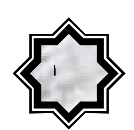
كما أرجو أن تفي كلمتا الشكر والتقدير ببعض الفضل الكبير الذي حملني إياه أساتذتي الأفاضل الذين درسوني في السنة التحضيرية وهم : الأستاذ الدكتور كمال مظهر والأستاذ الدكتور عماد عبد السلام ، والأستاذ الدكتور عبد الأمير هادي العكام ، والأستاذ الدكتور طارق الحمداني ، والأستاذ الدكتور يقظان سعدون العامر ، والدكتورة حنان الآلوسي . كذلك أتوجه بالشكر إلى السادة العاملين في المكتبات التالية : المكتبة الوطنية ، والمكتبة المركزية بجامعة بغداد ومكتبة المتحف العراقي ، والمكتبة المركزية لجامعة الأنبار ، ومكتبة كلية التربية للبنات جامعة الأنبار ، والمكتبة المركزية في الرمادي .

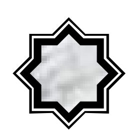
وختاما أشكر بكل اعتزاز كل من قدم لي المساعدة العلمية ممن لا يسع المجال إدراج اسمه ، ومن الله التوفيق .

الباحث


المحتويات







المختصرات المستعملة في هوامش الرسالة

د. ك. و – دار الكتب والوثائق .

د. ت – دون تاريخ .

ط – الطبعة .

ج – الجزء .

و – وثيقة .

مجلد – Vol.

المصدر نفسه Ibid .

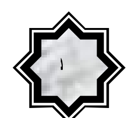
صفحة P .

المصدر أو المرجع السابق op . cit .

وثيقة D .

وزارة الخارجية البريطانية F. O .

وزارة الحرب البريطانية W. O .



الفصل الأول
الزحف البريطاني لاحتلال مدينة بغداد

الفصل الثاني
الإدارة البريطانية لمدينة بغداد
(١٩١٧-١٩٢١)

الفصل الثالث

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمدينة بغداد في ظل الاحتلال الريطاني (١٩١٧-١٩٢١)

الفصل الرابع

الحركة الوطنية في بغداد (١٩١٧-١٩٢١)

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى أله وصحبه أجمعين وبعد :

يتناول هذا البحث تاريخ مدينة بغداد في ظل الاحتلال البريطاني أثناء الحقبة الممتدة بين عامي ١٩١٧ و ١٩٢١ ، وهو محاولة لدراسة واقع الأوضاع العامة في بغداد في حقبة زمنية مهمة جداً من تاريخ العراق المعاصر شهدت انحسار الإدارة العثمانية في العراق وحلول الإدارة البريطانية محلها .

لقد ركز أكثر الباحثين في الكتابة عن مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق بشكل عام ، لذلك ارتأى الباحث دراسة تاريخ مدينة بغداد في هذه الحقبة كونها عاصمة العراق وقلبه النابض ، وأن الكتابة عنها مهم ، لأنها مدينة عريقة لها تاريخها وأمجادها وبيان دورها ضرورة كبيرة في البحث التاريخي . لقد كان يطرق سمع الباحث الدور الوطني لأهاليها ، كونها تمثل مركز تجمع النخبة والفئة المثقفة من المجتمع العراقي ، فرغب في دراسة الموضوع دراسة أكاديمية محاولا الوصول إلى الحقيقة التاريخية عن ذلك الدور بعيداً عن المبالغات والتحيز .

الواقع أن اختيار عام ١٩١٧ بداية لموضوع البحث يرجع أساسا إلى السنة التي دخلت فيها القوات البريطانية بغداد وبداية الاحتلال العسكري لها ، وما أعقب ذلك من تغييرات شاملة في أوضاع المدينة . أما توقف البحث عند العام ١٩٢١ فيرجع بالدرجة الأساس إلى تتويج الأمير فيصل بن الحسين ملكا على العراق (٢٣ آب ١٩٢١) بعد تأسيس الحكومة المؤقتة وما رافق ذلك من ظواهر إدارية جديدة اقترنت بداياتها الأولى بهذه المرحلة ، وتتمثل في تحويل الإدارة البريطانية للعراق من إدارة مباشرة إلى إدارة غير مباشرة .

ضم البحث بين دفتيه مقدمة ، وتمهيدا وأربعة فصول وخاتمة . تناول التمهيد توجه بريطانيا لاحتلال العراق ، وقد تطرق إلى التنافس الاستعماري في نهاية القرن

التاسع عشر ومطلع القرن العشرين للسيطرة على أراضي الشرق الأدنى ومنها العراق كما تطرق للأهمية الاستراتيجية لموقع العراق بالنسبة للمصالح البريطانية .

تناول الفصل الأول الزحف البريطاني لاحتلال مدينة بغداد وقد اتخذت بداية لذلك مرحلة ما بعد حصار الكوت حيث جرى التطرق إلى المعارك التمهيدية ، ثم معارك عبور نهر دجلة والمطاردة إلى بغداد ، ومن ثم سقوطها في ١١ آذار ١٩١٧ .

واستعرض الفصل الثاني الإدارة البريطانية لمدينة بغداد وشملت الإجراءات الإدارية البريطانية في المدينة لمساعدة القارئ في التعرف على حكومة بغداد العسكرية التي شكلتها سلطة الاحتلال منذ دخولها بغداد ، فضلا عن التعرف على أهم المؤسسات الإدارية كالمجلس البلدي والشرطة والقضاء والمواصلات .

وقد تتبع الفصل الثالث الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمدينة بغداد . فبالنسبة للأوضاع الاجتماعية تناول الموضوع بعض الخدمات الاجتماعية التي أقامها البريطانيون منها الصحة والتعليم وبعض الخدمات الثقافية ، أما الأوضاع الاقتصادية فقد شملت الضرائب والزراعة والصناعة ، والتجارة أثناء سنوات الاحتلال .

وبالنسبة للفصل الرابع من البحث فقد درس دور الحركة الوطنية في مدينة بغداد في مقاومة الاحتلال البريطاني وتطرق الفصل إلى المواضيع الآتية :
موقف بغداد من بدء الحملة البريطانية على العراق ، ووعود البريطانيين بشأن مستقبل العراق ، والاستفتاء العام ١٩١٨ – ١٩١٩ ، ودور سكان مدينة بغداد في ثورة العشرين ، إضافة إلى موقف بغداد من شكل الحكم .

أما بخصوص الخاتمة فقد احتوت على أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج واستنتاجات تولدت أثر تتبعه لسير الأوضاع العامة لمدينة بغداد خلال المدة المحصورة بين عام ١٩١٧ وعام ١٩٢١ .

اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية تأتي في مقدمتها الوثائق غير المنشورة والوثائق المنشورة . وبالنسبة للوثائق غير المنشورة

فإنها تشتمل على ملفات البلاط الملكي وملفات الاحتلال البريطاني وملفات وزارة الخارجية البريطاني .

أما أهم الوثائق المنشورة فهي التقارير البريطانية وأول وأهم هذه التقارير هو التقرير الإداري لولاية بغداد عام ١٩١٧ والذي حمل عنوان :

((Administration Report of the Baghdad wilayat , 1917))

أفاد هذا التقرير البحث وبشكل كبير لأنه ضم معلومات مهمة تتعلق بالإجراءات الإدارية البريطانية بعد دخول القوات المحتلة إلى مدينة بغداد . واحتوى التقرير على (٢١٦) صفحة وجل صفحاته تتحدث عن لواء بغداد . ومن التقارير المهمة التي حصل عليها الباحث التقرير السنوي لمقاطعة بغداد عام ١٩١٩ والذي حمل عنوان :

((Annual Report of Baghdad Division , 1919))

الذي أفاد البحث في التعرف على الإجراءات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية المتخذة في بغداد عام ١٩١٩ . وضم هذا التقرير على أكثر من ٨٠ صفحة .

كذلك اعتمد البحث على مجموعتين من البيانات الرسمية الصادرة عن قيادة قوة الاحتلال البريطاني ، الأول مترجم والثاني غير مترجم بعنوان :

((Compilation of proclamations , notification . E. T. C.))

وتضم البيانات والإعلانات والتعليمات الإدارية التي صدرت بين ١١ آذار ١٩١٧ و ٣٠ آب ١٩٢٠ أظهرت طبيعة الإدارة العسكرية من خلال الأوامر الصادرة والتعليمات المشددة التي تضمنتها هذه البيانات .

كما اعتمد البحث على عدد من الكتب الأجنبية ، ومنها كتاب ((MOBERLY)) بعنوان :

((The campaign in Mesopotamia 1914 – 1918))

وكتاب ((EDMUND CANDLER)) بعنوان :

((The long Road to Baghdad))

كما اعتمد على بعض الكتب المترجمة منها كتاب (فيليب إيرلاند) بعنوان : (العراق دراسة في تطوره السياسي) الذي يعد مهم جدا لاعتماده على الوثائق العراقية والبريطانية . واحتلت مؤلفات الموظفين البريطانيين في العراق مكانة متميزة بين مصادر البحث وفي مقدمتها كتاب السير ويلسون : (بلاد ما بين النهرين بين

ولائين) ، وكتابا (المس بيل) الأول : (فصول من تاريخ العراق القريب) والثاني : (العراق في رسائل المس بيل) ولهذه المصادر ذات الطابع الوثائقي أهمية خاصة ؛ لأنها تابعت بعض جوانب الإدارة لمدينة بغداد منذ بدء الاحتلال البريطاني كما أن مؤلفيها هما ممن أسهموا في وضع الترتيبات الإدارية وأديا دورا بارزا في مجمل التطورات والأحداث في العراق خلال مرحلة البحث ، وبالرغم من تميزهما الواضح ووجهة نظرهما المؤيدة للسياسة البريطانية وذلك لا يمنع من الاعتراف بأهمية ما كتباه عن العراق في تلك الحقبة .

اعتمد البحث أيضا على العديد من المصادر العراقية التي لا غنى عنها وفي مقدمتها كتب محمد مهدي البصير ، وعلي البزركان وكتب عبد الرزاق الحسني وغيرها واعتمد البحث أيضا على بعض الرسائل الجامعية والبحوث المنشورة في المجلات ، والتي عملت على تعزيز البحث .

كما واعتمد البحث على العديد من الصحف تأتي في مقدمتها (صدى الإسلام) التي غطت جانبا من الحقبة التي سبقت احتلال بغداد ، ومن الجرائد الأخرى هي (جريدة العرب) الرسمية التي كانت تصدرها سلطة الاحتلال والتي زودت البحث بمعلومات كثيرة ومهمة غطت جانبا مهما من الفصل الثاني والثالث والرابع ، كما استفاد البحث من (جريدة العراق والشرق ولسان العرب ودجلة والفلاح) إضافة إلى جريدة (الاستقلال) .

وجرى الاعتماد أيضا على عدد من المجلات يأتي في طليعتها مجلة (لغة العرب) ومجلة (آفاق عربية) و (المورد) .

ختاما يرجو الباحث أن يكون قد أسهم وبشكل متواضع في تقديم صورة واضحة عن واقع الأوضاع العامة لمدينة بغداد في ظل الاحتلال البريطاني بين عامي ١٩١٧ و ١٩٢١ .

كما أرجو أن يكون هذا الجهد متمما لما سبق من دراسات جادة تخص تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، وإسهامة متواضعة في الدراسات الرامية للكشف عن مطامع الدول الاستعمارية من خلال التعرف على أهدافها وأساليب عملها المختلفة .

آمل أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث ولا أدعي الكمال فيه ، وإن كان هناك نقص أو هفوة فالكمال لله وحده عليه نتوكل وبه نستعين ومنه العون والتوفيق .

تمهيد

توجه بريطانيا لاحتلال العراق

تعرض العراق إلى العديد من المطامع الأجنبية المتمثلة بالمطامع العثمانية والبريطانية ، بسبب موقعه الاستراتيجي المهم ، الذي يصل بالهند [١] ، فضلا عن وجود البترول في أرضه ومحاذاته للمدينة النفطية عبادان وكونه مجالا حيويا لإسكان عدد كبير من السكان الذين يفيضون عن قابلية الهند وإمكانيتها [٢] .

وبحكم هذه الأهمية التي يتمتع بها العراق ، حاولت بعض شركات الدول الأجنبية الحصول على امتيازات تجارية ، تضمن لها الاستفادة من أرض العراق وخيراته ، ففي أواخر القرن التاسع عشر طلبت بعض الشركات البريطانية والفرنسية ، تنفيذ خط حديد يوصل بين الاسكندرونة وبغداد ومن ثم الخليج العربي إلا أن الدولة العثمانية رفضت المشروع ، في حين نجحت الشركات الألمانية استثمار رؤوس أموالها في مشروع خط حديد (برلين – بغداد) عام ١٩٠٣ [٣] .

اشتدت مخاوف بريطانيا من تنفيذ ذلك المشروع الذي عدته مشروعا سياسيا أكثر من كونه تجاريا [٤] ، وقالت عنه صحيفة التايمز اللندنية : ((إن من الواجبات الأولى علينا ولأجل المحافظة على الهند ألا ترى في الخليج قوة مسلحة سوى قوة بريطانيا ، فالدلائل تشير أن خط بغداد ليس ذات أهداف اقتصادية بل سياسية صرفة)) [٥] ، حتى أن السر برسي كوكس [١]

---

(١) د . رأفت الشيخ ، في تاريخ العرب الحديث ، ط٤ ، ١٩٨٣ ، ص ٣١٢ – ٣١٣ .

(٢) عبد الرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ط٣ ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٧ ، ص ٦٥ .

(٣) مجيد خدوري ، أسباب الاحتلال البريطاني للعراق ، الموصل ، مطبعة الشعب ، ١٩٣٣ ، ص ٢٨ – ٣٠ .

(٤) د . زكي صالح ، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ ، بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٣ ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٥) كما ورد في كتاب ، رأفت الشيخ : المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

المندوب السامي في العراق قال في بحثه الذي ألقاه أمام أعضاء الجمعية الآسيوية الملكية في لندن في ٧ شباط عام ١٩٢٩ ((كان النفوذ البريطاني قد امتد من مدة طويلة إلى منطقة الخليج وكانت مصالحنا في المنطقة تزداد أهمية ، وأهم أولويات سياستنا أن لا نسمح لأية قوة أوربية لكي تجد لها موطأ قدم عند رأس الخليج العربي أو بالقرب منه)) [٢] .

وعلى هذا الأساس لم تكن فكرة احتلال بريطانيا للعراق وليدة الحرب العالمية الأولى ، بل امتدت منذ أواخر القرن التاسع عشر ، بداية القرن العشرين فقد أعلن اللورد (كيرزن) في مجلس اللوردات البريطاني عام ١٩١١ ، أنه من الخطأ الاعتقاد أن المصالح البريطانية تقتصر على الخليج العربي وعلى المنطقة الممتدة بين البصرة وبغداد ، بل أنها تمتد أيضا إلى الشمال من بغداد ، فخطة احتلال جنوب العراق ، قد وضعت عام ١٩١٢ ، عندما قدمت رسميا من لجنة خاصة لوزارة المستعمرات [٣] .

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى وقفت الدولة العثمانية في البداية على الحياد [٤] ، ولكن بريطانيا وبسبب أطماعها في العراق أعدت أولى حملاتها بقيادة الجنرال (ديلامين) ، وكانت وجهة الحملة إلى البحرين ، ثم صدرت إليها أوامر

---

(١) جاء إلى العراق أول مرة مع الجنرال مود بوظيفة حاكم سياسي من قبل القائد في العراق ١٩١٧ ، ثم نقل إلى طهران ، ليتولى منصب الوزير المفوض البريطاني ، وعاد ثانية إلى العراق ١٩٢٠ ، لتهدئة الحالة وتشكيل حكومة مؤقتة . باقر أمين الورد : بغداد (خلفاؤها ، ولاتها ، ملوكها ، رؤساؤها) منذ تأسيسها عام ١٤٥هـ (٧٦٢م) إلى عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) ، ص ٢٨٩ .

(٢) علي كاشف الغطاء ، دور الدبلوماسية البريطانية في تغلغل النفوذ البريطاني في العراق في العهد العثماني ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٥ ، أيلول – تشرين الأول ١٩٩٧ ، ص٣٢ .

(٣) د . فاروق صالح العمر ، حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٧٧ ، ص ٦ .

(٤) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٥٣ ، ٣٠ آب ١٩١٤ .

سرية في أوائل تشرين الأول ١٩١٤ بالاتجاه شمالا [١] . وفي ٣١ تشرين الأول ١٩١٤ تلقى الجنرال ديلامين خبر دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ، فعقد اجتماعا بتاريخ ٢ تشرين الثاني مع ضابط البحرية الأقدم للقيام بهجوم على الفاو وفي ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ تقدمت بعض القطع البحرية ، وتمكنت من احتلال الفاو ، وكانت هذه الحركة هي فاتحة حملة العراق [٢] .

استطاعت تلك الحملة التي رافقتها بعد ذلك قوات جديدة احتلال البصرة وإلحاق الهزيمة بالعثمانيين ، فدخلت القوات البريطانية البصرة في يوم ٢٣ تشرين الثاني ورفع العلم البريطاني على أحد أبنيتها [٣] ، وتوجهت بعد ذلك إلى العمارة وتمكنت من احتلالها في ٣ حزيران ١٩١٥ ، ثم إلى الناصرية في ٢٥ تموز ١٩١٥ [٤] .

وتأسيسا على ما تقدم نجد أن احتلال بريطانيا لكل من البصرة والعمارة والناصرية يمثل المرحلة الأولى من مراحل احتلال العراق ، فلم تكتف بريطانيا بهذا المثلث الجنوبي بل راحت تخطط ، وتعد عدتها لاحتلال مناطق أخرى من العراق ، ولتشكل بغداد الخطوة التالية في قاموس احتلالها .

ففي التاسع من نيسان ١٩١٥ عين الجنرال جون نيكسون (JOHN NIXON) قائدا عاما للحملة على العراق من أجل الزحف نحو بغداد ، فبدأ بالتوجه إلى الكوت التي كانت تسمى حينذاك (كوت الإمارة) [٥] .

وكانت حصيلة هذه الحملة تمكن بريطانيا من احتلال الكوت في ٣٠ أيلول ١٩١٥ ، بعد إلحاق الهزيمة بالعثمانيين ، الذين اضطروا للفرار ، ولتتجه بعدها

---

(١) عبد الرحمن البزاز ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٢) طه الهاشمي : حرب العراق ، ط٢ ، بغداد ، مطبعة النجاح ، ١٩٣٦ ، ج١ ، ص ٤٢ – ٤٤ .

(٣) طه الهاشمي ، المصدر السابق ، ص ٦٦ – ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٨ ، ستيفن همسلي لونكريك : العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ – ١٩٥٠ ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي ، ط١ ، بغداد ، مطبعة حسام ، ١٩٨٨ ، ج١ ، ص ١٣٨ .

(٥) عبد الرحمن البزاز ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

القوات البريطانية نحو بغداد والوصول إلى سلمان باك التي تبعد ٣٠ كيلو مترا جنوبي بغداد (١) .

إن هروب العثمانيين أوهم بريطانيا بضعف القوات العثمانية إلا أن الحقيقة تخالف ذلك ، فالعثمانيون عندما فروا كانت غايتهم الدفاع عن بغداد ، لا سيما بعد حصولهم على إمدادات جديدة وقيادات ألمانية (٢) ذكية مكنتهم من إفشال الحملة الأولى لبريطانيا التي كان يقودها طاوزند (٣) ، وليتمكن خلالها العثمانيون من حصار القوات البريطانية في الكوت لمدة (١٤٣) يوما ، اضطر بعدها القائد البريطاني طاوزند (٤) التسليم في ٢٩ نيسان ١٩١٦ (٥) .

يقول موبرلي أن استسلام الكوت كان نهاية تعيسة للمشروع الذي خطط أصلا من أجل احتلال بغداد (٦) . لذلك كان إلحاق الهزيمة ببريطانيا أثره المؤلم عند

---

(١) عبد الرحمن البزاز ، المصدر السابق ، ص ٧١ – ٧٢ .

(٢) من هذه القيادات وصول المشير (فون درغولت) في ٢٩ محرم ١٣٣٤هـ وهو في الثانية والسبعين من عمره . جريدة صدى الإسلام ، العدد ١١٦ ، ٣٠ محرم ١٣٣٤هـ .

(٣) فاروق صالح العمر ، المصدر السابق ، ص ١٧ . أنظر خارطة توضيحية للدفاع عن الكوت رقم (١) من الملاحق .

(٤) يذكر طاوزند في كتابه (محاربتي في العراق) أنه أبان للسير جون نيكسون القائد العام للحملة على العراق أن استيلائي على بغداد يقتضي أن تضع الحكومة تحت إمرتي فرقتين أو نحواً من ٣٠٠٠٠ جندي وإلا فأرجح الفشل والخذلان ولكن نيكسون أصر على تقدمي بلا تقوية ... وإذا علم القارئ أن الفريق مود زحف بعد ذلك للاستيلاء على بغداد بقوة تتألف من ١١٣٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠٠ جندي بكامل عدتها وأسلحتها يقابل ذلك قوتي التي كانت مؤلفة من ١٣٠٠٠ جندي قدَّر شأن الملحوظة التي أبديتها للفريق نيسكون حق قدرها . تشارلس طاوزند ، محاربتي في العراق ، ترجمة عبد المسيح وزير ، بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٢٣ ، ص ٧ .

(٥) عبد الرحمن البزاز ، المصدر نفسه ، ص ٧٢ – ٧٣ . ذكرت جريدة صدى الإسلام أنه تم أسر خمسة (جنرالات) و٧٧ ضابط بريطانيا و ٢٧٤ ضابطا هنديا و ١٣٣٠٠ جندي . جريدة صدى الإسلام ، العدد ٢٤٢ ، ٣٠ جمادى الآخرة ، ١٣٣٤هـ .

(6)Moberly , F. J. , Official history of the war . The campaign in Mesopotamia , 1914 – 1918 , vol. 1 , London , 1923 , p. 56 .

حكومتي الهند ولندن مما أدى إلى تشكيل لجنة تحقيق في سير العمليات الحربية في العراق [١] .

وهكذا انتهت الحملة الأولى لاحتلال بغداد بكارثة الكوت وسيخصص الفصل الأول من الرسالة لعملية الزحف الثاني إلى بغداد واحتلالها .

(١) عبد الرحمن البزاز : المصدر السابق ، ص ٧٢ – ٧٣ .

الفصل الأول

الزحف البريطاني لاحتلال مدينة بغداد

أولا – الوضع العسكري بعد سقوط الكوت :

بينما كان العثمانيون يتنعمون بنشوة النصر بعد سقوط الكوت ، كان البريطانيون يهيئون قواتهم استعدادا للتقدم ثانية واحتلال بغداد ، فقد شعروا بعار الهزيمة التي حلت بهم في الكوت ، فصمموا على استعادة هيبتهم التي فقدوها [١] .
ففي ١٦ تموز ١٩١٦ استلمت وزارة الحربية البريطانية السيطرة الإدارية على الحملة على العراق بالإضافة إلى إدارتها للحركات وبذلك صارت الحملة من مسؤولية المقر العام بلندن بدلا عن حكومة الهند [٢] ، وقد رأت وزارة الحرب البريطانية إعادة النظر في واجبات الحملة بعد استسلام حامية الكوت فحددتها بالمهمات الآتية :

١- تقوية النفوذ البريطاني في ولاية البصرة .

٢- حماية آبار النفط في عبادان .

٣- تقليل تأثير سقوط الكوت بالمحافظة على جبهة قوية في دجلة وتثبيت الفيلق العثماني /١٨ بجوار الكوت و(الصناعيات) [٣] .

٤- التعاون مع الجيش الروسي المتقدم عبر الأراضي الإيرانية [٤] .

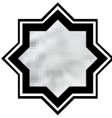
وعلى الرغم من الخسائر الفادحة التي مني بها البريطانيون في حصار الكوت ، استطاعوا بعد ذلك جلب تعزيزات جديدة ومعدات ، وأخذوا يستعدون بحيطة وحذر لاسترجاعها ، ومن ثم الاستيلاء على بغداد . وأخذت الأسلحة والذخيرة والتجهيزات

(١) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، مطبعة الشعب ، ١٩٧٤ ، ج٤ ، ص ٣١٥ .

(٢) فاروق الحريري ، الحرب العالمية الأولى (دراسة عسكرية) ، ط١ ، بغداد ، مديرية المطابع العسكرية ، ١٩٨٨ ، ج١ ، ص ٢٠٤ .

(٣) للتعرف على هذه المنطقة انظر خارطة رقم (٢) من الملاحق .

(٤) شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٨ ، ط٣ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٤ ، ص ١١٢ .



ووسائط النقل البري والنهري وغيرها من التعزيزات تتدفق يوميا حيث تضاعف عدد الأسطول النهري إلى خمسين ضعفا ، أما الطائرات فقد تضاعف عددها وكانت من أنواع محسنة (١) . وكان في ٢٨ آب ١٩١٦ قد حل الجنرال (ستانلي مود) (٢) محل الجنرال (ليك) الذي اعتلت صحته ، وقد قضى الجنرال مود بقية عام ١٩١٦ بالاستعداد لخوض المعركة الفاصلة مع العثمانيين ، فقد ازدادت القوة القتالية للحملة البريطانية وأصبحت تشكل نسبة ١/٥ لصالح البريطانيين (٣) .

كان هناك محوران للحركات مفتوحين أمام الجنرال مود للزحف نحو بغداد أولهما نهر الغراف والذي كانت ترابط فيه (الفرقة /١٥) في الناصرية ، والمحور الثاني هو محور دجلة والذي كان يرابط فيه فيلق دجلة ، فاختار محور دجلة كونه أقصر طريق يؤدي إلى بغداد (٤) .

وقد تريث الجنرال مود ، وذلك لتعزيز قواته وإكمال استحضاراته وقضاء موسم الصيف الحار الذي أضر بقطعاته وسبب أمراضاً لم يألفها جنوده (٥) .

أما العثمانيون فإن العميد موسى كاظم قرة بكر (قائد الفيلق /١٨) كان يعلم بقرب قيام البريطانيين بهجوم واسع النطاق على فيلقه ، وقد أبلغ قيادته بقلقه وتوقعه

---

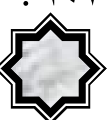
(١) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٢) الجنرال ستانلي مود ، كان في بداية الحرب يقود لواء من الجيش البريطاني في فرنسا ثم أرسل إلى معارك الدردنيل بعد أن رقي إلى قائد فرقة ، ثم نقل هو وفرقته إلى العراق إذ أسهم في حملات الإنقاذ لفك حصار الكوت ، وفي ١١ تموز استبدل الجنرال غورينج بالجنرال مود لقيادة فيلق دجلة ، وفي ٢٨ آب تقرر إقالة الجنرال ليك القائد العام وتسليم القيادة إلى الجنرال مود . باقر أمين الورد ، المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .

(٣) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٤) شكري محمود نديم ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٥) فاروق الحريري ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ .



لقيام البريطانيين بالعمل الرئيس على الضفة اليمنى من نهر دجلة ، ومن ثم العبور ليهددوا مؤخرته إلا أن آرائه لم يؤخذ بها من مقر الجيش السادس العثماني (١) .

ومن الجدير بالإشارة هنا أن نشير إلى الخطأ الذي ارتكبه العثمانيون عندما أرسلوا الفيلق الثالث عشر إلى خانقين وذلك لصد الفيلق الروسي الأول بقيادة الجنرال باراتوف الذي جاء بعد أن أخذ البريطانيون يحثون الروس على التقدم في شتاء ١٩١٥ لتهديد بغداد ومؤخرة الجيش العثماني وبذلك يساعدون البريطانيين في إنقاذ الكوت (٢) .

وعندما صد الفيلق /١٣ العثماني الفيلق الروسي بمعركة خانقين في ٣ حزيران ١٩١٦ قام هذا الفيلق بتعقيب القوات الروسية المتراجعة ، حيث وصل الفيلق العثماني إلى همدان ، بقي في إيران إلى أواخر شباط ١٩١٧ حين انسحب ، عندما ضايق الجنرال مود جبهة دجلة (٣) .

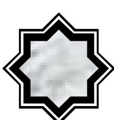
ويتضح أن ابتعاد هذا الفيلق عن جبهة دجلة وبمسافة بعيدة جدا يجعله منعزلا لا يستفاد منه للدفاع عن العراق ، لذلك كان من الممكن دفع الخطر الروسي بقوة أقل لطرده إلى خارج حدود العراق . ومن ثم إعادة الفيلق إلى جبهة دجلة .

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، سوريا ، مطبعة العرفان ، ١٩٣٥ ، ج١ ، ص ٣٠ .

(٢) شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٧ ، ط٢ ، بغداد ، مطبعة دار التضامن ، ١٩٦٧ ، ص ١٤ – ١٥ .

(٣) إن توسيع عمليات الفيلق /١٣ العثماني في إيران وضع من قبل أنور باشا وزير الحربية العثماني والعميد الركن الألماني فون لوسوف وعرفت باسم (خطة أنور – لوسوف) وقد تضمنت قيام الفيلق /١٣ باجتياح إيران واحتلال كرمنشاه – همدان – قزوين ، ووصل هذا الفيلق إلى همدان ، واحتلها في ٣٠ حزيران ١٩١٦ وكانت هذه الخطة السبب الرئيسي لطرد العثمانيين نهائيا من العراق . شكري محمود نديم ، الجيش الروسي ، المصدر السابق ، ص ١٥ – ١٨ .



ثانيا – المعارك التمهيدية :

لتوضيح موقف المتحاربين ندرج فيما يلي وضع الجيش لكلا الطرفين في كانون الأول سنة ١٩١٦ :

١) القوات البريطانية :

أ– فرقة الخيالة وقائدها اللواء (كروكر) (ألوية الخيالة ٦و٧) .

ب– الفيلق الهندي الأول وقائده الفريق (كوب) ويتألف من :

الفرقة /٣ لاهور قائدها اللواء (كيري) ألوية المشاة (٧و٨و٩) .

الفرقة : /٧ مهراطة قائدها اللواء (فاين شيو) ألوية المشاة (١٩و٢١ و٢٨) .

جـ– الفيلق الهندي /٣ قائده الفريق (مارشال) ويتألف من :

الفرقة /١٣ قائدها اللواء (كيلي) ألوية المشاة (٣٨و٣٩و٤٠) .

الفرقة /١٤ قائدها اللواء (أكرتون) ألوية المشاة (٣٥و٣٦و٣٧) .

الفرقة /١٥ قائدها اللواء (بروكنك) ألوية المشاة (١٢و٣٤و٤٢) .

وكتيبة الخيالة /١٢ في الناصرية ، وقد بلغت القوة القتالية ٦٠٤٠٠ جندي و ١٧٤ مدفعا [(١)] .

٢) القوات العثمانية :

الفيلق /١٨ العثماني بقيادة العميد الكاظم قرة بكر والمؤلف من التشكيلات الآتية :

أ– الفرقة /٤٥ (تشغل خط إمام أبو الحسن – عتابة – بسروقية) قائدها العقيد إسماعيل حقي في جبهة الغراف .

ب– الفرقة /٥١ (تشغل جبهة الفلاحية) قائدها العقيد جميل .

جـ– الفرقة /٥٢ (احتياط الفيلق بين الفلاحية والكوت) بقيادة العقيد بكر سامي .

---

(١) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .



د- جحفل الغراف المؤلف من أربعة أفواج وبطريتين مدفعية [١] .

وقد بلغت القوة القتالية للتشكيلات العثمانية في العراق :

١٠٥٠٠ جندي مشاة و ٦٥٠ جندي خيال و ٥٠ مدفعا [٢] .

يبدو من خلال هذه الإحصائية أن القوات البريطانية تفوق القوات العثمانية بخمسة أضعاف تقريبا ، وهذا الفارق الكبير يساعدها على حسم المعركة المقبلة لصالحها .

ولذلك فإن الجنرال مود كان مستعدا للهجوم منذ مطلع شهر كانون الأول ، غير أن القيادة العليا في لندن كانت مترددة في الموافقة على ذلك إذ كانت تخشى أن يكون مصير مود كمصير سلفه طاوزند [٣] ، وقد وافقت القيادة العليا أخيرا على بدء الهجوم ولكنها اشترطت على الجنرال مود أن لا يعرض قواته لخسائر كبيرة [٤] .

قرر الجنرال مود الاستيلاء على الحي أولا فهيأ لهذا الغرض الفيلق الأول الذي كان يقوده الجنرال (كوب) ، لتثبيت العثمانيين في مواضعهم الكائنة في ضفة دجلة اليسرى ، ووضع رابايا في الضفة اليمنى ، بينما كان على الخيالة والفيلق الثالث بقيادة الجنرال (مارشال) الحصول على موضع حصين على نهر الحي [٥] .

وفي كانون الأول عندما ظهرت بوادر الاستعدادات العسكرية البريطانية أرسل قائد الفيلق /١٨ العثماني كاظم قرة بكر ببرقية إلى خليل باشا قائد الفيلق السادس (١٩١٦ – ١٩١٧) بأمر هذا الاستعداد ، غير أن خليل باشا [٦] لم يصغ لهذا الأمر

---

(١) محمد أمين العمري ، تاريخ حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٨ ، بغداد ، مطبعة النجاح ، ١٩٣٥ ، مجلد ٢ ، ص ٤ – ٥ .

(٢) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(3) George Buchanan (The Tragedy of Mesopotamia) – London – 1938 – P. 148 .

(٤) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .

(٥) ونفردنن ، معارك السفن الحربية على ضفاف دجلة ، ترجمة فخري عمر ، ط١ ، بغداد ، مطبعة دنكور ، ١٩٣٨ ، ص ٢٠٦ .

(٦) يقول باركر في كتابه أن الاعتداد بالنفس والأفكار الثابتة التي كانت مسيطرة على ذهن خليل باشا كانت بمثابة فرقة عسكرية تضاف إلى قوات مود .



[1] ، لذلك بدأ مود بتنفيذ خطته في ١٣ كانون الأول ١٩١٦ مستغلا تفوقه بالمدافع والخيالة فشرعت المدافع تقصف موقع الفلاحية بوابل من القنابل وكان القصف على درجة من الشدة حتى ظنَّ العثمانيون أن الهجوم الرئيس موجه إلى هذا الموقع ، وأسرع كاظم قرة بكر فأرسل قسما من قواته الاحتياطية عبر النهر لتعزيز الموقع هناك تجاه الهجوم المتوقع [2] .

وقد استأنفت القوات البريطانية تقدمها من جنوب (بسروقية) [3] في اليوم ذاته حيث احتلها لواء المشاة /٣٩ مساءً ، وبذلك تم عزل لواء العشائر الذي كان في الحي عن الجيش العثماني ، وقد استطاع هذا اللواء من التقدم في يوم ١٤ كانون الأول نحو (قلعة جاسم) فطرد الخيالة البريطانيين واحتل القلعة المذكورة وفي يوم ١٥ كانون الأول حاولت الفرقة /١٣ البريطانية ، ولواء خيالة التقدم نحو شمران إلا أن الفرقة /٥٢ العثمانية طردتهم فلجأوا للقصف المدفعي الشديد ليلة ١٥/١٦ كانون الأول ، ثم عاودوا الهجوم يوم ١٦ كانون الأول والذي قوبل بهجوم مقابل من الفرقة /٥٢ ، التي استطاعت من طردهم إلى مواضع الغراف [4] . وفي يوم ٢٠ كانون الأول حاول مود أن ينصب على دجلة جسرا بين الصناعيات والمكاصيص ، لكن معارضه الجنرال كوب حالت دون ذلك ، لذلك جرت محاولة في محل كائن عند دورة الحسيني لكن الفشل كان من نصيبها ، وذلك عندما قتل وجرح جنود الوحدة المخصصة لنصب الجسر جميعهم وبسبب تلقي الجنرال مود تعليمات تتعلق بالضحايا حيث لم يسمح له أن يتكبد أكثر من ٢٥% [5] .

Barker (The Neglected war) – London – 1967 – P. 323 .

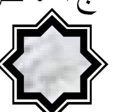
(١) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣١٨ .

(2) Barker (op . cit) – P. 325 .

(٣) انظر : خارطة رقم (٢) من الملاحق .

(٤) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

(٥) سر إرنولد . تي . ويلسون ، بلاد ما بين النهرين بين ولاءين ، ترجمة فؤاد جميل ، ط٢ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٢ ، ج١ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ .



وفي يوم ٢٥ كانون الأول اقتربت الخطوط البريطانية من المواضع العثمانية ، فالتقت الأجنحة الداخلية للفيلقين مقابل الكوت تقريبا فأصبح الفيلق /١ يواجه العثمانيين في الصناعيات ودورة الخضيري وأصبح الفيلق الثالث يواجه المواضع العثمانية على جانبي الغراف لذلك أيقن الجنرال مود خطر المواضع العثمانية هذه فيما إذا اتخذ قرارا يقضي بالتقدم للعبور من شمران فقرر القيام بتطهيرها [١] .

ثالثا – معارك (إمام محمد أبو الحسن) :

١) معارك إمام محمد الأولى :

في صباح يوم ١٧ كانون الأول قامت الفرقة البريطانية /٣ بالاقتراب من المواضع العثمانية في دورة (إمام محمد أبو الحسن) لكنها لاقت مقاومة عنيفة من العثمانيين ، فاحتلت بعض الأراضي وبدأت بإجراء التحكيمات ووضع الأسلاك الشائكة ، واستمرت المدفعية البريطانية بصب نارها على مواضع العثمانيين في دورة الخضيري (إمام محمد أبو الحسن) وعلى نهر الغراف وعلى جبهة الفلاحية ، وقد كانت خسائر القوات العثمانية خلال معارك التقدم التي جرت ما بين ١٧ كانون الأول ١٩١٦ وبين ٨ كانون الثاني ١٩١٧ نحو ٨٠٠ قتيل وجريح وأسير وكانت خسائر البريطانيين أكثر من ذلك العدد [٢] .

من الطبيعي أن تكون خسائر الطرف المهاجم أكبر من خسائر الطرف المدافع وذلك لكون الطرف الذي يهاجم يكون هدفا مكشوفا يسهل إصابته عكس الطرف الذي يتخندق في مواضعه .

قضى الجيش البريطاني ثلاثة أسابيع في تحكيم مواضعه في المناطق التي احتلها حول الغراف وإمام محمد مع قيام مدفعيته بقصف المواضع العثمانية وخطوط مواصلاته ، وقد عاودت الفرقة البريطانية /٣ تعرضها إلى مواقع العثمانيين في دورة الخضيري بعد يوم ١٧ كانون الأول ١٩١٦ وحتى ٨ كانون الثاني ١٩١٧ ، ولكن محاولاتها باءت بالفشل ، وفي ليلة ٩/٨ كانون الثاني ١٩١٧ شنت الفرقة الثالثة

---

(١) شكري محمود نديم ، حرب العراق ، ص ١١٦ .

(٢) محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٦ .



هجوما جديدا وبلوائين (٨و٩) إلا أن فوج من اللواء العثماني ١٤٢ شن هجوما مقابلا وطرد المهاجمين بعد أن كبدهم خسائر كبيرة ، وفي ذات اليوم استأنف البريطانيون هجومهم بعد أن عززوا بلواء إضافي واستطاعت احتلال الجناح الأيمن من الموضع ، واحتفظ العثمانيون بالجناح الأيسر لخط الدفاع (١) .

تكبد الطرفان في هذه المعركة خسائر كبيرة ، وأثر هذه الخسائر اقترح قائد الفيلق /١٨ العثماني كاظم قرة بكر في تقريره المسائي تخلية مواضع إمام محمد تجنباً للخسائر ، لكن خليل باشا لم يوافق على ذلك بل أمر باستبدال القوة الباقية من اللواء بفوج من اللواء ٤٣ وسرية من اللواء /٣ للدفاع عن مواضع إمام محمد (٢) . يلاحظ أن أوامر خليل باشا تفتقد إلى الحكمة فهو يصدر أوامره بزج القطعات العثمانية في معارك صعبة للغاية من غير أن يكلف نفسه عناء الذهاب للجبهات المتقدمة والإطلاع على الموقف هناك بنفسه وكما يفعل نظيره الإنكليزي الجنرال مود .

يشير موبرلي في كتابه إلى وثيقة عثمانية وجدت في مواضع العثمانيين خلال العمليات اللاحقة تبين فعالية القصف البريطاني لخنادق إمام محمد من ١/٥ لغاية ١/٨ . أنها تقرأ كالآتي :

قطاع إمام محمد (١٩١٧/١/٨) .

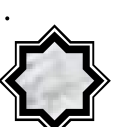
((إن صلابة القوات في قطاع إمام محمد إزاء قصف العدو العنيف ولا سيما مشاتنا التي صمدت على الرغم من الخسائر الدموية خلال قصف اليوم في الضباب ، هي فوق كل مديح وإطراء . إن قائد السلاح يقبل عيون كل الجند ويشكرهم ...)) (٣) .

---

(١) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

(٢) محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، المجلد ٢ ، ص ١٩ – ٢٠ .

(3)Moberly (op. Cit.) – vol.3 – P.96 .



في ليلة ١١/١٠ كانون الثاني ١٩١٧ عاود البريطانيون قصف مواضع إمام محمد وعززت هذا القصف بهجوم صباح ١١ كانون الثاني ، لكن العثمانيون قاموا بهجوم مقابل وطردوا القطعات المهاجمة ، ثم كرر البريطانيون هجومهم في ذات اليوم باللواء التاسع يسنده اللواء الثاني من الخلف ، وكان القتال بالحراب والرمانات ، وقد استطاع العثمانيون صد الهجوم بعد أن أسروا ضابطا وبعض الجنود البريطانيين ، وقد هبطت القوة القتالية للعثمانيين التي كانت مكلفة بالدفاع عن مواضع إمام محمد إلى ١٩٠ مقاتل [1] ، ويبدو أن القوات العثمانية بعد حصار الكوت لم تصلها أي تعزيزات بالرغم من النداءات التي كان يوجهها قائد الفيلق /١٨ العثماني إلى قيادته وعكس القوات البريطانية ، التي بلغت في كانون الثاني ١٩١٧ (١٢٠.٤٧٢) مقاتل [2] ، أي أصبح الفارق كبيرا جدا بحيث كانت تعادل أكثر من عشرة أضعاف القوة العثمانية .

٢) معارك إمام محمد الثانية :

نتيجة لقرار الجنرال مود بإزاحة العثمانيين من مواضع إمام محمد قصفت المدفعية تلك المواضع من ١٤ إلى ١٦ كانون الثاني ١٩١٧ فأراد قائد الفيلق /١٨ العثماني إخلاء هذه المواضع لكن قائد الجيش السادس خليل باشا رفض ذلك ، وأرسل رئيس أركان حربة العقيد الألماني (كرامر) ، الذي أوعز بسحب المدافعين عن مواضع إمام محمد وإبقاء أربعين جنديا مع أربعة رشاشات بقيادة ضابط ، وكان في النية سحب المدافعين واستبدالهم بالأربعين جندي ليلة ١٧/١٦ كانون الثاني ، غير أن البريطانيين قاموا بثلاث هجمات على الجناح الأيمن لمواضع إمام محمد ، وقد فشلت جميع هذه الهجمات [3] ، وبعد أن فشلت هجمات البريطانيين الثلاث أخلي الموضع من القطعات جميعها في إمام محمد بعد أن استبدلوا بالأربعين مقاتل

---

(١) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٠ .

(2)Moberly (op. Cit.) – vol.3 – P.89 .

(٣) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٠ – ٢١١ .



بقيادة الملازم (لطفي) [١] ، والذين صمدوا أمام الهجمات التي قام بها البريطانيون في يومي ١٧،١٨ كانون الثاني وطردوا البريطانيين على الرغم من القصف المدفعي الذي تعرضوا له ، وقد فقدت القوة نصف عددها فلم يبق سوى ١٩ جنديا مع قائدهم [٢] .

وقد قدر عدد قنابل المدفعية التي أسقطت على المواضع العثمانية خلال هذه المعركة بنحو ٤٠٠٠٠ قنبلة ، وقد نجح العثمانيون في تأخير حركات الجنرال مود شهرا كاملا [٣] ، وقد سمى العثمانيون هذا الموضع (بموضع قرق غازيلر) أي موضع الأربعين غازي [٤] . وبسبب الخسائر التي لحقت بالمدافعين لم يكن بالإمكان الدفاع عن هذه المواضع ، فعليه اضطر الفيلق /١٨ العثماني إلى تخليه عن الموضع المذكور بعد حصول موافقة خليل باشا [٥] .

وهكذا يبدو من خلال هذه المعارك مدى إصرار الجنرال مود على حسم معارك إمام محمد لصالحة ، مستعملا كل الأسلحة المتيسرة لديه ، ومستغلا تفوقه العددي الذي فاق القوات العثمانية بعدة أضعاف ، لكن بالرغم من ذلك لم يستطع زحزحة المقاتلين العثمانيين من مواضعهم ، وقد دافع الأربعين مقاتل دفاعا مستميتا للحيلولة من وقوع مواضعهم بيد البريطانيين .

رابعاً – معارك الغراف :

---

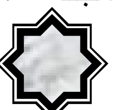
(١) ضابط عراقي من الموصل استمر بالخدمة في الجيش العثماني بعد الحرب ووصل في عام ١٩٢٢ إلى رتبة نقيب ثم عاد إلى العراق والتحق بالجيش العراقي عام ١٩٣٦ وتوفي في راوندوز عام ١٩٤٠ نتيجة لسقوطه ليلا من سطح الثكنة . المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢١١ .

(٢) محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ٢٤ .

(٣) شكري محمود نديم ، حرب العراق ، ص ١١٧ .

(٤) محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، بغداد ، المطبعة العصرية ، ١٩٢٥ ، مجلد ١ ، ص ١٢١ .

(٥) محمد أمين العمري ، المصدر نفسه ، مجلد ٢ ، ص ٢٤ – ٢٥ .



تهيأ البريطانيون لشن هجوم على جبهة الغراف بعد الانتهاء من احتلال مواضع إمام محمد ، وقد بدأ قصف القوات البريطانية للمواضع العثمانية ، الذي بدأ في الساعة ٩.٣٠ صباحا ، واستمر طوال فترة الهجوم ، والذي قام به اللواءين (٤٠و٣٩) على ضفتي الغراف الشرقية والغربية [١] ، وكانت قوة المدافعين العثمانيين ، تتألف من اللواء (٤٠) وسريتين من اللواء /٣ ، مجموعها العام ١٣٠٠ جندي ورشاشتين و ٥ مدافع [٢] .

استطاع البريطانيون الحصول على بعض المواضع العثمانية في شرق الغراف ، وكانت حصيلة المعركة خسارة العثمانيين لـ ٤٨٠ قتيل وجريح أما خسائر البريطانيين فكانت ٢٠٠ قتيل وجريح تكبدها اللواء ٤٠ البريطاني أما بالنسبة لغرب الغراف فقد فشل هجوم القوات البريطانية بسبب قيام العثمانيين بهجوم مقابل ، وقدم الجانبان خسائر كبيرة في هذه المعركة ، ولذلك استبدلت الفرقة /١٣ بالفرقة /١٤ ليلة ٢٦/٢٥ كانون الثاني [٣] .

وفي يوم ٢٦ كانون الثاني شرعت مدفعية الفيلق /٣ بتوجيه قصف ناري كثيف على مواضع العثمانيين في الغراف لإسناد تقدم الفرقة /١٤ والمتمثلة باللواءين (٣٥و٣٦) التي هاجمت مواضع العثمانيين الأمامية الواقعة غربي الغراف ، وقد انسحب الجنود العثمانيين من المواقع الأمامية ، واستطاع البريطانيين التقدم واحتلال موضع العثمانيين بعد تكبدها خسائر تقدر بحوالي ٥٠٠ قتيل وجريح ، لكن اللواء /٣ العثماني استطاع القيام بثلاث هجمات فتمكنوا من استرداد مواضعهم ، وبقي الفريقان حتى نهاية كانون الثاني يحتفظ بخنادقه التي يشغلها [٤] .

وقد قدم الجانبان خسائر جسيمة في هذه المعركة ، فعن خسائر الجانب البريطاني ذكر كاندلر أن القوات البريطانية خسرت ٣ ضباط أحدهم الكولونيل ثومبسون

---

(1)Moberly (op.cit.) – vol. 3 – pp.110-111 .

(٢) محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ٣٢ – ٣٣ .

(٣) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٢ .

(٤) محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ٣٢ – ٣٣ .



(Thompson) ، إضافة إلى نحو من ٢٤٠ جندي [١] ، وبعد استقرار الموقف خلال الأسبوع الأخير من كانون الثاني ١٩١٧ قام البريطانيون بتعزيز قواتهم وتكديس كميات من عتاد المدفعية استعدادا للمعارك القادمة ، أما العثمانيون فقد قاموا بنقل بعض القطعات من ضفة الغراف الشرقية إلى الضفة الغربية لتعزيز اللواء ٣/ [٢] .

يتضح مدى سوء القيادة العثمانية في إدارة المعارك بالرغم من اتضاح الصورة حول نيات البريطانيين للوصول إلى بغداد فإنها لم تكلف نفسها بتعزيز القطعات وإرسال الإمدادات بل عملت على استبدال القطعات من منطقة إلى أخرى وضمن الجبهة ذاتها وبالتالي فإن القطعات التي جيء بها من تلك المناطق كان قد أرهقها التعب بسبب القتال المستمر .

في يوم ٣١ كانون الثاني ١٩١٧ أصدر الجنرال مود أمرا عسكريا والذي أفصح فيه عن نيته إحراز تقدم آخر في طرد العثمانيين من الخنادق التي استمروا في احتلالها على ضفتي الغراف ، وقد خمن الجنرال مود قوة العثمانيين الموجودة بـ٩٠٠ جندي في شرق الغراف و٣٠٠٠ جندي و١٢ مدفع في غرب الغراف [٣] ، وبالفعل وتنفيذا لأمر الجنرال مود فقد شنت الفرقة /١٣ البريطانية هجومها على مواضع العثمانيين في شرق الغراف ، وقد استطاعت القوات البريطانية السيطرة على موضع الدفاع الأول ، والثاني بينما تمسك العثمانيون بالموضع الدفاعي الثالث ، وفي اليوم ذاته شنت الفرقة /١٤ البريطانية هجومها على مواضع غرب الغراف . لكن العثمانيين قاموا بهجوم مقابل مما اضطر الفرقة /١٤ البريطانية على التراجع [٤] ، وبسبب الإصرار البريطاني لتطهير ضفتي نهر الغراف شرع البريطانيون بهجوم وبإسناد شديد من مدفعيتهم ، فتمكنوا من تطهير ضفة الغراف الشرقية في ٣ شباط

(1)Edmund Candler (The Long Road To Baghdad) London , 1919 , vol.2, p.37 .

(٢) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٢ – ٢١٣ .

(3)Moberly (op.cit.) vol.3 – P.117.

(٤) فاروق الحريري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٣ .



وتم لهم تطهير الضفة الغربية في ٥ شباط ، وبعد هذه الانتصارات سعى البريطانيون إلى طرد العثمانيين من الضفة اليمنى من نهر دجلة ففي ١٥ شباط قضوا على القوات العثمانية الموجودة في دورة بشارة ، التي استسلمت بكاملها ، ولم يبق للعثمانيين أي قطعات في الضفة اليمنى من نهر دجلة [١] .

وبعد هذه الانتصارات قال الجنرال مود عن سير العمليات : ((إن النتائج الكبيرة التي تحققت إلى الآن كانت تعزى إلى الجنرالان (كوب) و (مارشال) وإلى قادتهم التابعين ...)) [٢] ، وقد هنأ مود جنوده بالعبارة التالية : ((إلى ضباط الكتائب وضباط الصف والجنود على ما أبدوه من شجاعة منقطعة القرين وعلى الروح الحربية ، عديمة النظير ...)) ، ثم مضى يقول : ((إن النهاية لم يحن حينها بعد ، لكن هذا التعاون المطلق والنشاط الذي يسود الجميع هما ضمانا الفوز المبين)) [٣] .

وقبل التطرق إلى موضوع عبور القوات البريطانية نهر دجلة في شمران ، لابد من التحدث عن الدفاع المستميت الذي أبداه الفيلق /١٨ العثماني في مقاومة تقدم قوات الجنرال مود الذي يفوقه عددا وعدة ، وقد تكبدت القوات العثمانية في تلك المعارك خسائر كبيرة بحيث نزل موجود فوجه القتالي من ٤٠٠ مقاتل إلى ١٠٠ مقاتل ، وبالرغم من خطورة الموقف بعد نتائج المعارك الأخيرة لم تصل نجدات للفيلق /١٨ العثماني سوى وحدات قليلة سحبت من الموصل ، ولم يفكر خليل باشا بسحب الفيلق /١٣ من إيران لتدارك الموقف على جبهة دجلة .

خامسا – العبور من شمران :

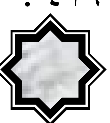
بعد أن طهر الجنرال مود منطقة إمام محمد ثم ضفتي الغراف بالإضافة إلى إزاحة العثمانيين من (دورة بشارا) في ١٥ شباط ، ولذلك كان على القوات

---

(١) شكري محمود نديم ، حرب العراق ، ص ١١٧ .

(2)Moberly (op.cit.) vol.3 – P.125 .

(٣) ويلسن ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١٩ .



البريطانية عبور نهر دجلة ، وكان الجنرال مود قد أعد خطته لعملية العبور فهيأ جساريات العبور ، وقام بتدريب القوات المكلفة بالعبور في نهر الغراف [١] .

يذكر أمير البحر ونفردنن : ((أن عملية العبور كانت تقضي بجذب انتباه الأتراك في الصناعيات ، وصدرت الأوامر بمهاجمة موضع الصناعيات في يوم ١٧ شباط ، وبعد قصف شديد اشتركت فيه المراكب الحربية نجحنا في جذب الأتراك نحو الصناعيات ، واتخذنا في الوقت ذاته تدابير لعبور نهر دجلة قرب شمران ، كما أجرينا انحرافات صغيرة لإخفاء نقطة العبور الأصلية عن الأتراك ، وفي فجر يوم ٢٣ شباط عبرت القوات البريطانية من (عطفة شمران) [٢] بوساطة عبارات ، وأنزلت بعض الوحدات من الفرقة /١٤ البريطانية)) [٣] . ويشير (باركر) إلى : ((أن عملية نصب الجسر كانت عملية شاقة جدا وخطرة ، وقد سقط فيها من الضحايا كثيرون)) [٤] .

وفي صباح يوم ٢٤ شباط ، أصدر الجنرال مود أوامر لمواصلة العمليات وأشار موبرلي في كتابه أن القوة الرئيسة العثمانية كانت في تقهقر كامل أعلى دجلة ، على الرغم من أن قوات المؤخرة كانت قادرة على كبح تقدم فرق الفرسان والفرقة /١٤ ، وقد طلب من الضابط البحري الأقدم التعاون في الحركة مع أسطوله الصغير ، ليكمل تنظيف الجانب الغربي لشبه جزيرة شمران [٥] .

وبعد نجاح عملية العبور أبرق الجنرال مود البرقية التالية ذلك المساء إلى رئيس الأركان العامة الإمبراطورية :

((بسبب التغير الذي حدث في الوضع بسبب النجاحات الأخيرة على جبهة دجلة ، سأكون مسرورا لأعرف ما إذا ترغب حكومة صاحب الجلالة في تعديل

---

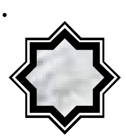
(١) محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ٤٦ – ٤٨ .

(٢) انظر خارطة رقم (٢) من الملاحق .

(٣) ونفردنن ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ – ٢١٦ .

(4)Barker , op. cit. , P.355 .

(5)Moberly , op. cit. , vol.3 , P.185 .



تعليماتها المنقولة لي في برقيتكم المؤرخة ١٩١٦/٩/٣٠ وحتى أتلقى ردكم لن اقترح التأجيل ، لكنني أنوي ملاحقة العدو المتقهقر ...)) (١) .

استطاعت القوات البريطانية العبور وتدمير الفرقة /٥٢ العثمانية فاضطر العثمانيون على الانسحاب ليلة ٢٥ شباط ، وبعد هذه الهزيمة أدرك خليل باشا خطورة الموقف فأبرق في ٢٥ شباط إلى همدان طلب عودة الفيلق /١٣ ، ولكن الفيلق المذكور لم يتمكن من الحركة إلا في أول آذار ، ولذلك فقد تعذر منع البريطانيين من احتلال بغداد (٢) .

يتبين من خلال برقية خليل باشا أنها جاءت متأخرة لتدارك الموقف ، فبالرغم من ردود تقارير من قبل قائد الفيلق /١٨ العثماني حول استمرار التعزيزات البريطانية وبلوغ هذه القوات عشرة أضعاف القوات العثمانية إلا أنه لم يستجب لهذه النداءات وقابلها ببرود ، وبالتالي فإن مبالاة خليل باشا أدت إلى هزائم متلاحقة وسريعة إضافة إلى هبوط معنويات القوات المتقهقرة التي أعياها التعب بسبب القتال المستمر .

سادسا – المطاردة إلى العزيزية :

على أثر عبور القوات البريطانية من شمران ، اضطر العثمانيون إلى سحب قطعاتهم يوم ٢٤ شباط بالقرب من رأس دورة أم العجاج ، فوصلت القطعات

وفي هذه الأثناء دخل الأسطول النهري البريطاني وبشكل فعال وقام بمطاردة العثمانيين على طول نهر دجلة . وقد أشار (ونفردنن) : ((بأنه طلب من الجنرال مود في ٢٤ شباط أن يسمح بتقدم الأسطول النهري ، فوافق على ذلك فتقدمنا بأسطولنا الصغير وكنا على مسافة بضعة أميال من الكوت فعلمنا بأن كل شيء

(1) Moberly op. Cit. , P.185.

(٢) محمد طاهر العمري ، المصدر السابق ، مجلد ١ ، ص ١٢٢ – ١٢٣ .



يدل على خلو الكوت من العدو لذلك قررنا مواصلة التقدم ، وعند وصولنا بلدة الكوت رفعنا العلم البريطاني ، وفي صباح ٢٥ شباط ١٩١٧ نفذنا أمر الجنرال مود ، فأصلينا القوات التركية بنار حامية ، وقد أخلى الأتراك مواضعهم وانسحبوا تحت ستر الظلام ، ودلت المعلومات التي حصلنا عليها في ساعة مبكرة من صباح يوم ٢٦ شباط بأن الأتراك يواصلون انسحابهم)) (١) .

ويذكر ويلسن بأن الأسطول النهري البريطاني تلقى تعليمات في ٢٦ شباط يتعقب القوات العثمانية المنسحبة ، وفيما وراء البغيله (النعمانية حاليا) تعرض الأسطول إلى نار مدافع أطلقت من السفينة البريطانية (فاير فلاي) التي استولى عليها العثمانيون في كانون الأول سنة ١٩١٥ على أثر الانسحاب من سلمان باك ، وقد ردت السفن البريطانية على النار ، وقد ألحق الأسطول النهري البريطاني خسائر كبيرة بمؤخرة الفيلق /١٨ وأثناء سير الأسطول أستولَي على السفينة (سمانة) والسفينة (فاير فلاي) بعد هروب بحارتها كما استولي على الباخرة (البصرة) وكان على ظهرها أعداد من الجرحى الذين أصيبوا بداء الغنغرينا (٢) (Gangrene) (٣) .

وهكذا كان للأسطول النهري الصغير الفضل في هزيمة القوات العثمانية في عملية التعقب وليس الفيلق الثالث أو فرقة الفرسان (٤) .

ونتيجة للموقف المتدهور قرر قائد الفيلق الانسحاب نحو العزيزية يوم ٢٧ شباط ، بعد أن دمر مدافعه الثقيلة لعدم وجود وسائط لسحبها ، وقد أوعز الجنرال مود بالكف عن المطاردة وتوقفت قطعاته في العزيزية منذ ٢٨ شباط (٥) .

---

(١) ونفردنن ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ – ٢٢١ .

(٢) الغنغرينا (Gangrene) : هو نخر الأنسجة بوساطة البكتريا .

(٣) ويلسن ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٢٧ – ٤٢٩ .

(٤) محمد عبد القادر حاتم ، حملة العراق ١٩١٤ – ١٩١٨ ، ط١ ، مصر ، دار عزت خطاب ، ١٩٥١ ، ص ٩٢ .

(٥) شكري محمود نديم ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .



ويذكر موبرلي أن أمر التوقف جاء بالاتفاق بين المفتش العام للاتصال (ماكمون) وضابطي الأركان في الحملة ، فقد طلب ضابط الأركان من مفتش المواصلات أن يستعمل نفوذه وتأثيره ليقنع الجنرال مود بالتوقف لبعض الوقت (١) .

وفي لندن أخذت وزارة الحرب تدرس النجاح الذي أحرزه الجنرال مود ، وفي ٢٨ شباط أُخبر الجنرال مود بأنه ملزم بأن يستثمر نصره إلى أبعد مدى ، بعد أن يضمن سلامة قواته ، وطلب من مود بأن لا يذهب عن باله أنه ليس من المرغوب فيه وصول الروس بغداد قبل البريطانيين (٢) .

ويتضح من ذلك مطامع البريطانيين وحرصهم على الوصول إلى بغداد قبل وصول حلفائهم الروس .

وفي الثاني من آذار استلم الجنرال مود تلغرافا يخبره أنه عليه أن يستثمر نجاحه لدرجة قصوى ، وأخبروه أن الفرقة العسكرية ١٣ سوف تبقى تحت إمرته وأن القوافل العسكرية سترسل له من الهند (٣) .

سابعا – استئناف المطاردة إلى بغداد :

بعد أن مكث الجيش البريطاني في العزيزية ، أصبحت منطقة انطلاق المطاردة ، وهناك أقام الجنرال مود مراكز القيادة لجيشه ، وفي الخامس من آذار عاود الجيش البريطاني مطاردته للقوات العثمانية المنسحبة ، وعند الوصول إلى (اللج) (٤) كان الجيش العثماني متخندقا بصورة جيدة يصعب الاستيلاء على مواضعه ، لكن الخيالة البريطانيون وصمودهم قد أثر على الموقف ، وكان العثمانيون ينوون التمركز في (اللج) ولكنهم انسحبوا أثناء الليل وزحفوا إلى سلمان باك ، ولكن سرعة تقدم الجيش

---

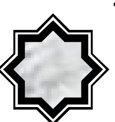
(1)Moberly (op.cit.) vol.3 – P.199 .

(٢) ويلسن ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٣٢ .

(٣) كان الجنرال مود قد أرسل تلغرافا مستخدما نفس الكلمات المستخدمة من قبل الجنرال نيكسون في ١٩١٥ حيث قال : « الطريق إلى بغداد يبدو مفتوحا بشكل تام ... » .

Magor (Temp . LT. col.) (A Brief outline Of The campaign in Mesopotamia 1914 – 1918) London – 1926 – pp. 115 – 116 .

(٤) انظر خارطة رقم (٣) من الملاحق .



البريطاني أجبرهم على الانسحاب هذه المرة إلى نهر ديالى الذي يبعد عشرة كيلومترات من بغداد [١].

يقول أمير البحر ونفردنن : ((إنه بعد اجتياز طاق كسرى وقفنا لقضاء الليلة في ذلك الجوار ، وعلمنا من الوثائق التركية بأن خليل باشا فكر في بادئ الأمر بالوقوف في (سلمان باك) [٢] ، ولكنه قرر الانسحاب بعد أن قضى ستة أيام في تحصينه لعدم تمكنه الصمود أمام التقدم الإنكليزي ، ولم يكن الوقت ليساعد على وصول الفيلق /١٣ التركي الذي أرسل من إيران لمساعدة جناحه الأيسر)) [٣] .

استمر الفيلق /١٨ العثماني بالانسحاب وكانت قواته العسكرية في تناقص مستمر ، وقد أخذ مواضع دفاعية غربي نهر ديالى يوم ٦ آذار وأمر قائد الفيلق /١٨ العثماني إرسال كامل الفرقة /٥٢ إلى ضفة دجلة اليمنى ، وأرسل بعض القطعات إلى خط (كرارة) [٤] ، ورغم أنهم كانوا قريبين من بغداد ، إلا أن ترتيبات التموين قد انهارت وكان الجنود العثمانيون بحاجة للمواد الغذائية وأدى هذا إلى إضعاف المعنويات [٥] .

يتضح من ذلك أن القوات العثمانية بدأت تتقهقر بسرعة ، بحيث أصبحت تخلي مواضعها بمجرد شعورها بوصول القوات البريطانية إلى مواضعها ، وكانت معنويات الجنود متدهورة للغاية لأسباب كثيرة منها فقدانها ثقتها بقادتها ، والتعب والإرهاق الذي عاشوه من المعارك المستمرة ، إضافة إلى عدم حصولهم على

---

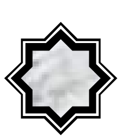
(1)George Buchanan , op. Cit. , pp.163 – 164 .

(٢) كان الأتراك قد أعدوا سنة ١٩١٥ خمسة خطوط دفاعية عن مدينة بغداد ، الخط الخارجي منها عند سلمان باك والداخلي يمتد من (تل محمد) وينتهي بعقرقوف ففكر خليل باشا أولاً الثبات عند سلمان باك ، لكنه رأى أن قواته ليست قادرة على الثبات في موقع متقدم طويل . ريجارد كوك : بغداد مدينة السلام ، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل ، ط١ ، بغداد ، مطبعة شفيق ، ١٩٦٧ ، ج٢ ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٣) ونفردنن ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٤) انظر خارطة رقم (٤) من الملاحق .

(5)Moberly (op.cit.) vol.3 , P.219 .



إمدادات التموين والغذاء الكافي الذي يساعدهم على الصمود بمواضعهم أمام الزحف البريطاني .

ثامنا – معارك ديالى :

بدأت معارك ديالى في يوم ٧ آذار إذ قام البريطانيون بعدة محاولات للعبور إلى الضفة الثانية من النهر لكنها باءت بالفشل بسبب ثيران العثمانيين الكثيفة (١) .
وحاول البريطانيون في ليلة ٨/٧ آذار عبور نهر ديالى بالعوامات عدة مرات ولكن محاولاتهم جميعها كانت فاشلة ، وتكبدوا خسائر كبيرة ويعزي ونفردنن خسارة القوات البريطانية في هذه المحاولات إلى (طلوع القمر) (٢) الذي أضاء المنطقة فكانت الأفضلية في جانب المدافعين ، وفي ٨ آذار قام البريطانيون بنصب جسر على نهر دجلة ، فعبرت بعض القطعات إلى الضفة اليمنى في ذلك اليوم واليوم التالي ، واستطاعت القوات العابرة من طرد العثمانيين من مواضعه ، التي تستر بغداد من الجنوب والجنوب الغربي (٣) .
وفي ليلة ٩/٨ آذار أعاد البريطانيون محاولة عبور نهر ديالى وقد كلف بذلك فوج (نورث لانكشير) ، فقد قامت المدفعية البريطانية بفتح نار كثيفة لإسناد قوارب العبور ، فتصدى المدافعون العثمانيون لذلك لكنهم فشلوا في إيقاف عملية العبور (٤) ، فقد عبر نحو (١٠٠ جندي) انضموا إلى بعضهم واحتلوا موضعا دفاعيا فقاتلوا طيلة يوم ٩ آذار . وقد حاول اللواء العثماني /٤٤ القيام بعدة هجمات مقابلة لكنها باءت بالفشل ، وقد عزز اللواء /٤٤ باللواء /٩ للقضاء على رأس الجسر البريطاني ، وقام اللواءان بهجوم فلم يفلحوا بالقضاء على القوة البريطانية العابرة ، وفي صباح يوم ١٠ آذار نصب جسر ظهر ذلك اليوم بعد أن قصفت المدفعية المواضع

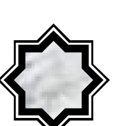
---

(1)Buchanan (op.cit.) – P.164 .

(٢) كاندلر أيضا يعزي إلى ضوء القمر مسألة فشل عملية العبور لنهر ديالى .
Candler (op.cit.) vol.2 – P.89 .

(٣) ونفردنن ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٤) يذكر كاندلر في كتابه أنه إضافة إلى القصف الشديد من قبل المدفعية البريطانية فإن الغبار الكثيف في يوم عملية العبور قد ساعد الزوارق للقيام بعملية العبور .
Candler (op.cit.) vol.2 – P.90 .



العثمانيـة ، وقـد عبـرت الفرقـة /١٣ بكاملهـا وحصـل صـدام بينهـا وبـين الـدفاعات العثمانية على خط (كرارة – تل محمد) (١) .

تاسعا – معارك الضفة اليمنى لنهر دجلة :

سبقت الإشـارة إلـى عبـور بعـض الوحـدات البريطانيـة فـي ٨ آذار إلـى الضـفة اليمنى من نهر دجلة في حين كان يجري قتال على الضفة اليسرى من النهر . وجه الجنرال مود انتباهه للضفة اليمنى حيث طلب من فرقة الخيالة والفيلق الأول التقدم بسرعة نحو بغداد ، لكن التقدم كان بطيئا في هذه الجبهة وذلك لأن منطقة العمليات كانت تخترقها قنوات عميقة . وعلى أية حال فإن فرقة الخيالة استلمت معلومات من استكشاف جوي أن خنادق العثمانيين تحتل موقعا متقدما في التلال الممتدة بين أم الطبول ، والنهاية الجنوبية الشرقية لمستنقعات عقرقوف (٢) .

وفـي ذات الوقـت وردت تقـارير مـن الاسـتطلاع الجـوي إلـى قائـد الفيلـق /١٨ بـأن البريطانيين وجهوا قطعات كبيرة إلى الضفة اليمنى من نهر دجلة فقرر تعزيز الفرقة /٥٢ ببعض القطعات الإضافية من الفرقة /٥١ ، ولذلك حاولت الفرقة /٧ البريطانية القيام بهجوم على مواضع اللواء /٤٣ لكنها فشلت في تحقيق أهدافها (٣) ، وفي يوم ٩ آذار وردت معلومات استخبارية عثمانية تفيد بأن رتلا بريطانيا عبر إلى الضـفة اليمنـى مـن نهـر دجلـة ، فـأمر قائـد الفيلـق /١٨ العثمـاني بإرسـال بعـض الوحدات من الضفة اليسرى إلى الضفة اليمنى من نهر دجلة لتكون قوة ساندة للفرقة /٥٢ . وخشية من قيام البريطانيين بعملية التفاف حول جناح اللواء /٤٣ الأيمن قرر القادة العثمانيون سحب اللواء المذكور في مساء يوم ٩ آذار إلى مواضع تلول (أم الطبول) (٤) ونتيجة للهجمات المتكررة التي قامت بها الفرقة /٧ البريطانية فقد تقرر سحب الفرقة /٥٢ العثمانية ليلة ١٠/٩ آذار إلى موضع تلول (أم الطبول) (٥) .

---

(١) شكري محمود نديم ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(2)Magor Temp (op. Cit.) pp.116 – 117 .

(٣) شكري محمود نديم ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(٤) انظر خارطة رقم (٤) من الملاحق .

(٥) محمد أمين العمري ، المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ٨٤ – ٨٧ .



وفي صبيحة يوم ١٠ آذار استأنف القتال حيث تقدمت ثلاثة ألوية بريطانية تسندها المدفعية وهي ألوية : (٣٥و٢٨و١٩) ، وخوفا من عمليات الالتفاف التي يقوم بها البريطانيون أمر الزعيم كاظم قرة بكر الفرقة /٥١ لاتخاذ موضع على يمين الفرقة /٥٢ [١] ، وقبيل الظهر هبت رياح شديدة فأثارت غبارا كثيفا . فامتلأت عيون المدافعين العثمانيين غبارا كثيرا [٢] .

عاشرا – سقوط بغداد :

بينما كان الجيشان المتحاربان متمركزين على ضفتي دجلة اجتمع القادة العثمانيون برئاسة خليل باشا في موضع قرب جسر الخر الواقع إلى الغرب من بغداد ، وكان معهم بعض الضباط الألمان ، وعند الغروب عقدوا مؤتمرا عسكريا للمداولة في الخطط التي يواجهون بها تقدم القوات البريطانية ، وقد ظهر خلاف في الرأي فيما بينهم إذ انقسموا إلى فريقين ، فكان فريق منهم وعلى رأسه خليل باشا يرى وجوب الصمود في بغداد والدفاع عنها ، وكان الفريق الآخر وعلى رأسه كاظم قرة بكر يرى ضرورة الانسحاب من بغداد قبل أن تتمكن القوات البريطانية من تطويقهم فيها [٣] .

وبعد تدارس الموقف اتخذ خليل باشا قراره الحاسم بالانسحاب وإخلاء بغداد ، وأرسل خليل باشا ببرقية إلى استنبول وضح فيها الموقف العسكري المتدهور وانهيار معنويات قواته ، وقد أشار بصريح العبارة : أن الفيلق /١٨ في ورطة أو مأزق وأن معنوياته من القائد إلى أصغر جندي متدهورة وأوضح أنه بإخلائه لبغداد قد خلص ما تبقى من قواته ومعداته من قبضة البريطانيين [٤] .

يتبين من خلال برقية خليل باشا إلى اتهام قائد الفيلق /١٨ وجنوده في الانتكاسات التي تعرض لها الفيلق ، ولذلك أبعد عن نفسه أي تقصير ، ويبدو أن موقفه الأخير

---

(١) ونفردنن ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٢) محمد أمين العمري ، المصدر نفسه ، ص ٩٠ – ٩١ .

(3)Barker , op. Cit. , p.375 .

(4)Moberly , op. Cit. , vol.3 , p.242 .

ريجارد كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٩٦ .

في المؤتمر العسكري يوم ١٠ آذار الذي أصرّ فيه على البقاء والدفاع عن بغداد كان مجرد ستار لتقصيره وسوء قيادته للجيش السادس .

بعد هذا القرار الذي اتخذ ، أخلى العثمانيون بغداد وانسحبوا إلى سامراء وقد نسفوا مخزن البارود الموجود (بباب الطلسم) وهو من الآثار العباسية [١] ويذكر ونفردنن : أن القوات البريطانية المرابطة في الضفتين تقدمت فوجدت المواضع خالية أمامها ، وقد واصل البريطانيون زحفهم على بغداد في الساعة السادسة صباحا ، فاحتلت دورية من قطعات (بلاك ووج) محطة القطار في غربي بغداد وكان (فوج بفس) هو أول قوة بريطانية دخلت بغداد ، وكانت الفرقة /١٣ قد تقدمت في الضفة اليسرى ، ودخلت مقدمتها المدينة صباح ذلك اليوم أيضا ، وهكذا تقدمت الجيوش البريطانية إلى مدينة (بغداد) [٢] ودخلتها في يوم الأحد الموافق ١١ آذار ١٩١٧ [٣] وسارت المراكب الحربية تمخر عباب دجلة فوصلت ضواحي بغداد وكان قائد القوة الجنرال مود يسير معها في زورقه الخاص [٤] .

ذكر عبد الكريم العلاف في كتابه (بغداد القديمة) : أنه صدرت الأوامر للموظفين بالنزوح عن بغداد وكنت أنا أحد النازحين ، وقد شاهدت تلك المدينة الصغيرة وهي تموج بالموظفين العسكريين والملكيين والجنود فأيقنت أن بغداد قد ضاعت من أيدي العثمانيين ، وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (نواح دجلة) وهي تتألف من واحد وثلاثين بيتا من الشعر وهذا بعض مما جاء في القصيدة :

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، سوريا ، مطبعة العرفان ، ١٩٣٥ ، ج١ ، ص ٣١ .

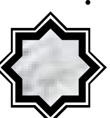
(٢) بدخول القوات البريطانية بغداد لم تشهد أي مجابهة برية بعد ذلك بين البريطانيين والعثمانيين في هذه المدينة ، ولكنها تعرضت لغارة جوية بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩١٨ فقد قامت الطائرات بقصف إحدى المستشفيات قرب بغداد .

W.O : 32/ 533/ 520 . X / N 02205 . D32 , P129 .

جريدة العرب ، العدد ٣١ ، ٦ شباط ١٩١٨ .

(٣) انظر خارطة توضيح احتلال بغداد رقم (٥) من الملاحق .

(٤) ونفردنن ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

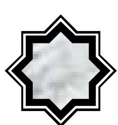


هـــي عينـــي ودمعهـــا نضـــاح	كـــل حـــزن لمائهـــا يمتـــاح
كيـــف لا أذرف الـــدموع وعـــزي	بيـــد الـــذل هالـــك مجتـــاح
قـــد رمتنـــي يـــد الزمـــان بخطـــب	جلـــل مـــا لليلـــه إصـــباح [1]

ولاحتلال القوات البريطانية بغداد لا بد من الوقوف على الأسباب التي أدت إلى إخفاق الجيش العثماني في الدفاع عنها وخاصة بعد حصار الكوت . وقبل التطرق إلى الأسباب يمكن القول أن الجيش العثماني قد أخطأ خطأ كبيرا بعد نجاحه في إجبار الجيش البريطاني بالتسليم في الكوت في نيسان ١٩١٦ ، إذ كان بالإمكان انتهاز الفرصة والقيام بملاحقة وطرد من تبقى من القوات البريطانية الموجودة في المثلث الجنوبي من العراق (البصرة ، العمارة ، الناصرية) . أما أسباب إخفاقات الجيش التركي فنذكر أولها وأهمها هو سيطرة القادة الألمان على الشؤون العسكرية والخاصة بتحريك القطعات ، فقد أقر هؤلاء القادة على أن مساحة الحركات الخطيرة هي الجبهة الألمانية وأن كل الميادين الأخرى تعد ثانوية بالنسبة إليها كذلك فإن الخطأ الذي ارتكب بإرسال الفيلق /١٣ العثماني إلى إيران لتعقب قوات الجنرال باراتوف كان من الأسباب المهمة أيضا للهزائم التي تعرض لها الجيش العثماني على جبهة دجلة . وقد ازداد تدفق الجيوش البريطانية وعلى رأسها الجنرال مود القائد الجديد الذي كان سبباً في استعادة بريطانيا كيانها في داخل العراق فأصبح الجيش البريطاني في مطلع عام ١٩١٧ يشكل عشرة أضعاف القوات العثمانية ، بينما القوات العثمانية لم تتلق إمدادات طيلة هذه الفترة وقد منيت بخسائر كبيرة في قواتها أثناء المعارك وعمليات التقهقر . ومن الأسباب الأخرى النقص الحاد في الحاجات التموينية فقد كان الجندي العثماني يفتقر إلى الغذاء المناسب للصمود في مواضعه . والسبب الآخر هو عدم الأخذ بالتقارير التي كان يرسلها قائد الفيلق /١٨ العثماني كاظم قرة بكر ، الذي كان يُعلم قيادته بقرب قيام البريطانيين بهجوم واسع النطاق

---

(١) عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة ، ط١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .



على فيلقه إلا أن آرائه لم تجد آذانا صاغية من قيادة الجيش السادس العثماني والمتمثلة بالقائد خليل باشا ، والذي لم يصل إلى مستوى نظيره الجنرال مود الذي كان حاضراً بين صفوف جنوده لقيادة المعركة من موقع متقدم . على أية حال كان يوم ١١ شباط ١٩١٧ يوما مؤلما بالنسبة لمدينة بغداد فقد استبدلت مستعمراً بمستعمر جديد مجهول مارس قسوة أشد من الذي سبقه حيث ابتدأت معاناة جديدة لإدارة قاسية من سلطة لا يهمها شيء سوى ابتزاز المجتمعات والاستحواذ على خيراتها وثرواتها .

الفصل الثاني

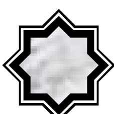
الإدارة البريطانية لمدينة بغداد

(١٩١٧ – ١٩٢١)

أولا – الإجراءات الإدارية البريطانية في مدينة بغداد بعد احتلالها :

في أواخر العهد العثماني كان العراق مقسما إلى ثلاث ولايات (البصرة ، بغداد ، والموصل) وأن كل ولاية تنقسم إلى سناجق فكانت ولاية بغداد تتألف من سناجق (بغداد ، الديوانية ، كربلاء) ، وتألف سنجق بغداد من عشرة أقضية هي خراسان ، الدليم ، العزيزية ، كوت الإمارة ، الكاظمية ، خانقين ، الجزيرة ، سامراء ، عنه [1] .

(١) عبد الرزاق الهلالي : معجم العراق ، بغداد ، مطبعة النجاح ، ١٩٥٣ ، ج١ ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ . ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .



عندما احتلت القوات البريطانية بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ أذاع الجنرال مود منشوره إلى أهالي بغداد الذي وضح فيه مستقبل الإدارة الداخلية للمناطق المحتلة ، وبعد عشرة أيام من هذا التصريح تلقت حكومة الهند من وزارة الحرب التفاصيل أو الخطوط العامة التي تتمشى مع هذا التصريح ، وذلك بعد أن تشكلت لجنة أطلق عليها اسم (لجنة إدارة بلاد ما بين النهرين) ، فأصدرت مقرراتها الخاصة بإدارة ولايتي البصرة وبغداد ، ويمكن إيجاز ما يتعلق منها بالجوانب الإدارية بما يأتي :

١) إن الأراضي المحتلة يجب أن تديرها حكومة صاحب الجلالة البريطانية وليس حكومة الهند .

٢) تدار بغداد وفق واجهة عربية ، ويتم اختيار حاكم محلي أو تديرها حكومة خاضعة للحماية البريطانية في كل شيء عدا الاسم ، وسوف لا تكون لها علاقات مع الدول الأجنبية وستعهد المهام القنصلية التابعة لها إلى قناصل صاحب الجلالة البريطانية .

٣) في حالة عدم إلحاق البصرة بالهند ، عند ذلك يكون المندوب السامي المقيم في بغداد على رأس إدارة البلاد ما بين النهرين ، وأن يحكم البصرة حاكم تابع له ، وفي حالة إلحاق البصرة بالهند يكون عنوان رئيس الحكومة (حاكم البصرة والمندوب السامي لبلاد ما بين النهرين) على أن يكون له مقر اسمي في البصرة على الرغم من إقامته في بغداد (١) .

وما أن دخلت القوات البريطانية بغداد حتى بدأت بتفتيش البيوت ، بيتا بيتا ، بحثا عن الضباط والجنود الأتراك وجميع الأسلحة والسجلات التركية (٢) .

يذكر عبد العزيز القصاب حول هذا أن قسما من الأهالي الذين يمتلكون أسلحة بدءوا يخرجون ليلاً ، ويلقون أسلحتهم في الطريق خوفا من البريطانيين ، ويذكر أيضا أن البريطانيين بدءوا يضربون كل شخص يخالف نظام السير في الشوارع ، ولا سيما

---

(1)F.O : 371 / 604 / 3042 . X / N 07803 . D 14 , pp40 – 43 .

(٢) علي ناصر حسين ، الإدارة البريطانية في العراق (١٩١٤ – ١٩٢١) ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ ، ص ١٥٥ .



على الجسور ، فقد كان من المفروض عبور الجسر من الجهة اليمنى فإذا أخطأ العابر وعبر من جهة اليسار لحقه المأمور وضربه ضربا شديدا مع كل وسائل السب والشتم [١] . وبدأت السلطة البريطانية بإصدار البيانات والإعلانات التي حذرت فيها سكان بغداد من القيام بأية أعمال عدوانية ضد القوات البريطانية وقررت أيضا منع التجول من الساعة الثامنة مساءً إلى الساعة الخامسة صباحاً وهددت بإطلاق النار على المخالفين [٢] ، كما طلبت من المختارين تقديم المعلومات المفصلة والدقيقة عن مناوئي قوات الاحتلال وأن يتعهد المختار بتجهيز دائرة العمل بالعدد المطلوب من سكان محلته للعمل في المشاريع العسكرية [٣] . وفي مذكرة قدمتها دائرة العمل أشارت فيها إلى أنه طلب من مختاري (١١) محلة في بغداد أن يقدموا (٥) عمال لكل محلة بتاريخ ٢ تموز ١٩١٧ ليحلوا محل العمال الهنود ، فلم يحضر من جميع المحلات غير (٢٣) عامل فقط . وأشار التقرير إلى أن أغلبية الذين يرسلون للعمل هم من الأطفال والنساء ، واقترح في المذكرة أن تعطى صلاحيات لفرض غرامات باهظة على أي محلة تفشل في إرسال الأعداد المطلوبة من العمال [٤] .

يصف التقرير الذي قدمه (هاوكر) الحاكم العسكري لمدينة بغداد ، التأسيس التدريجي (لحكومة بغداد العسكرية) التي بدأت عملها في ١٧ آذار ١٩١٧ وقد وصف هاوكر الفقرات التي أولى عناية بها حال تأسيس تلك السلطة وهي :

١) مبنى الحاكم العسكري .
٢) تخصيص دور للأحياء العسكرية .

---

(١) عبد العزيز القصاب ، من ذكر يأتي ، ط١ ، مطبعة قضول ، ١٩٦٢ ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

(٢) علي ناصر حسين ، المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .

(3)Administration Report Of The Baghdad Wilayat , 1917 p.173 .

(٤) د . ك . و ، الاحتلال البريطاني / الإدارة الملكية المركزية ، الملف ٢/٦١ ، و١ ص١ .



٣) السيطرة على الأسعار [١] .

٤) فتح الأسواق .

٥) السيطرة على الفنادق والمطاعم .

٦) تخصيص مبنى لجمعية الشباب المسيحي .

٧) فتح محاكم دينية محلية .

٨) استخدام سعاة البريد لتوصيل الرسائل .

٩) فتح مدارس مقترحة .

١٠) تنظيم الحراسة الليلية .

١١) السيطرة الصحية .

١٢) تنظيم شرطة عسكرية ومدنية [٢] .

كان كادر الحكومة يتألف من :

١) الحاكم العسكري [٣] : العميد هاوكر (C . J . Hawker)

٢) نائب الحاكم العسكري : شرق بغداد ، الميجر كوردن (J . Gordon)

٣) نائب الحاكم العسكري : غرب بغداد ، الميجر أولفر (D . J . Oliver)

٤) مساعد نائب الحاكم العسكري : الكابتن جوين (A . H Gwyn)

وإضافة إلى هذا الكادر العسكري هناك أيضا ضابط طبي ونائب مفوض الشرطة وضابط ركن للحاكم العسكري [٤] ، وكانت هناك وظيفة مساعد ضابط سياسي لشرق بغداد ، الذي شغلها الكابتن (كلن) أما الضابط السياسي لغرب بغداد فكان (

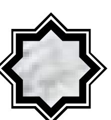
---

(١) منذ ١٩ آذار ١٩١٧ أصدرت قيادة الجيش تسعيرة للمواد الغذائية وذلك لتوفير هذه المواد وبأسعار زهيدة لقواتها المسلحة . د . ك . و ، الاحتلال البريطاني / الإدارة الملكية المركزية ، الملف ٢/١٥٨ ، و ٢ ص ٣.

(2)Report , op. Cit. , p.171 .

(٣) شغل هذه الوظيفة الكولونيل هاول في ١٩١٨/٩/٢٣ ، وفي ١٧ كانون الأول ١٩١٨ استبدل بالكولونيل بلفور ، وبتاريخ ١٩٢٠/٧/١ تم تعيين الميجر بولارد بدلا عنه . أحمد سوسة ، أطلس بغداد ، بغداد ، مطبعة مديرية المساحة العامة ، ١٩٥٢ ، ص ٣٢ .

(4)Report , op. Cit. , p.172 .



هوبكنز) ، ومنذ السابع والعشرون من حزيران ١٩١٧ أصبح الكابتن (كلن) مساعد ضابط سياسي لغرب وشرق بغداد وذلك بعد تعيين الضابط (هوبكنز) ضابطا سياسيا مساعداً في القرنة [١] وأصبحت الكاظمية تمثل الإدارة الثالثة ، وعهد بإدارتها إلى مساعد الحاكم السياسي النقيب (مارشال) [٢] .

مارست الحكومة العسكرية حصارا اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ضد أهالي مدينة بغداد ، ومن خلال الأمثلة التي سنذكرها يتبين حجم المعاناة والضغط النفسي الذي تعرض له سكان بغداد من قبل السلطة العسكرية المحتلة . وبدأ هذا الحصار منذ منتصف عام ١٩١٧ ، ولم يخفف حتى يوم ٢ تشرين الثاني ١٩١٨ بعد الخطاب الذي تلاه الجنرال مارشال أمام مجموعة كبيرة من أعيان بغداد وممثلي الأقليات ، ومما جاء في الخطاب : ((... يمكننا اليوم أن نبين أن الوعود التي أعطيت مراراً ، يجب أن تنجز في أول فرصة ممكنة ، وبمثابة عربون في الوقت الحاضر يدل على نوايانا الحسنة ، أبلغكم ما يأتي :

١) أن أسرى الحرب ، ما عدا الذين هم من الجيش التركي ، المعتقلين في الهند ، يسمح لهم بالرجوع إلى أوطانهم .

٢) أنه في داخل الأراضي المحتلة ، تطلق الحرية التامة للتجارة فتخفف مضايقات الحصار .

٣) تخفيف التضييق أيضا على السفرات الشخصية .

٤) يسمح مرة ثانية بنقل الجثث للدفن في كربلاء والنجف بشروط مناسبة .

٥) تفتح الطرق من جديد للزيارات المنظمة من قبل الأهالي للأماكن المقدسة ...)) [٣] .

وبعد هذا الخطاب بدأت حكومة بغداد العسكرية بإصدار البيانات الخاصة بتخفيف الحصار عن مدينة بغداد ومثال ذلك البيان رقم (٥٨) والذي يمس الحرية

---

(1)Ibid .p. 25 .

(٢) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، طبع بمساعدة من وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧١ ، ص ١٢٢ .

(٣) النص الكامل للخطاب نشرته جريدة العرب ، العدد ١٣٠ ، ٤ تشرين الثاني ، ١٩١٨ .

الشخصية للمواطنين . وقد سمح البيان للأشخاص الذين يرومون إقامة وليمة بلا تحصيل مأذونية لذلك ، ويبدو أن السلطات كانت تمنع إقامة الولائم وعقد المناسبات إلا بموافقة دائرة الحاكم العسكري ، وحتى المأذونية كانت تعطى مقابل رسم يدفعه الشخص إلى دائرة الحاكم العسكري (١) . وصدر بيان آخر خفف أيضا الحصار على التجارة الداخلية (٢) . وبيان آخر بخصوص تنقلات الأهالي وأسفارهم في بغداد ، وأوضح ذلك البيان بأنه لا حاجة للأهلين بحمل جوازات شخصية تخولهم الدخول إلى بغداد أو الخروج منها (٣) .

إن الحصار طال حتى طعام الأهالي فقد أمرت السلطة البريطانية بأن يباع اللحم أربعة أيام في الأسبوع (الأحد ، الثلاثاء ، الخميس ، الجمعة) . وكانت تحدد عدد الرؤوس من الماشية التي يسمح بذبحها ، وكانت تخفف هذه الإجراءات في شهر رمضان (٤) ، وبمناسبة عيد الأضحى (٥) .

ويشير التقرير الذي قدمه الحاكم العسكري في نهاية عام ١٩١٧ أنه أصبح ضرورياً أن توضع تحت السيطرة كل أسواق وتجهيزات الحبوب والاستيلاء على كل شحنات الحبوب ، وتوزيع تلك المواد وفق نظام البطاقة ، حيث كانت حصة كل فرد من السكان نصف كيلو من الحبوب يوميا ، رزاً أو طحيناً وقد أعدت بطاقات لتوفير تجهيز لخمسة أيام لكل شخص (٦) . ساعد نظام البطاقات على إجراء تخمين قريب لعدد سكان المدينة وقد بلغ التخمين (١٨٥٠٠٠) ألف نسمة منهم (١٢٩٠٠٠) من المسلمين و (٣٥٢٢٥) من اليهود و (١٥٠٠٠) من النصارى (٧) ، أما

---

(١) جريدة العرب ، العدد ١٣١ ، ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ .

(٢) جريدة العرب ، العدد ١٣١ ، ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ .

(٣) جريدة العرب ، العدد ١٧٢ ، ٢٣ كانون الأول ١٩١٨ .

(4)Report , op. Cit. , p.177 .

جريدة العرب ، العدد ١١ ، ١٤ حزيران ١٩١٨ .

(٥) جريدة العرب ، العدد ٨٦ ، ١١ أيلول ١٩١٨ .

(6)Ibid , p.175 .

(٧) ريجارد كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٠٤ .



مدينة الكاظمية والتي كانت منفصلة عن بغداد فكان عدد سكانها يبلغ (١٥٠٠٠) ألف تقريبا [١] .

إضافة إلى هذه الإجراءات فإن السلطة المحتلة قامت باستيفاء الضرائب وكما تقول المس بيل بوساطة طريقة الالتزام القديمة [٢] واشتمل الالتزام أيضا على حتى الجسور المقامة على نهر دجلة [٣] .

يبدو أنه كان للبريطانيين هدفان من منح الالتزام ، وأول هذه الأهداف هو ابتزاز الأموال من مختلف فئات المجتمع وثاني هذه الأهداف هو الكراهية والبغضاء التي ستحل بين الملتزم ودافعي هذه الرسوم مما يؤدي إلى زيادة التفرقة بين أبناء المجتمع الواحد وهذا ما سعت إليه السلطة المحتلة وفق سياسة (فرق تسد) .

ومن البيانات الأخرى التي أصدرها الحاكم العسكري لبغداد البيان (٦١) والذي سمح فيه بنقل الجثث إلى كل من كربلاء والنجف بعد الحصول على جواز نقل الجثة مقابل رسم يدفع لدائرة الحاكم العسكري [٤] .

ويبدو أن الحكومة البريطانية أرادت أن توهم الشعب العراقي بأن السماح بنقل الجثث ، والتخفيف عن تنقلات الأهالي وأسفارهم ما هو إلا نوع من الحكم الذاتي.

هذه بعض الأمثلة اليسيرة التي تكشف حقيقة ما كان يعانيه الأهالي في بغداد من السيطرة العسكرية المطبقة عليهم وقد اعترف الجنرال (مارشال) بهذه الحقيقة أثناء خطابه الذي ألقاه في الاحتفال الذي أقيم في بغداد لمساعدة جمعية الصليب الأحمر ومما جاء في خطابه : ((... إنني بصفتي القائد العام واقف تمام الوقوف على مبلغ المتاعب التي يتحملها السكان بسبب الأحوال الحربية فالتضييق على حركاتهم وسكناتهم والتضييق على التجارة ، والتضييق على الحرية هذه كلها أمور لا مناص منها في زمن الحرب . على أني أود من صميم الفؤاد أن يخف عبؤها عليكم إلى أقل درجة ممكنة طبقا لغاياتنا الحربية . هذا وإني لا أستطيع إلا أن أنصحكم

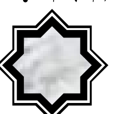
---

(١) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٣٠ .

(٢) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٣) جريدة العرب ، العدد ١٦٠ ، ٩ كانون الأول ، ١٩١٨ .

(٤) جريدة العرب ، العدد ٦٧ ، ٢٠ آذار ١٩١٨ .



بالاعتصام بالصبر وأن أذكركم بأن عبيء هذه التضييقات هو أخف حملاً على عاتق العراقيين منه على عواتق الأمم المحاربة في البلدان والأمصار الأخرى ٠٠٠)) (١) .

وهكذا فقد برر القائد مارشال هذه التضييقات على السكان بسبب استمرار الحرب ، وألمح أيضا إلى أن الأمم المحاربة تتحمل أكثر مما تتحمله الدولة الراضخة تحت الاحتلال ، وكأنما بدعوته هذه أظهر بأن دخول بريطانيا الحرب كان لصالح القطر العراقي .

لم تكتف السلطة البريطانية بما حصلت عليه من الضرائب والرسوم فقد حاولت وبأساليب ملتوية الحصول على الأموال ومنها جمع التبرعات : كتبرعات لبناء أثر خالد للجنرال مود إذ تشكلت لجنة من الطوائف والملل والأديان جميعها في بغداد لجمع التبرعات (٢) . وقد ذكرت جريدة العرب على صفحات أعدادها اللاحقة قوائم طويلة لأسماء المتبرعين من أهالي بغداد ، وحتى أن أهالي البصرة بعد أن سمعوا بذلك عقدوا اجتماعا في عمارة سينما (عال العال) فتبرع الحاضرون ما مجموعه (١٠٨٣٠٠) روبية (٣) . كما جرت تبرعات أخرى لجمعية الصليب الأحمر (٤) .

على الرغم من مساوئ الإدارة البريطانية في بغداد أبان حقبة الاحتلال لكن تلك الحقبة لم تخلُ من محاسن ومنها أن المحتلين هيئوا المجتمع للتأثر بالمدنية الغربية بقدر ما تسمح به الأحوال الاجتماعية والفكرية ، يضاف إلى ذلك أن حكومة الاحتلال استخدمت أنظمة جديدة وأساليب إدارية حديثة ، واستعملت طرائقاً علمية لمعالجة مشكلات البلاد ، ولو أنها لم تفعل ذلك إكراما للعراقيين بل ليعود عليها ذلك بالمنفعة المادية . ومثال على ذلك أنه استعمل الكهرباء لأول مرة في بغداد بتاريخ ١

---

(١) تم نشر هذا الخطاب بملحق خاص (باللغتين العربية والإنكليزية) في جريدة العرب ، العدد ١٢٤ ، ٢٥ أيار ١٩١٨ .

(٢) جريدة العرب ، العدد ١٠٦ ،٣ كانون الأول ١٩١٧ .

(٣) جريدة الأوقات البصرية ، العدد ٢٧ ، ١٠ كانون الأول ١٩١٧

(٤) جريدة العرب ، العدد ١٠٧ ، ٦ أيار ١٩١٨ .



تشرين الثاني ١٩١٧ [١] ، وقد نشر الحاكم العسكري لبغداد هاوكر إعلانا في آذار ١٩١٨ بين فيه المبالغ المترتبة على توزيع الكهرباء [٢] . أما بالنسبة لتجهيز مدينة بغداد بالماء ، فيشير التقرير البريطاني لمدينة بغداد عام ١٩١٩ أن الجيش تولى تجهيز المياه ومنذ ذلك الحين أصبح يدار تحت سيطرة عسكرية وقد تألفت الشبكة من (٤) محطات ضخ على الضفة اليسرى لدجلة في القلعة ، والميدان ، والمصبغة ، وسلطان علي وهناك محطة أخرى على الضفة اليمنى في خض الياس وضخت كل هذه المحطات ماء نهر خام من دجلة ولم يتبين نظام تصفية في ظل حكم العثمانيين . وبعد الاحتلال أجريت تحسينات على محطات الضخ ونصبت محطتان إضافيتان إلى جانب محطة تصفية خاصة في أعلى المدينة خصصت لاستعمال مجموعة من المستشفيات الكبيرة ، وحتى مع هذه الإضافات كان التجهيز الإجمالي غير كاف [٣] .وقد قُدمت مذكرة بتاريخ ١٩١٩/٤/٢٣ حول توسيع شبكة الماء في بغداد ، وبيَّن في مذكرته أن نصف مليون باون سيكون مطلوبا لإكمال المشروع الجديد ، وبين فائدة المشروع وما سيعود على السلطة البريطانية من عوائد

---

(١) كتبت جريدة العرب مقالة بتوقيع (ابن الأخباري) حول تنوير أحد شوارع بغداد بالمصابيح الكهربائية يقول فيها : كان ميعاد تنوير المصابيح في ليلة أول تشرين الثاني ١٩١٧ ... فلما رأى هذا المشهد السائرون في الشارع أخذوا يتحدثون بأمر هذا النور ... فسمعت بعضهم يقول هل تعلمون كيف أضاءت هذه المصابيح المتوهجة ؟ إنها اتقدت بعمل الجن فإن البريطانيين سخروا لخدمتهم الجن ...

نص المقال انظر : جريدة العرب ، العدد ٨١ ، ٣ تشرين الثاني ١٩١٧ .

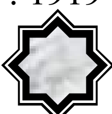
(٢) كانت الرسوم كما يلي : أ) يؤخذ رسم ٤ روبيات شهريا على المصباح نمرة (٣٠ واط) .

ب) يؤخذ رسم ٨ روبيات شهريا على المروحة المنضدية .

ج) يؤخذ رسم ١٦ روبية شهريا على المروحة السقفية .

جريدة العرب ، العدد ٥١ ، ١ آذار ١٩١٨ .

(3)Annual Report Baghdad Division . 1919 , p.56 .



مالية [١] ، وقد رد نائب الحاكم الملكي حول تنفيذ المشروع بأن الحكومة لا توافق عليه، لذلك فإن مسألة منح أي امتيازات لم تطرح بعد [٢] .

استمرت (حكومة بغداد العسكرية) في تنفيذ سياستها الإدارية حتى صدر بيان من دائرة الحاكم العسكري الذي تضمن قراراً بإلغاء وظائف نائب الحاكم العسكري في بغداد ونائب الحاكم السياسي في الكاظمية [٣] ، ومعاون الحاكم السياسي في بغداد والكاظمية اعتبارا من ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٠ . واستحدثت تشكيلات إدارية جديدة بدلا عن الوظائف الملغاة منها قائمقام الكاظمية ، ومدير ناحية المعظم (الأعظمية) ، إضافة إلى منصب رئيس بلدية بغداد والذي شغله عبد المجيد الشاوي منذ ١ تموز ١٩١٩ [٤] . وصدر بيان آخر من دائرة الحاكم العسكري والسياسي (بولارد) في ١١ كانون الأول ١٩٢٠ ألغى فيه وظيفته (الحاكم العسكري والسياسي) ، وأشار البيان أن تكون الاتصالات مع تصرف لواء بغداد في السراي [٥] ، والذي شغل هذه الوظيفة رشيد بك الخوجة في مطلع شهر كانون الأول ١٩٢٠ [٦] .

لقد استحدث هذه الوظائف بعد وصول برسي كوكس إلى بغداد وقيامة بتشكيل الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة عبد الرحمن النقيب في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ . ويذكر برسي كوكس في مذكرته : ((أن أول خطوة قام بها في تطبيق سياسية بريطانيا الجديدة هي إجراء تحوير كبير ضروري وسريع في شكل الإدارة المدنية

---

(١) د . ك . و ، وثائق البلاط الملكي / الديوان ، الملفة ٢٣١٨ / ٣٢٠٥٠ ، وا ص ١ – ٢.

(٢) د . ك . و ، وثائق البلاط الملكي / الديوان ، الملفة ٢٣١٨ / ٣٢٠٥٠ ، و١١ ص ٢١ .

(٣) كان يشغل هذه الوظيفة عام ١٩١٩ الكابتن (ريد) فتم استبداله في أيلول ١٩١٩ (بمحمد سرور خان الكابلي) . جريدة العرب . العدد ٦٥٧ ، ١٧ أيلول ١٩١٩ .

(٤) جريدة العراق ، العدد ١٤٩ ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

(٥) جريدة العراق ، العدد ١٦٣ ، ١٣ كانون الأول ١٩٢٠ .

(٦) جريدة الاستقلال ، العدد ١٨ ، ٥ كانون الأول ١٩٢٠ .



وتبديل صبغتها البريطانية إلى صبغة عربية بإنقاص كبير لعدد الموظفين المدنيين من البريطانيين والهنود)) (١) .

ثانيا – مجلس بلدية بغداد :

حاول البريطانيون تقديم الدليل لحسن نواياهم فابتدعوا فكرة تدريب العراقيين على الحكم الذاتي بوساطة مجالس بلدية (٢) إدارية تكون عربونا للاستقلال الذي وعدوهم به ، لذلك تشكلت ومنذ بداية دخول القوات البريطانية بغداد (اللجنة البلدية الاستشارية) والتي عقدت اجتماعا لانتخاب مجلس بلدي واختير أعضاء ممثلين لمختلف الطوائف والجماعات لاحتلال مقاعد في المجلس (٣) .

---

(١) صفحة من تاريخ العراق الحديث من سنة ١٩١٤ – ١٩٢٦ ، تكوين الحكم الوطني في العراق ، مذكرتان خطيرتان ، الأولى بقلم السر برسي كوكس والثانية بقلم السر هنري دوبس ، ترجمة بشير فرجو ، الموصل ، ١٩٥١ ، ص ٤٢ .

(٢) علماً أن المجالس البلدية سبق أن أسست في العراق أبان الفترة العثمانية المتأخرة وقد أنشأت أول بلدية في بغداد عام ١٩٦٨ وكان موقعها في الرصافة وكان رئيسها آنذاك إبراهيم الدفتري ، أما في عام ١٩١٦ أي قبيل دخول القوات البريطانية بغداد فكان مديرها محمد رؤوف الجادرجي . د . جميل موسى النجار ، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد ، ط٢ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

(3)Report Of The Baghdad Wilayat , 1917 . p.172



ففي مطلع كانون الثاني ١٩١٨ كان يتألف (مجلس البلدية) من رئيس البلدية الميجر كوردن وتسعة أعضاء هم : خمسة من المسلمين : ١) حمدي بابان ٢) جعفر جلبي الحاج داود ٣) عبد اللطيف اثنيان ٤) عبد المجيد الشاوي ٥) الحاج محمود أوطرقجي ، واثنان من المسيحيين وهما : ١) اسكندر عزيز عيسائي ٢) كيورك اسكندر ، واثنان من اليهود وهما : ١) مناحيم صالح دانييل ٢) يهودا زلوف (١) .

وقد نشرت جريدة العرب مقالا في صدر عددها (١٤١) وجاء فيه : ((أذيع على أهالي العراق من وقت إلى آخر أن سياسة الحكومة البريطانية ترمي دائما إلى تنشيط روح الوطنية والاستقلال في البلاد التي يمتد إليها النفوذ البريطاني ... ولا ريب أن الطريق المثلى التي يخطوا بها الأهالي أول خطوة تكون باشتراكهم فعلاً في إدارة أمورهم المحلية الخاصة ... وطبقا لهذه الخطة قرر أن ينشأ في بغداد من أول شهر كانون الثاني ١٩١٩ المقبل مجلس بلدي للنظر في أمور البلدية ويتألف هذا المجلس من رئيس ونائبين ثانيين ومن كاتم أسرار ومعاون كاتم أسرار ... وعلى المجلس الذي أعطي هذا المقدار من السلطة المالية أن يعتني في الأمور الآتية : التنظيف والصحة العامة والمستشفيات وإسعاف الفقراء والطرق والمتنزهات والأسواق والحرف وتخطيط الدور والأبنية والتجارة النهرية والأمور الأخرى العائدة إلى إدارة البلدية ...)) (٢) .

يبدو في هذا المقال أن غرض الحكومة من تأسيس حكومات وإدارات وطنية إنما هو إنشاء مجالس بلدية تتولى مراقبة تنظيف الطرق والاعتناء بالمتنزهات وتخطيط الدور ، وغيرها من الأعمال التي وردت في هذا المقال ، لقد عدّ هذا المقال أن العناية بالمتنزهات وتنظيف الطرق نوعا من الحكم الذاتي والاستقلال . لقد توهموا عندما أرادوا لهذا المقال أن يلقى ترحابا من الأهالي ، فليس من السذاجة بالسكان أن

---

(١) جريدة العرب ، العدد ٩ ، مجلد ٢ ، ١١ كانون الثاني ، ١٩١٨ .

(٢) محمد مهدي البصير ، تاريخ القضية العراقية ، تقديم غسان العطية ، ط٢ ، لندن ، ١٩٩٠ ، ج١ ، ص٥٢ –٥٣ . جريدة العرب ، العدد ١٤١ ، ١٦ تشرين الثاني ١٩١٨.



يرحبوا بما جاء في المقال وبينهم شريحة كبيرة من المثقفين ومن نخبة المجتمع . وقد لقي المشروع معارضة شديدة ، وفي بغداد أدى إلى إقناع السلطة البريطانية بلزوم التراجع عن هذا المشروع [١] .

عُوض مشروع تشكيل (مجلس بلدي) لبغداد على (اللجنة البلدية الاستشارية) التي كانت موجودة في تشرين الثاني ١٩١٨ ، وكانت أهم نقطة يجب أن تقرر هي كيفية انتخاب المجلس البلدي ، فقد فضل بعضهم طريقة الانتخاب المباشر وفق الأسلوب العثماني الذي كان يشترط توفر بعض المؤهلات المالية في المناصب ، أما الفريق الآخر فقد كان يفضل أن يكون الانتخاب على درجتين ، فينحصر في هيئة تتألف من (٥٠٠) إلى (٦٠٠) ناخب بينهم مختارو المحلات كل من محلته على أن يكون ذلك خاضعاً لمصادقة لجنة تعين لهذا الغرض [٢] .

وفي الاحتفال الذي أقيم بمناسبة مولد ملك بريطانيا في ٣٠ مايس ١٩١٩ انتهز الكولونيل (ويلسن) [٣] هذه الفرصة وألقى خطابا ، أوضح فيه سياسة حكومته الواجب اتباعها في العراق وهذا بعض مما جاء في الخطاب : ((٠٠ لقد أعلنت الحكومة البريطانية الآن نيتها على إبداء المعاونة لتأسيس حكومة في العراق توافق مشارب الأهلين وأن تكفل في الوقت نفسه سير العدل سيراً مستقيماً ٠٠٠ إذاً ففي بغداد والبصرة والعمارة ستكون إدارة الأمور البلدية ملقاة من الآن فصاعدا على عواتق المجالس البلدية بإشراف الحاكم السياسي إشرافاً عاماً على أن يكون

(١) السيد عبد الرزاق الحسني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٦٨ .

(٢) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .

سؤدد كاظم مهدي ، آرنولد ويلسن ودوره في السياسة العراقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ ، ص ١٠٦ .

(٣) آرنولد ويلسن (١٩١٨ – ١٩٢٠) هو الحاكم السياسي في العراق الذي خلف السير برسي كوكس عندما نقل كوكس إلى طهران في نيسان ١٩١٨ وزيرا مفوضا في طهران وعند اشتداد الثورة (١٩٢٠) فكرت الحكومة البريطانية باستبداله بالسر برسي كوكس فغادر العراق ١٩٢٠ وحل محله كوكس الذي تمكن من تهدئة الحالة .

باقر أمين الورد ، المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .



رئيس الحكومة البلدي عراقيا تنتخبه الحكومة وتدفع له راتباً لقاء خدماته ...)) [١]
.

وتحقيقاً للالتزام الذي أُعطي فقد شرعت الإدارة البريطانية عام ١٩١٩ بتشكيل المجالس البلدية ، ففي بغداد عرضت الإدارة البريطانية على ناجي السويدي في تموز منصب رئيس البلدية ، الذي وصل من سوريا في أوائل حزيران ١٩١٩ ، والذي كان في ذلك الوقت في إجازة من حلب حيث شغل منصب نائب الحاكم السياسي ضمن الحكومة العربية ، فوافق على المنصب [٢] ، وقد طلب منه وضع الترتيبات الإدارية الجديدة المتمثلة بتشكيل المجالس البلدية ، ولكن سرعان ما دب الخلاف بينه وبين البريطانيين ، حينما اقترح أن يكون انتخاب المجلس على أساس حر ، ولا يكون ضمن أعضائه أي ضابط بريطاني عدا الضابط الصحي ، ومهندس البلدية ، فقدم استقالته في ١٤ تموز ١٩١٩ ، وأشار في كتاب الاستقالة ، بأن إدارته للشؤون البلدية قبل انتخاب المجلس البلدي ، وإكمال تشكيلاته الإدارية سوف لا تأتي بالنتائج المتوخاة [٣] .

استمر آرنولد ويلسون في جهوده لإنجاح مشروعه في تشكيل المجالس البلدية ، لذلك عرض المنصب على (السيد عبد الرحمن النقيب) [٤] الذي رفضه ،

---

(١) الحسني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٦٨ – ٧٠ . جريدة العرب ، العدد ٥٦٧ ، ٣١ أيار ١٩١٩ .

(2)Report (Baghdad Division) 1919 , p.6 .

المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٩٧ .

ل . ن . كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحريرية في العراق ، ترجمة عبد الواحد كرم ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ١٥٥ .

(٣) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٩٨ – ٣٩٩ .

(٤) ولي رتبة النقابة بعد وفاة أخيه السيد سليمان النقيب بشهرين ، وقد منحه السلطان عبد الحميد رتبة كبار المدرسين ، ورتبة موالي ... ثم رتبة الحرمين الشريفين ومنح العديد من الأوسمة منها وسام الجهاد وأوسمة من الدرجة الأولى والثانية . محمد صالح السهروردي ، لب الألباب ، ط١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٣٣ ، ج٢ ، ص ١٣٦ .



كما رفض العديد من عروض التوظيف ، على أسس الحالة الصحية ، وعُرض المنصب أخيراً عملا بنصيحة النقيب على عبد المجيد الشاوي في أيلول مع الحاج محمد حسن جوهر بصفة مدير الكرخ ، (وعبد العزيز المظفر) (١) في منصب مماثل في الرصافة (٢) ، وقد عين آرنولد ويلسن لجنة تتألف من تسعة أشخاص من وجهاء المدينة من المسلمين والمسيحيين واليهود ، وطلب منهم أن يختاروا أعضاء (مجلس البلدية) من هيئات انتخابية متعددة ، وقد اشترط أن يكون الناخبون الأوليون من الملاكين الذين يتجاوز عمرهم الواحد والعشرين عاما والذين يدفعون ضريبة ملك سنوية لا تقل عن (٤١) روبية ، وبهذا تحدد عدد المصوتين ، وأصبح يبلغ (٧٦٢) مصوتا وهو عدد يعده وجهاء بغداد كافيا لسكان يقارب عددهم (٢٠٠٠٠٠) ألف نسمة (٣) .

بتاريخ ١٩١٩/١٠/١ أعيد تنظيم لواء بغداد إذ شكلت البلدية من ثلاثة فروع : الرصافة ، الكرخ ، الكرادة فالرصافة بمدير بلديتها (٤) والكرخ كذلك بمديرها والكرادة بمديرها الإنكليزي (٥) .

مما سبق يبدو واضحا أن هذه المجالس البلدية لم تحدث أي تغيير جدي وواضح في سياسة الإدارة البريطانية لذلك لم يتجاوب سكان البلاد معها ، لعدم قناعتهم بأهميتها وأن العراقيين لم يمتلكوا فيها صلاحيات كبيرة في تنفيذ الشؤون الإدارية الفعالة والتي لها ارتباط ومساس بمتطلبات السكان ، وأن المجلس البلدي الذي حرص ويلسن على تشكيله لم يكن بأي شكل من الأشكال من مظاهر السيادة

---

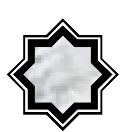
(١) تم تعيينه بمنصب سكرتيرا لوزارة الداخلية في ٢١ كانون الأول ١٩٢٠ .
د . ك . و ، الاحتلال البريطاني ، بلدية بغداد ، الملفة /٧٤٥ ، و ٤٩ ص ٥٨ – ٥٩ .

(2)Report , op. Cit. , p.6 .

(٣) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٩٩ . سؤدد كاظم مهدي ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٤) كان يشغل هذه الوظيفة عبد العزيز المظفر ، وقد شغل هذه الوظيفة في كانون الثاني حفظي أفندي الملي . جريدة العراق ، العدد ١٨٣ ، ٦ كانون الثاني ١٩٢١ .

(5)Report , op. Cit. , p.6 8



وكانت أصلا موجودة في تشكيلات الإدارة العثمانية التي ساهم العراقيون فيها بصلاحيات أوسع من صلاحيات هذه المجالس . ووفق الشروط المالية في الناخب ، الذي حدد أن يضم المجلس فئات معينة من المجتمع مثل الملاكين والشيوخ والتجار يتضح ما يسعى إليه ويلسن من ضمان تعاون هذه الفئات مع السلطات البريطانية مقابل الحفاظ على مصالحهم الشخصية .

ثالثا – الشرطة والشبانه :

بعد احتلال البصرة بأسبوع حلت محل الشرطة العسكرية شرطة مدنية واتبع في تشكيلها الطراز الهندي بإشراف المستر أي . جي . غريغسون ، أحد موظفي مصلحة الشرطة الهندية ، وكانت له خبرة بشؤون الخليج العربي [١] ، ولعدم الرغبة في استعمال الشرطة الأتراك فقد جيء بضباط شرطة من عدن والهند وتولى هؤلاء مهمة الأمن العام [٢] .

وعندما احتلت القوات البريطانية بغداد في آذار ١٩١٧ فكرت حكومة بغداد العسكرية جدياً بالاستعانة بالشرطة للحفاظ على الأمن فقد ذكر هاوكر الحاكم العسكري والسياسي لبغداد : أنه قدم اقتراحا بخصوص تنظيم وتجهيز الشرطة العسكرية بالمعدات ، وأيضا مفضلا أن تكون الشرطة المدنية مختارة ومتدربة وقادرة على القراءة والكتابة ، وأشار أيضا إلى أنه في الأشهر الأربع الأولى من احتلال

(١) فيليب ويلارد إيرلاند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٤٩ ، ص ٥٠ .

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٩ .



بغداد كان هناك مخفر شرطة صغير تحت أمرة الكابتن (جيرارد) وقد قدم إنجازات رائعة وبعد ذلك أدار المخفر فيما بعد الكابتن (برايت) (١) .

كان ملاك مؤسسة الشرطة يتكون من مديرها العقيد غريغسون ونائبه المقدم إيج . سي . برسكوت ، وفي خلال سنة ١٩١٨ حل برسكوت محل غريغسون وهو صاحب خبرة في مؤسسة الشرطة ، وفي نهاية عام ١٩١٩ توجهت الإدارة البريطانية إلى تجنيد بعض العراقيين في هذه القوة بصفة ضباط ، وقامت بتأسيس (مدرسة تدريب المفوضين) (٢) ، ويمثل هذا الإجراء تغيير مفاجئ في سياسة الإدارة البريطانية كونها تحرص على أن يكون منتسبي مؤسساتها من البريطانيين والهنود .

استعملت الإدارة البريطانية قسما من الشرطة المصرية في بغداد بعد الاحتلال لكنهم اتهموا بالخشونة واستغني عنهم (٣) . وجرب استعمال مفرزة صغيرة من شرطة الصومال جيء بها من عدن ، لكنهم ما كانوا يبعثون على الطمأنينة والرضى وكما ذكر آرنولد ويلسن ، وحتى عام ١٩١٨ كانت جميع الهيئة الموجهة في القوة من البريطانيين (٤) .

ازداد عدد منتسبي الشرطة من ٥٢٠ شرطيا قبل إعلان الهدنة إلى ١٤٣٠ شرطيا أواخر عام ١٩١٨ (٥) ، ويشير التقرير البريطاني لمدينة بغداد وعام ١٩١٩ ، أنه جرى تجنيد ما مجموعه ٣٨٩ رجل وقد وجد ٢٥ منهم غير مناسبين لتحمل ضغط التدريب وغير مؤهلين ليكونوا رجال شرطة أكفاء ، ويشير أيضا التقرير إلى عمليات فرار قد حدثت وبلغت مجموعها (٣٥) حالة وكان معظم الفارين من الأكراد أو الإيرانيين الذين منحوا إجازة للذهاب إلى مساقط رأسهم الذين لم يعودوا (٦) .

---

(1)Report Of The Baghdad Wilayat . 1917 . p.29 .

(٢) ويلسن ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٨٠ – ٢٨٢ .

(٣) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

(٤) ويلسن ، المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨٣ .

(6)Report (Baghdad Division) , 1919 , p. 13 .



ويبدو أنهم تعرضوا لضغط نفسي من السلطات البريطانية التي اضطرت هؤلاء إلى عدم العودة إلى مراكزهم .

صاحب زيادة عدد الشرطة ، زيادة في عدد السجون أيضا ، حيث بلغ عددها عند إعلان الهدنة ، أكثر من عشرة سجون مركزية ، وكانت قوة الشرطة تتولى الإشراف عليها [١] ، وكان السجن المركزي في بغداد يضم (السجن المركزي في باب المعظم وسجن القلعة المخصص لذوي الأحكام الثقيلة ، وسجن الباب الوسطاني) [٢] ، ومن هذه السجون أسس سجن خاص للنساء في بغداد ، وكان عمل السجينات في هذه السجون تصليح ألبسة المسجونين وتنظيفها [٣] ، وقد استعمل حارستين ، واتخذ مسكن سجناً للنساء [٤] .

وفي عام ١٩١٩ أسست (مدرسة إصلاحية للصبيان) في معسكر يقع في ضواحي بغداد تحت إشراف إدارة السجون [٥] ، وبمناسبة عقد معاهدة الصلح من ألمانيا عفت السلطة البريطانية على بعض المسجونين في ١٩ تموز ١٩١٩ ، فقد أطلق سراح ٣٨ مسجونا من بغداد [٦] .

أنيطت بقوة الشرطة خلال مرحلة ما بعد الحرب ، مهمة تطبيق أوامر وتعليمات القيادة العسكرية المتعلقة بالجوانب الأمنية إضافة إلى الواجبات الإدارية بالتنسيق مع الحكام السياسيين . ومن هذه الواجبات ، منع حمل الأسلحة ، والحد من السرقات ، ومنع خزن الأسلحة [٧] ، وتذكر المس بيل : إن المحافظة على الأمن والنظام لا يمكن حصوله ، حتى يتم تجريد السكان من السلاح . وما أن حل

---

(١) علي ناصر حسين ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥١ .

(٣) التقرير البريطاني الخاص (المرفوع من الحكومة البريطانية إلى عصبة الأمم) جريدة الإخاء الوطني ، العدد ٥ ، ٦ ، آب ١٩٣١ .

(4)Report Of The Baghdad wilayat , 1917 , p.174 .

(٥) التقرير البريطاني الخاص ، جريدة الإخاء الوطني ، العدد ٥ ، ٦ آب ، ١٩٣١ .

(٦) جريدة العرب ، العدد ٦١٢ ، ٢٥ تموز ١٩١٩ .

(٧) علي ناصر حسين ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .



شهر آذار ١٩٢٠ حتى كانت قد جمعت حوالي خمسين ألف بندقية من ولايتي بغداد والبصرة (١) .

عندما حل عام ١٩٢١ كان في العراق من قوة الشرطة ٢٢٣٨ مشاة و ٤٠٠ من الخيالة ، وكان في بغداد ٥٨٠ مشاة و ١٣٨ من الخيالة (٢) .

وفيما يلي جدول يبين أسماء الضباط الذين خدموا في مؤسسة الشرطة في بغداد (٣) .

الاسم	المنصب	تاريخ التعيين
غريغسون	مديرا لشرطة بغداد	١٩١٧/٢/٢٧
الميجر سكرا فتون	نائب مدير شرطة بغداد	١٩١٧/٤/٢٥
الكابتن ويلكنسون	معاون مدير شرطة بغداد	١٩١٨/٩/٩
الكابتن مود	معاون مدير تحقيقا بغداد	١٩١٩/٩/٩
الكابتن كوبر	معاون مدير في بغداد	١٩١٩/٩/١٦
الكابتن ويلكنس	معاون مفتش الشرطة العام ببغداد	١٩٢٠/٤/١

وعلى هذه الشاكلة وضعت الأسس التي شيد عليها بعد ذلك صرح الشرط العراقية .

أما بالنسبة للشبانه ، فإن الحاكم العسكري والسياسي بمدينة بغداد قدم مقترحا بـُعيد احتلال بغداد للسماح بتأسيس قوة (شبانه) للحفاظ على نظام وأمن المنطقة ، ولكن السلطات العسكرية عارضت أي مشروع كهذا (٤) ، ولكن في تموز عام ١٩١٧ تمت الموافقة على تجنيد قوة من الشبانه بلغ عددها ٩٠٠ رجل في بغداد ، وخمسمائة خيالة ، والباقي من المشاة ، وكان يقودها ضباط عسكريون وليس من ضباط الشرطة (٥) ، وقد بلغ عدد الشبانه في العراق نهاية عام ١٩١٧ نحو ١٥٠٠ رجل ، منهم ١٠٠٠ رجل في بغداد ، وبلغ العدد نهاية عام ١٩١٨ حوالي ٢٠٠٠

---

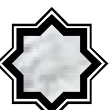
(١) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

(٣) المس بيل ، المصدر نفسه ، ص ٣٣٢ .

(4)Report of the Baghdad wilayat . 1917 , p. 29 .

(٥) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .



رجل [١] ، أما في عام ١٩١٩ فيشير التقرير البريطاني لمدينة بغداد ، أنه قلصت شبانه بغداد والكاظمية إلى النصف ، وألغيت بعض مراكز الشبانه [٢] ، وفي آذار ١٩١٩ استبدل اسم الشبانه إلى (الميلشيا) [٣] ، وأعيدت تشكيلاتها من جديد وعين لها ضابط تفتيش ، ولكن سرعان ما أعيدت التسمية القديمة (الشبانه) بعد خمسة أشهر وذلك في تموز ١٩١٩ [٤] ، وفي آب ١٩١٩ أعيد النظر في تابعية قوة الشبانه ، فوضعت هذه القوة بعهدة الحكام السياسيين مباشرة [٥] .

إن انتساب بعض العراقيين في سلك الشرطة والشبانه في حقبة الاحتلال البريطاني جاء بتأثير عوامل كثيرة منها سوء الأحوال المعيشية للسكان فتراهم يبحثون عن أي عمل لسد رمق العيش حتى ، وإن كان التصدي لأبناء جلدتهم ، لذلك كان من الطبيعي أن ينظر أبناء العراق إلى هؤلاء نظرة سيئة .

وقد اتخذ العراقيون مواقف سلبية من هؤلاء فقد عدّ أفراد (الشبانه) كفاراً ، ويلعنونهم علناً في الشوارع ، ولا يقدمون لهم الشاي والقهوة في المقاهي ، بل حتى يكسرون الأواني التي يأكلون فيها ، فكان العراقيون ينظرون إلى كل عراقي يتعاون مع البريطانيين نظرة ازدراء [٦] .

---

(١) ويلسن ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(2)Report (Baghdad Division) , 1919 , p.13 .

(٣) هي خلف لقوات الشبانه التي سبقتها ، وكانت شبيهة بالقوات العسكرية فقد انتظمت تحت أمرة ضباط بريطانيين ، ولها مركزها في بغداد ، وكان واجبها التخفيف عن كامل الجيش . لونكريك ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٨٠ .

(٤) كريم حيدر جبور ، نشأة الشرطة العراقية وتطورها ١٩٢١ – ١٩٣٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩٣ ، ص ٣٠ – ٣١ .

(٥) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

(٦) د . عبد المجيد التكريتي ، الملك فيصل ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ – ١٩٣٣ . ط١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩١ ، ص ٨٣ .



رابعا – المواصلات :

بعد أن اندلعت الحرب العالمية الأولى ، وبدأت القوات البريطانية بالتوغل في العراق ، حتى احتلت بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ ، وجدت القوات البريطانية أن من أولى واجباتها ، تأمين مواصلاتها البريدية والبرقية [١] ، فأصبحت دوائر البريد جميعها جزءًا من المؤسسات العسكرية ، وتأسست في بغداد ، دائرة مركزية (ناظرية البريد الملكية) ، يقوم بإدارتها عسكريون بريطانيون [٢] .

وقد وضعت السلطة المحتلة (١٥) صندوقا من حديد في محلات مختلفة من بغداد لإلقاء الرسائل فيها ، فقد وضعت هذه الصناديق في سوق حنون ، والشورجة والدهانة ، وباب الشيخ ، وشارع النهر ، والحيدر خانة ، وسوق الصفافير ، وفي

---

(١) تعود مسألة افتتاح مكاتب بريدية بريطانية في بغداد إلى عام ١٨٦٨ ، وذلك حينما أخبر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد أ . كمبل ، والي بغداد تقي باشا (١٨٦٧ – ١٨٦٩) بالتنظيمات البريدية الجديدة ، حميد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ – ١٩٢١ ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٧٩ ، ص ٦١ .

(٢) علي حمزة سلمان ، تطور الخدمات البريدية في العراق ١٩٢١ – ١٩٤٥ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٣١ – ٣٢ .



جانب الكرخ ، والكاظمية ، والفضل ، والسوق العريضة ، وكنيسة اللاتين ، وخان فيضي ، والأعظمية ، وعلى جدار إحدى جمعيات النصارى [١] .

وفي ١ نيسان ١٩١٩ ، نقلت تشكيلات البرق والبريد كافة إلى عهدة الإدارة المدنية ، والتي تشكلت بعد الاحتلال ، وكان موظفيها جميعهم من البريطانيين والهنود ، ثم وضعت دائرة البريد في عهدة السكرتير الإداري التجاري في أيار ١٩١٩ [٢] ، وفي ١ أيار ١٩١٩ تم افتتاح دائرة للبريد في محطة السكة الحديدية في جانب الكرخ [٣] ، ووضعت أسلاك التلغراف بين بغداد ودير الزور وبوشر بالمراسلات من ذلك التاريخ [٤] . وقد بلغت واردات البريد والبرق والتلفونات للسنة المالية من نيسان ١٩١٩ ولغاية ٣١ آذار ١٩٢٠ ، (٦٠٤٩١٥٠) روبية [٥] وقد كان أجور البرقيات باللغة العربية والفارسية مكلفة في تلك الحقبة فكان يؤخذ عن كل كلمة من البرقيات العادية ٣ آنات ويؤخذ عن البرقية المستعجلة ٦ آنات لكل كلمة [٦] .

يتضح من خلال مبالغ الرسوم التي تقتضيها السلطة البريطانية على البرقيات المردود المادي الذي تحصل عليه السلطة حيث يعود عليها بوافر من الأموال لديمومة عجلتها الحربية ، ولذلك يلاحظ أن أي مشروع إداري تقوم به السلطة البريطانية في العراق لا بد أن تستغله ماديا ، لأنها لم تنجزه إكراما لعيون العراقيين .

في سنة ١٩٢٠ دمجت دائرتي البريد والبرق في إدارة مدير واحد هو الجنرال (سميدت)عين مديراً عاماً للبريد والبرق بتاريخ ١ نيسان ١٩٢٠ ، كما عين الميجر (غامبلي) ، وكيل مدير عام البرق والبريد في ١٣ آب ١٩٢٠ ، وكان مهندسا

(١) جريدة العرب ، العدد ١٠٤ ، ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٧ .

(٢) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٤٨ .

(٣) جريدة العرب ، العدد ٥٦٣ ، ٢٧ أيار ١٩١٩ .

(٤) جريدة العرب ، العدد ٦٤١ ، ٢٨ آب ١٩١٩ .

(٥) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ .

(٦) جريدة العرب ، العدد ٦٨٩ ، ٢٤ تشرين الأول ، ١٩١٩ .



تنفيذيا للتلغراف ، وقد بقي في منصبه إلى ما بعد تشكيل الحكم الوطني في العراق [١] .

ومن البيانات التي أصدرتها السلطة المحتلة وتخص قسم البريد والبرق البيان الذي أصدره قائد القوات البريطانية في العراق (المرهلدين) في ٢٧ نيسان ١٩٢٠ وأسماه (بيان تلغراف العراق لسنة ١٩٢٠) وقد أجاز هذا البيان للحاكم الملكي العام أو أي مأمور مأذون من قبله أن يضع يده على أي تلغراف عائد لشخص ما ويحجز أي رسالة واردة من وإلى أي شخص أو فريق من الأشخاص ، كما له أن يأمر بإفشاء مضمونها للحكومة ، هذا وقد احتوى البيان على (٣٣) مادة [٢] .

ومن البيانات الأخرى ما أصدره آرنولد ويلسن في ٦ تشرين الأول ١٩٢٠ وألزم بموجب هذا البيان أن تكتب البرقيات البحرية فقط بالإنكليزية أو الفرنسية ، وألزم كذلك أن تقدم البرقيات المختزلة مع نسخة مبينة معنى ألغازها ، ولا يسح بأن تحتوي على ألغاز مستخرجة من قاموسين مختلفين [٣] .

يلاحظ من خلال البيانين تخوف السلطة المحتلة من أي اتصالات برقية بين سكان البلاد والبلاد الأخرى فضلا من أن البيان قد أعطى السلطة صلاحية إفشاء مضمون تلك البرقيات والتعرف على مختزلاتها .

بالنسبة للنقل فقد كان في بغداد جسر صغير ، وكان يسمى الجسر الصغير أو العتيق ، وكان من الخشب المركب على جنائب حديدية ، وكانت مشكلة الجسر

---

(١) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٤٨ .

(2)Compilation of proclamations , notifications , etc . Relating to the civil administration and to inhabitants of mesopotamia . From . 1St September , 1919 to 30Th September , 1920 .pp.44 – 49 .

(3)Ibid , pp.99 – 100 .

القديم هي فيضان دجلة ، لأن تيار دجلة يدفع الجنائب للغطس بقوة التيار [١] ، وكان موقع هذا الجسر قرب سوق السراي في نهاية شارع المأمون [٢] .

وتخليداً للجنرال مود شيد جسر جديد على نهر دجلة ، واحتفل بافتتاح الجسر في ٧ كانون الأول ، وهو قائم على عوامات حديدية ، وكان خطر الفيضان على هذا الجسر أقل من خطره على الجسر الآخر [٣] ، وقد جرى بحث مسألة إنشاء جسر بين الكاظمية والأعظمية فقد أشار تقرير مدينة بغداد لعام ١٩١٩ أن كلا البلدتين في موقف مالي جيد وسيربطان بجسر خمنت كلفته (١٨٠٠٠) روبية وستقسم التكاليف بين البلدتين وستقسم الفوائد أيضا بينهما في المستقبل [٤] ، وفي مذكرة قدمت بتأريخ ١٩ نيسان ١٩٢٠ حول هذا الموضوع بينت أنه سيكون كلفة إنشاء الجسر (١٠٤٠٠) روبية ، أي هو أقل من التخمين السابق بـ(٧٦٠٠) روبية [٥] .

وبالنسبة لوسائط النقل ، فقد كان خط الترامواي بين بغداد والكاظمية ، والذي هو عبارة عن عربات تجرها الخيول تسير على سكة حديدية والتي يعود تاريخ إنشاءها إلى عهد مدحت باشا [٦] ، وبمجيء البريطانيين إلى العراق بدأت تدخل بعض أنواع السيارات وبسبب حاجتها إلى سواق للسيارات (أوتو مبيلات) نشرت إعلانا بينت فيه حاجتها إلى سواق للسيارات بعد تدريبهم ويعطى راتبا من ٤٥ روبية إلى خمسين شهريا عند اجتيازه دورة التدريب [٧] .

---

(١) عباس بغدادي ، بغداد في العشرينات ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٧٠ .

(٢) طه مكي ، تاريخ بغداد الحديثة ، بغداد ، مطبعة دنكور ، ١٩٣٥ ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

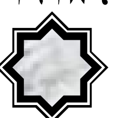
(٣) جريدة العرب ، العدد ١٦١ ، ١٠ كانون الأول ، ١٩١٨ .

(4)Report (Baghdad Division) , 1919 , p. 6 .

(٥) د . ك . و ، الاحتلال البريطاني / بلدية بغداد ، الملفة ٢/٨٥٦ ، و٢ ص٢ .

(٦) العلاف ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٧) جريدة العرب ، العدد ٤٨ ، ٢٦ شباط ، ١٩١٨ .



وفي شهر حزيران ١٩١٨ بدأت تسير في بغداد . بين باب المعظم والباب الشرقي مركبات كبيرة (أمنبوس) لنقل الركاب في ذلك الطريق ، وكان هذا الطريق يقسم إلى أربعة مراحل كل مرحلة أجرتها آنة واحدة [١] ، وفي نهاية عام ١٩١٩ أشار التقرير السنوي لبغداد أن المركبات ازدادت كذلك العربات التي تجرها الخيول من (٢٠) إلى (١٠٠) ، وأشار التقرير إلى ضرورة توسيع الشارع الجديد أو شق طريق بديل موازٍ لنهر دجلة لتقليل الازدحام [٢] .

أما النقل النهري ، فإضافة إلى القفف ، كان هناك القوارب (البلام) والزوارق التجارية . ولكي تستطيع السلطة المحتلة من السيطرة على النقل النهري فقد أجبرتهم على تسجيل قواربهم جميعها في مركز الشرطة في جانب الكرخ أو في الكرادة من خلال البيان الذي نشرته جريدة العرب ، العدد (٥٥٩) . وتضمن البيان سبعة عشر فقرة إضافة إلى جدول أسعار الركوب وقد جاء في فقرات البيان : أنه لا يسمح للقارب بالعمل إلا بعد تسجيله ووضعت أرقام خاصة لهذه القوارب ، وأن يوضع في كل قارب مصباح يعلق في مقدمة القارب [٣] .

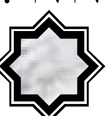
وبناء على ما سبق بدا واضحا كيفية إفادة الإدارة البريطانية من كل المشاريع الخدمية ، ولذلك حتى الجسور التي تربط ضفتي دجلة كانت تستغلها لصالحها من خلال فرض الرسوم على الأشخاص الذين يعبرون الجسر ، وحتى بيانها الذي أصدرته حول النقل النهري فإنها كانت تسعى للسيطرة على التجارة النهرية من خلال منح التزام التجارة النهرية وصيد الأسماك .

---

(١) جريدة العرب ، العدد ١٣ ، مجلد ٣ ، ١٧ حزيران ١٩١٨ .

(2)Report , op. Cit. , 1919 , p. 8 .

(٣) جريدة العرب ، العدد ٥٥٩ ، ٢٢ أيار ١٩١٩ .



خامسا – القضاء :

بعد احتلال القوات البريطانية مدينة البصرة ، هرب العديد من القضاة الأتراك السابقين ومعظم الكادر أو كانوا غير راغبين في الاستمرار بمناصبهم ، ولم يكن هناك ملاك آخر متاح والذي لديه خبرة في القانون العثماني . ووفقا لذلك تقرر استعارة نظام المحاكم والقانون من الهند [(١)] ، وشرع القائد العام للقوات البريطانية في ١ آب ١٩١٥ قانونا يعرف باسم (قانون الأراضي المحتلة) [(٢)] ، وقد كان تطبيق

---

(١) د . ك . و ، البلاط الملكي ، الديوان ، قانون الأحوال المدنية لعام ١٩١٨ الملفة /٣٢٠٥٠/٦٦١ ، و١ ص ٣ .

(٢) بني هذا القانون على غرار القانون الجنائي والمدني الهندي ، حيث جاء بمنشور القائد العام ما يلي : ((حيث أن الجيوش المسلحة لجلالة الملك والإمبراطور قد حكموا احتلالهم في بعض أجزاء العراق وحيث أنه قد نسب تدبير إجراء العدالة الحقوقية والجزائية في الأمور التي لا تؤثر على رفاهية الجيوش التي تحت قيادتي وسلامتها فلهذا إن (جون أكلس نيكسون) أصدر القانون الآتي للمقصد أعلاه في هذا المنشور بناء على الاقتدار المتقرر في شخصي كقائد جيش الاحتلال العمومي)) ، وقد جاء في البند (٣٣) من الباب

هذا القانون مثارا للانتقاد والاعتراض وكانت حجة بريطانيا هي أن موظفي القضاء العثماني جميعهم قد تركوا وظائفهم قبل احتلال البصرة ولم يبق من له خبره في القوانين العثمانية .

وبعد أن استطاعت القوات البريطانية احتلال مدينة بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ ، وانسحاب القوات العثمانية إلى مدينة سامراء ، تعطلت مرافق الحياة في بغداد على نحو ما حدث في ولاية البصرة ، فقد أغلقت المحاكم أبوابها ، وغادر موظفو القضاء مع العثمانيين ، ويشير التقرير البريطاني لولاية بغداد لعام ١٩١٧ : ((إن الجيش المغادر بذل جهدا عظيما ؛ ليأخذ معه كل الموظفين الذين يتوقع أن يكونوا ذوي فائدة لنا)) (١) .

وبُعيد احتلال بغداد بثمانية عشر يوما وتحديدا في ١٩١٧/٣/٢٩ وردت برقية من الحكومة البريطانية تنص على أن لا يستعمل (قانون الأراضي المحتلة ١٩١٥) والاستمرار على القوانين العثمانية مع المحافظة على الجهاز الإداري السابق ، وأن كل ما يجب تغييره هو استبدال (الروح التركي بالروح العربي) (٢) .

الخامس : إن الدعوى التي يكون المتداعين أو أحدهما مسلماً فعلى المحكمة رفع المواد المنازع فيها أو بعضها إلى فقيه شرعي بعد تحرير الأسئلة اللازمة للفتوى ويرفعها إلى فقيه مسلم معروف .

قانون البلاد العراقية المحتلة (المؤرخ في البصرة في ١ آب ١٩١٥) ولمزيد من المعلومات عن هذا القانون يمكن إيجاده في مكتبة المتحف وفق التصنيف (٣٤٠/٩٥٣٢ق ٥٢٨ ع) .

هنري فوستر ، نشأة العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ط١ ، بغداد ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩ ، ج١ ، ص ٩٦ .

(1)Report Of The Baghdad Wilayat . 1917 .p.6 .

(2)F. O : 371/604/3042 . X /N 07803 . D14 , p.40 .



وقد أشار سكرتير العدلية (بونهام كارتر) [١] بتقريره السنوي لعام ١٩١٨ ، أنه بسبب تعطل المحاكم الجنائية العثمانية أثر انسحاب العثمانيين كان من الضروري تأسيس محاكم عسكرية لمحاكمة الجرائم الجنائية التي يرتكبها السكان فيما بينهم ، وقد منح الضباط السياسيون والحكام العسكريون سلطة قضائية لمحاكمة الجرائم التي يرتكبها سكان البلاد وخولوا صلاحيات العقاب ، وتطلب حكم الإعدام ، تأكيد من القائد العام للقوات المسلحة [٢] .

ومن الجدير بالإشارة فإنه بوشر بفتح بعض المحاكم منتصف عام ١٩١٧ ، ومن هذه المحاكم أولا المحكمة الشرعية بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩١٧ والتي عين فيها القاضي (علي علاء الدين الآلوسي) [٣] ، ومحكمة الصلح في يوم ٢ تموز ١٩١٧ ، وعين فيها العلامة (عبد الوهاب النائب) [٤] رئيسا ويوسف الطبقجلي ،

---

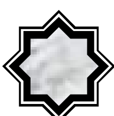
(١) أيدكار بونهام كارتر ، رئيس الدائرة القانونية في السودان استدعته الإدارة السياسة إلى بغداد للعمل على تنظيم شؤون الجهاز القضائي في ولاية بغداد ، وقد وصل في شهر تشرين الأول ١٩١٧ .

أحمد زكي الخياط ، تاريخ المحاماة في العراق ١٩٠٠ – ١٩٧٢ ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٧٣ ، ص ٤٨ .

(٢) نص التقرير السنوي لعام ١٩١٨ انظر : د . ك . و ، البلاط الملكي / الداخلية / الديوان ، قانون الأحوال المدنية لعام ١٩١٨ ، الملفة ٣٢٠٥٠/٦٦١ ، و ١ ص١ – ٩ .

(٣) هو ابن العلامة نعمان خير الدين الآلوسي ، ولد عام ١٨٦٠م ، وكان متقنا للغة التركية ، نال شهادة في القضاء من استنبول ، وانتخب مبعوثاً في مجلس المبعوثان ، وعندما احتل البريطانيون بغداد دعي إلى القضاء واستمر فيه حتى وفاته عام ١٩٢٢ . عبد الكريم العلاف ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

(٤) عبد الوهاب النائب من مواليد ١٨٥٢ ، هو ابن الشيخ عبد القادر عبد الغني العبيدي المشهور (بالنائب) لتوليه نيابة الشرع في العراق ، وقد حاز على ثقة العثمانيين ومنح العديد من الأوسمة من السلطان عبد الحميد والسلطان محمد رشاد ، وخلال الاحتلال البريطاني تولى رئاسة محكمة الصلح ثم رئاسة التمييز الشرعي ، توفي عام ١٩٢٧ . محمد صالح السهروردي ، المصدر السابق ، ص ٨٣ . عبد الكريم العلاف ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ – ٢١٤ .



كاتب أول ، وعبد الحميد أفندي كاتب الضبط الأول وخمسة موظفين آخرين ، وقد أسست محكمة أخرى أطلق عليها اسم (محكمة الدعاوى الصغيرة) وجاء تأسيس هذه المحاكم بناء على مقتضيات الحاجة الماسة وظروف الاحتلال (١) وقد كانت المحاكمات تجري باللغة العربية ، بينما كانت تجري في عهد العثمانيين باللغة التركية (٢) .

بعد أن وصل بونهام إلى بغداد في تشرين الأول ١٩١٧ شرع بدراسة الأوضاع القضائية إذ قدم تقريرا مفصلاً بتاريخ ١٩١٨/١/٣١ بحث فيه عما كان موجودا في العراق قبل الاحتلال البريطاني من محاكم ودوائر عدلية ، كما رسم الطريق الذي يجب أن تسلكه الشؤون القضائية في نظره ، فكتب يقول : ((... أن النظام القضائي في ولاية بغداد ... كان يتألف من نوعين رئيسين من أنواع المحاكم : المحاكم الشرعية ، والمحاكم النظامية)) ، وقد أرجع المحاكم الشرعية إلى سالف عهدها في الإسلام ، ويستند القانون الذي تطبقه هذه المحاكم إلى نصوص القرآن الكريم ، وأحاديث النبي وخلفائه ، وأشار التقرير أيضا إلى أن الفقه السني خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة قد وضعه مشرعون أربعة ... وتسمى المذاهب السنية الأربعة ، وهي المذهب الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي (٣) .

وقد قدم كارتر العديد من التوصيات ففي الفقرة (١٥) اقترح أن تنظر المحاكم المدنية للبداءة في دعاوى تخص الشيعة أو اليهود أو المسيحيين ناتجة عن الزواج ، والطلاق ، والوصايا ، والوراثة ... الخ ، ويكون الفصل في قضايا كهذه طبقا للقانون الشخصي ، للأطراف أو الأشخاص المعنيين . إذ سيفصل في دعاوى تخص الشيعة طبقا لفقه الشيعة ، وتلك التي تخص المسيحيين طبقا لعادات الطائفة

---

(1)Report , op. Cit. , p.187 .

(٢) د . ك . و ، البلاط الملكي ، الديوان ، قانون الأحوال المدنية لعام ١٩١٨ الملفة ٣٢٠٥٠/٦٦١ ، و ١ ص ٢ .

(٣) نص التقرير منشور ضمن التقرير الإداري لولاية بغداد /١٩١٧

Report , op. Cit. , pp. 179 – 200 .

التي ينتمون إليها ، وتلك التي تخص اليهود طبقا لقانون اليهود [١] ، وقد عين قاضٍ شيعي تحت عنوان نائب الجعفرية في بغداد ، وانتخب الحاج شكر الله لهذا الغرض ، ويشير التقرير إلى استقبال التعيين بارتياح كبير من الشيعة ، ودون استياء بين السنة في بغداد [٢] .

ومن المحاكم الأخرى التي افتتحت في عهد بونهام كارتر في بغداد هي (محكمة بداءة الحقوق) ، وقد بوشر برؤية الدعاوى والمصالح من تاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩١٨ [٣] ، وعين المستر (فورمس) رئيسا للمحكمة ، و (داود سمراء) [٤] عضو أول ، وعبد الجبار أحمد جميل عضو ثان [٥] . ومنذ الأول من شهر آب ١٩١٨ بوشر برؤية المحاكمات في (محكمة الجزاء في بغداد) أيضا وتعين فيها عضوان الحاج عزت أفندي المحامي ، وروبين أفندي ، وتعين فيها كاتبا ضبط عبد الحميد عبادة وأحمد سامي [٦] .

ومن المحاكم التي تشكلت في بغداد أيضا هي (محكمة استئناف بغداد) وقد عدت محكمة الاستئناف العليا لجميع مناطق العراق وقد تألفت محكمة الاستئناف من رئيس بريطاني وحاكمين عربيين [٧] ، والجدول الآتي يبين جنسية الملاك القضائي في بغداد نهاية عام ١٩١٨ [٨] :

جنسية الموظفين	العدد
البريطانيون	٦
المسلمون	٨٢

(1)Ibid , p.185 .

(٢) د . ك . و ، البلاط الملكي ، الديوان ، الملفة٦٦١/٣٢٠٥٠ ، و ١ ص ٤ .

(٣) جريدة العرب ، العدد ٢٤ ، مجلد ٢ ، ٢٨ كانون الثاني ١٩١٨ .

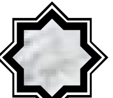
(٤) تم تعيينه عضواً لمحكمة الاستئناف في تشرين الثاني ١٩١٩ ، وتم تعيين بدله الحاج صالح أفندي ، جريدة العرب ، العدد ٧٠٤ ، ١١ تشرين الثاني ١٩١٩ .

(٥) جريدة العرب ، العدد ٣٣ ، مجلد ٢ ، ٨ شباط ١٩١٨ .

(٦) جريدة العرب ، العدد ٥٢ ، مجلد ٣ ، ٢ آب ١٩١٨ .

(٧) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .

(٨) د . ك . و ، البلاط الملكي ، الديوان الملفة ٦٦١/٣٢٠٥٠ ، و ١ ص ٥ .



المسيحيون	١
اليهود	٩
الأمريكان	٢

ويبدو من خلال الأحكام التي صدرت بحق شخصين في شهر نيسان ١٩١٨ الذين ارتكبا الجرم نفسه ، بأن هذه الأحكام لم تصدر وفق نهج قانوني ثابت ، فقد ارتكب رجل من الكاظمية جريمة اغتصاب لإحدى البنات في ٨ نيسان ، وقد حكم عليه بالحبس لمدة سنتين ، وضربه ثلاثين سوطا ، واستعماله في الأشغال الشاقة [١] ، وقد حكم على رجل من أهالي (كرادة مريم) ارتكب جريمة اغتصاب لإحدى البنات وقد حكم عليه في ٢٤ نيسان بالسجن لمدة خمس سنوات ، وأن يستعمل بالأشغال الشاقة [٢] .

من الإجراءات التي اتخذها سكرتير العدلية بونهام كارتر ، تبديل (قانون العقوبات العثماني) ، (وقانون أصول المحاكمات الجزائية العثماني) وتم استبدالهما (بقانون العقوبات البغدادي) [٣] ، و (قانون أصول المحاكمات الجزائية البغدادي) . ويستند قانون العقوبات البغدادي إلى قانون العقوبات العثماني الذي كان معمولاً به في بغداد ، أما قانون العقوبات العثماني نفسه ، فيعتمد على قانون العقوبات الفرنسي وكان قد نشر في ١٨٥٩ ، وأشار كارتر : إلى أن القانون العثماني الآن غير علمي وسيء الترتيب لذلك كان من الضروري القيام بتعديلات

(١) جريدة العرب ، العدد ٩٣ ، مجلد ٢ ، ١٩ نيسان ١٩١٨ .

(٢) جريدة العرب ، العدد ١٠٣ ، مجلد ٢ ، ١ أيار ١٩١٨ .

(٣) صدر هذا القانون بموجب البيان الذي أصدره الفريق الأول مارشال بتاريخ ١٩١٨/١١/٢١ . وطبق على ولاية البصرة في ١ آذار ١٩١٩ وعدل بالبيانات والقوانين التالية :

أ- بيان تعديل قانون العقوبات رقم ٣٠ في ١٩١٩/٧/١٨ .

ب- بيان تعديل قانون العقوبات رقم ١٠ في ١٩٢٠/٣/٢٣ .

جـ- بيان تعديل قانون العقوبات البغدادي رقم ٢ في ١٩٢٠/٧/١٣ .

د- بيان تعديل قانون العقوبات البغدادي رقم ٢ في ١٩٢٠/١١/١ ... .

سلمان بيات ، القضاء الجنائي العراقي ، بغداد ، دار دجلة للطباعة ، ١٩٤٧ ، ج١ ، ص ٣٢ .



كبيرة ووضع إضافات إليه مأخوذة من قانون العقوبات المصري المبني أيضا على قانون العقوبات الفرنسي ومصادر مصرية أخرى (١) .

أما قانون أصول المحاكمات الجزائية البغدادي فيعتمد على قانون أصول المحاكمات الجزائية السوداني ، ويعتمد هذا القانون نفسه على قانون العقوبات الهندي (٢) . ومن الإجراءات المتخذة من بونهام كارتر تطبيق النظام العدلي المعمول به في بغداد في البصرة أيضاً مع إلغاء (قانون الأراضي المحتلة) المبني على القوانين الهندية والذي كان معمولا به منذ سنة ١٩١٥ (٣) .

إضافة إلى ما كانت تجنيه السلطة البريطانية المحتلة من واردات البلاد المختلفة ، فإنها كانت تستفيد أيضا من هذه المحاكم حيث استلمت مبالغ كبيرة عام ١٩١٨ من المحاكم الواردة في الجدول أدناه (٤) :

اسم المحكمة	المبالغ المستحصلة
محكمة البداءة الأولى	٩٩.٢٩٦ روبية
محكمة الاستئناف	٧.٠٦٠ روبية
إحصائيات كاتب عدل بغداد	٣٣.٢٦١ روبية
محكمة بغداد المدنية	٢٧.٦٠٢ روبية
المجموع	١٦٧.٢١٩ روبية

بالنسبة للمحاماة فقد صدرت تعليمات بأن لا يسمح لأي شخص بممارسة المحاماة أمام محاكم البداءة أو محكمة الاستئناف ، ما لم يحمل رخصة من الضابط القضائي الأقدم ، وقد قسم كارتر في تقريره الذي رفعه في كانون الأول ١٩١٧ المحاماة في بغداد إلى أربع فئات :

١) محامون يحملون شهادات دبلوم من مدرسة القانون في القسطنطينية .

٢) محامون بلا شهادات دبلوم يحملون تفويض من دائرة العدل .

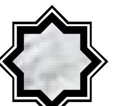
---

(١) د . ك . و ، البلاط الملكي / الديوان ، الملفة ٣٢٠٥٠/٦٦١ ، و ١ ص ٢ .

(٢) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

(٣) د . ك . و ، البلاط الملكي / الديوان ، الملفة ٣٢٠٥٠/٦٦١ ، و ١ ص ٤ .

(٤) د . ك . و ، البلاط الملكي / الديوان ، الملفة ٣٢٠٥٠/٦٦١ ، و ١ ص ٧ – ٨ .



٣) محامون يحملون شهادات دبلوم من (مدرسة الحقوق في بغداد) [١] .
٤) محامون لا يحملون شهادات دبلوم ولا تخويل من دائرة العدل .

وقد اقتصرت الإجازات التي تعطى من قبل الضابط القضائي فقط على المحامين الذين يحملون شهادات ، لكن بونهام كارتر رأى أن هذا القرار سيحرم العديد من المحامين مصدر رزقهم فاقترح أن يمارسوا مهنة المحاماة أمام محكمة القضايا الصغيرة في بغداد [٢] ، وقد بلغ عدد المحامين سنة ١٩١٩ (٧٣) محامياً منهم ٦٠ في بغداد [٣] ، ويلاحظ النسبة الكبيرة من المحامين والمتركزة في مدينة بغداد ، وقد نشرت جريدة العرب أسماء المحامين الممنوحين (إجازة عمومية) وقد ضمت القائمة (٦٣) محاميا مأذونين بالاشتغال أمام المحاكم المدنية ونشرت الصحيفة أيضا أسماء ثلاثة محامين منحوا (إجازة خصوصية) ، ليعملوا وكلاء أمام محكمة الصلح في بغداد وهم كل من : ١) حوكي عنبر ٢) ، عبد الكريم عبد الحميد ، ٣) عبد الغفور يوسف [٤] .

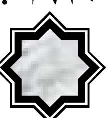
---

(١) افتتحت مدرسة الحقوق في بغداد في تموز ١٩٠٨ ، واتخذت مكاناً لها في بناية مدرسة الحميدية الواقعة في شارع السراي وبقيت فيها حتى سقوط بغداد ١٩١٧ ، وقد كان مديرا لهذه المدرسة موسى جلبي الباجة جي ، وقد تخرجت منها أول دفعة في عام ١٩١١ وكان عددهم عشرة . أحمد زكي الخياط ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(2)Report , op. Cit. pp.186 – 187 .

(٣) التقرير البريطاني الخاص ، جريدة الإخاء الوطني ، العدد ١٨ ، ٢١ آب ١٩٣١ .

(٤) جريدة العرب ، العدد ٨٢٦ ، ٦ نيسان ١٩٢٠ .



الفصل الثالث

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمدينة بغداد في ظل الاحتلال البريطاني

أولا – الأوضاع الاجتماعية لمدينة بغداد في ظل الاحتلال البريطاني :

١) التعليم :

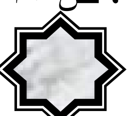
قبل التطرق لشؤون التعليم في بغداد في ظل الاحتلال البريطاني لابد من التعرف وبإيجاز على وضع التعليم لمدينة بغداد خلال مدة الحكم العثماني فلم يكن للتعليم آنذاك فعالية بارزة كما لم يكن ذا نفع كبير ، لأن التدريس جرى باللغة التركية واقتصر على التاريخ العثماني والجغرافية العثمانية وبعض الدروس الثانوية . استمر هذا الحال حتى ورد أمر من نظارة المعارف في شهر كانون الأول ١٩١١ بإدخال تدريس اللغة العربية في برامج المدارس الابتدائية [١] ، وفي شهر تشرين الأول ١٩١٣ ، ورد أمر آخر من نظارة المعارف مؤداه ، أنه يجب التدريس في المكاتب الإعدادية النهارية والرشدية والابتدائية باللسان العربي على شرط أن يكون درس التاريخ فقط باللغة التركية [٢] ، ولما احتلت القوات البريطانية البصرة عام ١٩١٤ أرادت تنفيذ منهج المعارف على حسب حاجتها وقد كلفت مدير مدرسة الإرسالية الأمريكية في البصرة ، بالإشراف على عملية تأسيس بعض المدارس في مدينة البصرة وما جاورها [٣] .

ولما احتلت القوات البريطانية بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ ، بدأت السلطة المحتلة بتنظيم الشؤون المدنية في ولاية بغداد ، فكانت (دائرة الواردات) في مقدمة الدوائر التي بوشر بتأسيسها وكانت برئاسة (المستر سي . سي كاربت) ، وقد

(١) جريدة الصدى ، العدد ١١٢ ، ١٠ كانون الأول ١٩١١ .

(٢) صدى بابل ، العدد ٢٠٧ ، ١٥ تشرين الأول ١٩١٣ .

(٣) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٠ .



قام هذا بإيداع شؤون المعارف إلى مساعده (المستر بولارد) [١] ، بعد أن منح صلاحية الاستفادة من الأنظمة التعليمية العثمانية والنظر في إمكانية فتح بعض المدارس على أن يكون التدريس فيها باللغة العربية [٢] . ونظراً لحاجة المعارف إلى مرب عربي ، عارف بأهل البلاد وله خبرة بشؤون التعليم ، فقد استعين بأحد الأساتذة الفلسطينيين للعمل في هذه الدائرة وهو الأستاذ (حسني عبد الهادي) [٣] ، فأصبح مدير دائرة المعارف وتحت مراقبة نظارة المالية ، وهو الذي بدأ بفتح المدارس الابتدائية في بغداد وسائر المدن الأخرى (عدا مدارس البصرة لأنها كانت تحت إدارة المستر فانيس مدير مدرسة الأمريكان هناك) وجعلها تحتوي على ستة صفوف يسمى الأول والثاني منها الصفان الأوليان وهما للمبتدئين وتسمى الأربع الأخر الصفوف الابتدائية [٤] . ومن المشاكل التي اعترضت طريق الأستاذ حسني قلة عدد المعلمين الأكفاء ، وعدم وجود البنايات الملائمة للمدارس ، وتقول المس بيل عن هذه المشاكل : ((كان من الممكن أن تسبب لنا هذه المشاكل إزعاجاً أقل لو كان في وسعنا أن نتبع الخطة المتخذة في البصرة ، وهي خطة عدم فتح أي مدرسة قبل الحصول على معلمين مقتدرين لها ، غير أنه بينما كانت البصرة تهتم بالتمور أكثر من اهتمامها بالتعليم ، فإن بغداد كانت فيها نسبة غير قليلة من الناس الذين يقدرون التعليم للتعليم ، وقد يكون ذلك من بقايا الزمن الذي كانت بغداد فيه مركزاً عظيماً للعلم والتعليم)) [٥] .

---

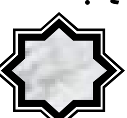
(١) بقي مسؤولا عن شؤون المعارف حتى أيار ١٩١٨ حين عين مساعداً للضابط السياسي في كفري ، وقد حل محله في المعارف اللفتنانت في تي . بي . وليامس .
إبراهيم خليل أحمد ، تطور السياسة التعليمية في العراق بين سنتي ١٩١٤ – ١٩٣٢ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ٧٥ .

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ – ١٩٢١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٧٥ ، ص ٦٠ – ٦٢ ،

(٣) له معرفة بأحوال العراق لأنه تولى أيام العثمانيين منصب قائمقام (طويريج والجزيرة) ثم نقل إلى المعارف وعين مدرساً للتاريخ العام في المكتب السلطاني في بغداد قبيل الحرب العالمية الأولى . الهلالي ، المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

(٤) محمد عبد الحسين ، المعارف في العراق على عهد الاحتلال ، مصر ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٢٢ ، ص ١١ .

(٥) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٤١ – ٤٢ .



ومع كل هذه المشاكل التي تراها مديرية المعارف ، فإن مطالبة الأهالي قد تزايدت حول إعادة فتح المدارس في مدنهم ، ولأجل تطمين الرأي العام في هذا الشأن قررت سلطات الاحتلال سنة ١٩١٧ تشكيل (مجلس للمعارف) وكان مؤلفاً من خمسة من رجال المعارف ، وكانت للمجلس صفة استشارية فقط ولا دخل له في رسم الخطط ، أما أعضاء المجلس فهم (علي الآلوسي ، ومحمود شكري الآلوسي ، جميل صدقي الزهاوي ، الأب انستاس ، حمدي بابان) [١] . وقد كانت أكثر الحاجات إلحاحاً هي الحاجة إلى معلمين للمدارس الابتدائية ، وقد تقرر في نيسان أن تفتح دار للمعلمين ، مدة الدراسة فيه ثلاثة أشهر [٢] ، وقد اختير الأستاذ (حسن وفقي الدمشقي) ، مديراً لدار المعلمين ، ولم يكن من السهولة الحصول على المدرسين لدار المعلمين هذه ، ولكن أمكن إيجاد أربعة مدرسين ، ثلاثة سوريين وواحد بغدادي ، كما استعيرت خدمات مدرس آخر من مدرسة الرجاء العالي الأمريكية في البصرة ليدرس مادة طرق التدريس [٣] .

وقد تخرج من الدورة الأولى تسعة وعشرون طالبا ، وبواسطتهم تم فتح خمسة مدارس ابتدائية في بغداد وهي المدرسة الحيدرية والمدرسة البارودية ومدرسة الفضل ومدرسة الكرخ ومدرسة الأعظمية [٤] . وقد نشرت جريدة العرب موضوعا عن التعليم متفاخرة بفتح عدد من المدارس خلال العام ١٩١٧ . وفيما يلي أسماء المدارس التي تم افتتاحها في بغداد فقط [٥] :

اسم المدرسة	عدد معلميها	عدد طلبتها
دار المعلمين	٦	٥٠
دار المهندسين (مدرسة المساحة) [٦]	٢	٣٦
مدرسة الأعظمية	٤	٧١
مدرسة الكرخ	٥	٦٩

(١) إبراهيم خليل أحمد ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ص ٦٣ – ٦٤ .

(٣) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٤) إبراهيم خليل أحمد ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٥) جريدة العرب ، العدد ١١١ ، ٨ كانون الأول ١٩١٧ .

(٦) بسبب حاجة السلطة المحتلة إلى عدد من الفنيين فتحت في أيلول ١٩١٧ مدرسة المساحة (School Of Survey) عين لإدارتها داود السعدي (مدرس الهندسة بدار المعلمين) .
جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٣٩ ، ١٥ شباط ، ١٩١٨ .



مدرسة الحيدر خانة	٧	١٦٥
مدرسة البارودية	٧	١٠٨
مدرسة الفضل	٥	٨٨

ولما تخرجت الدورة الثانية من دار المعلمين ، قررت نظارة المعارف فتح مدارس أخرى في بغداد ، فقد افتتحت مدرسة ابتدائية في رأس القرية ، وفتحت أيضا مدرسة في باب الشيخ وتعين مديراً لها الأستاذ هاشم الآلوسي [١] .

سارت التدريسات أول الأمر في المدارس الرسمية من دون مناهج أو كتب معينة ، وكان المدراء يجتمعون فيما بينهم لوضع مناهج مؤقتة تلائم مستوى الطلاب العلمي [٢] ، وفي العام ١٩١٨ بدأت السلطة المحتلة بجلب الكتب المنهجية من مصر [٣] ، وقد انتقد محمد عبد الحسين الاستمرار في تدريس المناهج المصرية ودون الانتقاص منها ، فكتب القراءة جلَّها حكايات عن الأهرامات وأبو الهول والنيل والفراعنة وغير ذلك ، ولا شك أنها أُلفت لأبناء مصر ، أما أبناء العراق فإنهم وقفوا على حالة مصر والمصريين أكثر من تعرفهم على بلادهم [٤] ، أما بالنسبة للمواد الدراسية التي كانت تدرس فهي (الحساب ، الجغرافية ، التاريخ ، اللغة الإنكليزية) [٥] ، وفي شهر أيلول قررت نظارة المعارف إدخال مادة الدين الإسلامي في منهاج الدراسة بدار المعلمين وقررت المعارف أيضاً أن يكون عدد دروس الدين والقرآن في الأسبوع ستة بالمدارس الأولية وأربع أو خمسة بالمدارس الابتدائية [٦] .

بسبب حاجة الدوائر والمؤسسات الحكومية إلى الكتب والموظفين لتمشية مصالحها خلال الحرب ، تقرر فتح مدرستين الأولى باسم مدرسة (المأمورين) وذلك في ١٧ مايس ١٩١٨ [٧] ، والمدرسة الثانية هي (مدرسة التجارة المسائية) ، والتي فتحت أبوابها في يوم ١٠ تموز

---

(١) جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٦١ ، ١٣ آذار ١٩١٨ .

(٢) إبراهيم خليل أحمد ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٣) جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٣٧ ، ١٣ شباط ١٩١٨ .

(٤) محمد عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص ٤٩ – ٥٠ .

(٥) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٦) جريدة العرب ، مجلد ٣ ، العدد ١٠٢ ، ١ تشرين الأول ١٩١٨ .

(٧) جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ١٢٧ ، ٢٩ أيار ١٩١٨ .



١٩١٨ وسجل فيها حوالي (٧٠) طالباً معظمهم من أبناء التجار اليهود [١] . ومن الأعمال الهامة التي قامت بها دائرة المعارف هو تأسيس مجلس علمي في دائرة المعارف يتألف من الأستاذ حسني عبد الهادي وداود السعدي وبعض الأعضاء لترجمة الكتب المفيدة ، من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وكان هذا المجلس يجتمع يوميا ثلاث أرباع الساعة [٢] . فضلاً من أن السلطة المحتلة قد أجرت اتصالات عام ١٩١٨ للاستفادة من خدمات السيد بومان من وزارة التعليم المصرية ، وبعد تبادل البرقيات بين الجانبين وافقت المعارف في مصر على الاستغناء عن الميجر بومان وقد أوصت بانتدابه لقاء راتب (١٢٥٠) جنيه بينما راتبه الذي كان يتقاضاه في القاهرة هو (٧٦٠) جنيه [٣] ، وفي ٢٢ آب ١٩١٨ تسلم بومان إدارة المعارف من حسني عبد الهادي الذي استقال من منصبه وغادر العراق ، وفي أيلول ١٩١٨ أصبحت دائرة المعارف نظارة مستقلة عن دائرة الواردات ، وأصبح بومان مسؤولاً أمام السير أرنولد ويلسون في كل ما يتعلق بالشؤون التعليمية في العراق [٤] ، وقد ارتأى الميجر بومان ، أن يوضح سياسته التعليمية التي سيتبعها ، لذا عقد اجتماعاً موسعاً في ١٩ أيلول ١٩١٨ في بغداد ، وألقى في الاجتماع خطابا باللغة العربية لخص فيه سياسته في تسيير شؤون المعارف ، وقرر تعيين مدرسين خصوصيين للدين ، وعدهم من ضمن هيئة التعليم في المدرسة كغيرهم من المدرسين [٥] . وقد قرر بومان تعيين (معاون شخصي) له فوقع اختياره لهذا المنصب السيد سعدون الشاوي ، وقرر إضافة عضو سادس لمجلس المعارف وهو الحاج محمد جعفر أبو التمن ، وقرر أن يجتمع هذا المجلس مرتين في الشهر تحت رئاسته [٦] .

---

(١) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ص ٨٣ .

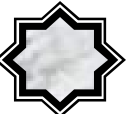
(٢) جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٧٦ ، ٣٠ آذار ١٩١٨ .

(3)F. O : 371/604/3042 . X/N 07803 . D26 , p. 94 .

(٤) إبراهيم خليل أحمد ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٥) جريدة العرب ، العدد ٩٢ ، ٢١ أيلول ١٩١٨ .

(٦) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر نفسه ، ص ٩٩ – ١٠٠ .



ومن المهام الأخرى التي ركز عليها بومان هي (النشاطات اللاصفية) [١] ، ومنها الحركة الكشفية والألعاب الرياضية [٢] ، فضلا عن اهتمامه بمسألة رفع رواتب المعلمين ، وكان من ضمن مشروعاته التعليمية أيضا الاهتمام (بالتعليم النسوي) [٣] ، ولو أن السلطة كانت متجاهلة لموضوع فتح مدارس للإناث ، لأنهم ليسوا محتاجين إلى استعمال إناث في دوائر الحكومة وثانياً لعدم وجود عدد كاف من المعلمات ، وكون أغلب السكان كانوا متشددين وغير راغبين في إرسال بناتهم إلى المدارس .

يذكر غانم سعيد العبيدي في كتابه (التعليم الأهلي في العراق) أن أول مدرسة للإناث تأسست في ظل الاحتلال البريطاني ببغداد هي مدرسة (زهرة خضر) الأهلية للبنات وذلك عام ١٩١٨ وكانت تتألف من ثلاث صفوف ، وكانت تقوم بتدريس القرآن الكريم والرياضيات وبعض الفنون المنزلية [٤] .

وفي تشرين الثاني أعلنت نظارة المعارف بأنها قد استقدمت مربية بريطانية هي (المس كيلي) [٥] والتي ستقوم بفتح مدرسة للبنات [٦] ، فلما وصلت هذه المربية إلى بغداد بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٢٠ باشرت باتخاذ الخطوات لفتح هذه المدرسة إذ قامت بتسجيل الطالبات وقد أقيم حفل افتتاح يوم ١٩ كانون الثاني ١٩٢٠ حضرها عدد كبير من النساء العراقيات والأجنبيات ،

---

(١) ومن هذه النشاطات قيام إحدى الجمعيات في بغداد وهي جمعية (الواي . أيم . سي . ئي) بتخصيص ساعة واحدة مساء كل خميس لحضور مسرح السينما العائد إليها لمشاهدة الصور المتحركة لمناظر البلدان ومنها لندن وفلسطين ومصر وإيران ومواقع أخرى .

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

(٣) إن أول مدرسة للبنات تم إنشاؤها في بغداد في العهد العثماني يرجع إلى عام ١٨٩٩ في زمن نامق باشا (١٨٩٩ – ١٩٠٢) فسميت (إناث رشدية مكتبي) . عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، ج١ ، ص ٢١٣ .

(٤) غانم سعيد العبيدي ، التعليم الأهلي في العراق ، بغداد ، مطبعة الإدارة المحلية ، ١٩٧٠ ، ص ٦٧ .

(٥) المس كيلي ، تم استقدامها من الهند فلديها خبرة تعليمية طويلة في الهند . المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

(٦) جريدة العرب ، العدد ٧٠١ ، ٧ تشرين الثاني ١٩١٩ .



ومنهن المس بيل والتي ألقت كلمة بالمناسبة وباللغة العربية [١] . وهكذا أخذت هذه المدرسة تسير سيراً حسناً والطالبات يقصدنها من شتى المحلات ، وفي عام ١٩٢١ فتحت مدرسة للإناث في جانب الكرخ بعد أن تقدم الأهلون بعريضة وقعها وجهاء الكرخ ، وكان من ضمنهم يوسف السويدي وطالبوا بفتح مدرسة لبناتهم أسوة ببنات الرصافة ولتخليصهن من مشقة العبور إلى الجانب الآخر وهن يذهبن إلى المدرسة [٢] . أما أهالي الأعظمية فإنهم يأسوا من إقناع وزارة المعارف لإنشاء مدرسة للبنات في الأعظمية فبادروا إلى جمع تبرعات لإنشاء مدرسة للإناث وبالفعل تم افتتاح (مدرسة الإناث الأهلية) باحتفال حضره مدير ناحية الأعظمية جميل التكريتي [٣] .

أما بالنسبة للتعليم الثانوي فبسبب الإهمال الشديد الذي عاناه هذا الضرب من التعليم من لدن سلطات الاحتلال ، فقد تنامت المطالبة الشعبية بالتعليم الثانوي ، وقد أشارت المس بيل إلى هذه المطالبة قائلة : ((من المحتمل أن تكون المطالبة بالتعليم الثانوي والعالي أكثر إلحاحاً من المطالبة بالتعليم الصناعي . فإن المثقفين الوطنيين يقدرون التعليم العالي حق قدره ... لأنهم يعتقدون أنه وحده يمكن أن يعد طبقة من الرجال يمكنهم ملئ الوظائف الحكومية في الدوائر المسؤولة)) [٤] .

ولقد ظهرت محاولات عديدة لإنشاء مدارس ثانوية أهلية لعل من أبرزها (المدرسة الأهلية) [٥] في بغداد والتي أعلنت فتح أبوابها للطلبة نهاية تشرين الأول

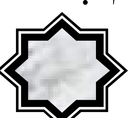
(١) المس بيل ، العراق في رسائل المس بيل ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٧ ، ص ١١٥ . جريدة العرب ، العدد ٧٦٣ ، ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٠ .

(٢) مذكرات سليمان فيضي (في غمرة النضال) ، ط٢ ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٤ ، ص ٢٧٠ .

(٣) جريدة لسان العرب ، العدد ٣٦ ، ٩ آب ١٩٢١ .

(٤) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ص ٣٢٠ .

(٥) يذكر الأستاذ علي البزركان أنه هو الذي استحصل الإجازة المطلوبة لفتح هذه المدرسة بعد المذاكرة مع بعض الشبان في ذلك الوقت ، ومنهم الأستاذ حسن رضا المحامي والسيد إبراهيم العثمان ، وواجه كل من الكابتن بيز وكيل مدير المعارف ، والسير بونهام كارتر ناظر العدلية فمنح الإجازة باسم (المدرسة الأهلية) بتاريخ ٨ أيلول ١٩١٩ . علي البزركان ، فصول من تاريخ التربية والتعليم في العراق ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٢ ، مجلد ٢ ، ص ١١٥ – ١١٧ .



١٩١٩ [١] . ومن المدارس الأهلية التي سمحت الحكومة بافتتاحها في بغداد هي (المدرسة الوطنية الأهلية) في الكاظمية [٢] ، والمدرسة (الهاشمية الأهلية) التي اتخذت داراً لها قرب جامع المصلوب [٣] .

بالنسبة للمدارس الخاصة بالمسيحيين واليهود في بغداد فقد كانت هناك عدد من المدارس المسيحية للبنين والبنات وهي : مدرسة الكلدان ، والمدرسة السريانية الإفرامية ، ومدرسة الأرمن ، ومدرسة اللاتين للآباء الكرمليين ، ومدرسة الراهبات للبنات ومدرسة البروتستانت للبنات [٤] . أما المدارس اليهودية فقد كانت تتألف في هذه الفترة من المدارس الآتية : مدرسة البير داود ساسون ، مدرسة التعاون ، ومدرسة لورا خضوري للبنات [٥] ، ومدرسة رفقة رفائيل ، ومدرسة الغان ، ومدارس المدراش أشبه بالكتاتيب ، ومدرسة هارون صالح [٦] . ومن المدارس اليهودية الأخرى التي كانت موجودة في بغداد ولم يذكرها عبد الرزاق الهلالي في كتابه هي (مدرسة الوطن) التي أسسها يهود بغداد وذلك ليلة ٣١ آذار ١٩١٢ [٧] . ومن خلال الإحصاء الذي حصلت عليه جريدة العراق من نظارة المعارف حول عدد المدارس في العراق . ندرج فيما يأتي جدول لأهم المدارس في بغداد

(١) جريدة العرب ، العدد ٦٨٧ ، ٢٢ تشرين الأول ١٩١٩ .

(٢) جريدة العراق ، العدد ٣٨ ، ١٥ تموز ١٩٢٠ .

(٣) جريدة العراق ، العدد ٢٥٩ ، ٥ نيسان ١٩٢١ .

(٤) عبد الرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ، ص ٩٢ – ٩٣ .

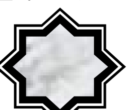
(٥) تأسست عام ١٨٩٣ . وهي أول مدرسة أسست لتعليم البنات اليهوديات ، وقد تكون أول مدرسة للبنات في العراق ، وفي تشرين الثاني ١٩١١ قام العازار خضوري بتشييد بناية لها تخليد لذكرى زوجته (لورا) فأطلق عليها اسمها .

مجلة لغة العرب ، ج٦ ، العدد ٦ ، كانون الأول ١٩١١ ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

د . فاضل البراك ، المدارس اليهودية والإيرانية في العراق ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٢٩ .

(٦) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر نفسه ، ص ٩٣ – ٩٤ .

(٧) مجلة لغة العرب ، ج١٢ ، العدد ١٢ ، أيار ١٩١٢ ، ص ٤٩١ – ٤٩٢ .



حتى آب ١٩٢١ [١] :

نوع المدارس	عددها	عدد الصفوف	عدد الطلاب	عدد المعلمين
المدارس الابتدائية	٩	٤٧	٩٤٦	٦٨
المدارس الثانوية	٢	٧	١٠٦	١٣
مدارس الإناث	١	٦	١٥٢	٨
المدارس الأهلية للمسلمين	٣	٢٢	٧٠٥	٢٦
المدارس الأهلية للمسيحيين	٥	٢٩	٨١٤	٤٠
المدارس الأهلية اليهودية	٦	١١١	٤٧٨٢	٨٩
مدارس الإناث الأهلية للمسلمين	١	١٣	١٠٠٣	٢٤
مدارس الإناث اليهودية	١	١٩	٩١٨	٣١
الكتاتيب في بغداد	٤٧			٢٤٣١

في شهر آب ١٩٢٠ وصلت برقية من القاهرة تخبر (بومان) بأمرين : إما العودة إلى مصر لتسلم منصبه الجديد ، وإما أن يخسر حقوقه التقاعدية فأجاب بأنه سيعود إلى القاهرة في الوقت المحدد ، وقبل عودته إلى مصر اتخذ عدداً من الإجراءات والفعاليات ومن هذه الإجراءات التي تخص بغداد ، أوكل مهمة إدارة معارف بغداد إلى المستر (كلن) [٢] ، وعين المستر (سمرفيل)، مفتشاً عاماً في المركز العام في بغداد ، كما عين الأستاذ يوسف عز الدين الناصري مفتشاً لمنطقة معارف بغداد [٣] .

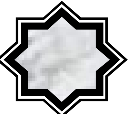
لم تولِ السلطة المحتلة عناية كبيرة بالتعليم ، فعند احتلال بغداد كان جهد السلطة منحصراً في تثبيت دعائم الوضع السياسي ، فبلغت مصروفات المعارف في ١٩١٧ – ١٩١٨ ، ٠.٣٥% من مجموع مصروفات الدوائر الملكية ، ولما سلم جهاز المعارف إلى بومان عام

---

(١) جريدة العراق ، العدد ٣٦٥ ، ٦ آب ١٩٢١ .

(٢) لقد بقي هذا في منصبه حتى يوم ١٥ شباط ١٩٢١ حين نقل إلى نظارة المعارف العمومية ، وحل محله يوسف عز الدين إبراهيم وهو أول عراقي يتولى منصب مدير المعارف . عبد الرزاق الهلالي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) عبد الرزاق الهلالي ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .



١٩١٨ بقيت مصروفات المعارف تعادل ١.٨% من مجموع المصروفات ، وفي عام ١٩٢٠ كانت المصروفات ١.٩% [١].

يلاحظ أن ما قامت به السلطات من فتح بعض المدارس الابتدائية كان لإيجاد طبقة من المتعلمين يستفاد منهم في تمشية مصالح الحكومة ، ورغبة منها في ذر الرماد في العيون .

ويذكر محمد عبد الحسين أن الواردات بلغت عام ١٩٢١ سبعين مليون روبية فلم يخصص منها لوزارة المعارف سوى مليون روبية ، ويذكر أيضا أن أكثر المبالغ المخصصة للمعارف كانت تخصص للمدارس الأجنبية في العراق والتي أنشأها المبشرون كاللاتين والسريان والكلدان والبروتستانت واليهود [٢] .

يتبين مما تقدم أن هدف السلطة المحتلة من أمور التعليم وكما وصف من خلال مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية : ((هو إعداد فئة من الموظفين لمساعدة السلطات الأجنبية على إدارة دفة الحكم وتنفيذ السياسة الاستعمارية)) [٣] .

كما أن السلطة لم تهتم بأمر التعليم الثانوي والعالي لأنها لا ترغب بأن ينشأ جيل مثقف واع يقف بوجهها ويكون مصدر خطر وتهديد على وجودها في البلاد . وقد بررت المس بيل موقف السلطة من هذه المدارس في إحدى رسائلها والمؤرخة في ٩ أيار ١٩٢٠ ، حين أشارت إلى أنه : ((من الحسن جداً أن نقول أننا يجب أن نبدأ بتأسيس مدارس ثانوية حتى تتهيأ لدينا مادة ممتازة لذلك ، من المدرسين والطلاب معا ... وأن الناس هنا راغبون جدا في أن تتهيأ لهم الدراسة العالية ، وإذا وقفنا دون رغبتهم هذه سيعتقدون بأننا نفعل ذلك عن قصد لتأخيرهم)) [٤] ، وفي رسالة أخرى بتاريخ ٢٣ آب ١٩٢٠ عبرت فيها عن مدى كرهها للتعليم إذ تقول : ((... غير أني لا أهتم بشؤون التعليم الذي تجدني دائمة الشك والريبة في جدواه)) [٥] .

---

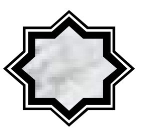
(١) إيرلاند ، المصدر السابق ، ص ٩٠ – ٩١ .

(٢) محمد عبد الحسين ، المصدر السابق ، ص ٥٧ – ٦٢ .

(٣) سعدون حمادي وآخرون ، دور التعليم في الوحدة العربية ، بحوث ومناقشات ووقائع الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٤ ، ١٩٨٧ ، ص ٤٨ .

(٤) المس بيل ، العراق في رسائل المس بيل ، ص ١٣٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .



أما بالنسبة للتعليم النسوي فإن المحتلين الإنكليز تجاهلوا إعادة فتح هذه المدارس ، لأنهم ليسوا بحاجة إلى الإناث في دوائرهم ، والسبب الآخر هو المتعصبون من الناس غير الراغبين بإرسال بناتهم إلى المدارس ، وهناك الكثير ممن يعتقد أنه سبب تأخير التعليم النسوي يرجع إلى تشدد الأهالي ونظرتهم المتخلفة عن تعليم بناتهم بسبب تعصبهم الديني . ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الدين الإسلامي لم يقف حائلاً من تعلم المرأة ، بل شجع على العلم ، والكثير من آيات القرآن نزلت تحث على طلب العلم ، فلم تكن نظرة هؤلاء المتعصبين إلا نظرة متخلفة ، فبإمكان المرأة المسلمة أن تواصل تعلمها مع احتفاظها بحشمتها وعفتها ، ومن الجدير بالذكر أن أحد الموقعين على مضبطة أهالي الكرخ لفتح مدرسة للإناث كان الشيخ يوسف السويدي الذي يعد أحد رجال الدين في تلك الحقبة .

٢) الصحة :

عانت بغداد تدهوراً صحياً في حقبة الحكم العثماني وذلك بسبب نقص الخدمات الطبية الحكومية ، وقلة وعدم كفاءة مؤسساتها ، ومن العبث الذي كان يقوم به المتطببون والمشعوذون ، مما أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض وإزهاق أرواح العديد من أبناء البلاد [١] . ولما احتلت القوات البريطانية مدينة البصرة عام ١٩١٤ ، عملت منذ البداية على تطبيق أساليب الإدارة التي كانت متبعة في الهند [٢] . وبسبب ما واجهته قواتها من ظروف مناخية وصحية غير مألوفة لديها ، لذا وجدت أن تطوير الخدمات الصحية أمر يكتسب أهمية كبيرة لغرض المحافظة على سلامة قواتها [٣] . وبعد أن احتلت بريطانيا مدينة بغداد ، ومن ثم استكمل احتلال بقية أنحاء العراق ، ودخول العراق في منطقة النفوذ البريطاني المباشر ، انتقلت سلطات الاحتلال البريطاني من مرحلة تقديم الخدمات الصحية إلى مرحلة الاهتمام بتنظيم الإدارة الصحية [٤] . ولغرض تنظيم عمل الخدمات الصحية ، قامت في الجيش البريطاني إدارة للصحة المدنية أسندت مسؤولية تأسيسها وتنظيمها إلى الكولونيل باتي (Batty) ، والذي عين رئيساً إدارياً للقسم الطبي المدني الملحق بدائرة الأمور الصحية للجيش البريطاني في

---

(١) جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ٤٠٥ .

(٢) عبد الرحمن البزاز ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٣) حميد أحمد حمدان التميمي ، المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .

(٤) التقرير البريطاني المدفوع إلى عصبة الأمم ، جريدة الإخاء الوطني ، العدد ٦ ، ٧ آب ١٩٣١ .



العراق وفي ١٣ آب عام ١٩١٨ ، وفي أول آذار عام ١٩١٩ قامت السلطات البريطانية بتغيير عنوان الوظيفة المشار إليها فسميت (سكرتارية الصحة) [١] ، وفي نيسان من عام ١٩٢١ ألغيت سكرتارية الصحة ، وحلت محلها (مديرية الصحة العامة) ، وعينت للإشراف عليها الكولونيل غراهام (Graham) [٢] .

وبعد أن شكل عبد الرحمن النقيب وزارته الأولى بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ ، أصبح لشؤون التعليم ، والصحة وزارة سميت (وزارة المعارف والصحة) ، وقد أسندت في بداية الأمر إلى عزت باشا الكركوكلي ، وعلى أثر تعديل وزاري قامت به وزارة النقيب أنيطت مسؤولية وزارة المعارف والصحة إلى السيد محمد مهدي الطباطبائي [٣] .

استطاعت الإدارة الصحية التي شكلتها سلطات الاحتلال البريطاني أن تحرز تقدما في السنتين اللتين أعقبتا انتهاء الحرب العالمية الأولى ، ووفق خطة وضعها الكولونيل باتي تم في مدينة بغداد تأسيس مستشفيين ، الأول في الرصافة ، والثاني في الكرخ ، وقد أطلق على الأول منهما اسم (المستشفى العام الجديد) ، عهد بإدارته إلى الدكتور دنلوب (Dunlop) ، أما الثاني فقد أطلق عليه اسم (المستشفى المدني) ، وعهد بإدارته إلى الدكتور براهام ، ولقد ألحق بالمستشفى العام الجديد شعبة خاصة بالعيون ، وأخرى للأسنان عهد بإدارته للكابتن دوغلاس (Douglas . HT.) ، كما ألحق بالمستشفى المدني مستشفى خاص للعزل [٤] . وبالنسبة للمستشفى المدني فإن السلطة المحتلة عند دخولها بغداد قامت بترميم (مستشفى الغرباء) [٥] العثماني السابق ، وقد افتتح في شهر آب ١٩١٧ باسم المستشفى المدني

---

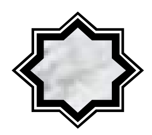
(١) د . هاشم الوتري ود . معمر خالد الشابندر ، تاريخ الطب في العراق ، بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٣٩ ، ص٦٣ .

(٢) خلف جابر الجابري ، تاريخ التطور الصحي في العراق ١٩١٤ – ١٩٣٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة البصرة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٦ .

(٣) جريدة العراق ، العدد ٢٢٥ ، ٢٤ شباط ١٩٢١ .

(٤) هاشم الوتري ، المصدر السابق ، ص ٦٩ – ٧٠ .

(٥) افتتح هذا المستشفى في الجانب الغربي من بغداد (الكرخ) عام ١٨٧٢ بعد أن حث الوالي مدحت باشا الأهالي بجمع التبرعات لإنشاء المستشفى . جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ٤٠٢ – ٤٠٣ .



وخصص لعلاج الأمراض النسائية والأطفال [١] . وقد أشار التقرير البريطاني لولاية بغداد عام ١٩١٧ إلى أن هذه المستشفى قد نهبت من قبل السكان ، فقد سرقت الأبواب والنوافذ ، وحتى الأشجار في الحديقة قطعت ، وقد شرعت السلطة بعمل الترميمات وعينت فيه ممرضات فرنسيات [٢] .

ومن المستشفيات التي افتتحت أيضا في بغداد هي (المستشفى الجديد) ، التي افتتحت يوم الأربعاء الموافق ٦ آذار ١٩١٨ واختير مكان لها محلة تحت التكية في الرصافة [٣] .

وافتتح مستشفى (الأمراض الزهرية) وقد اختير أوتيل عثمان ليكون مقرها ، وكان يحتوي على ثمانين غرفة [٤] . وأعلن في جريدة العرب أنه سيفتتح مستشفى في بغداد باسم (المستشفى العمومي الجديد) في ٢٨ تموز عام ١٩١٩ [٥] .

وفي رسالة للمس بيل أشارت إلى أنها مشغولة في محاولة تأسيس مستشفى خاص لنساء الطبقة الراقية ، وأن نساء الطبقة الراقية طلبوا السماح لهم بجمع المال اللازم لتشييد بناية لمستشفى خاصة بهن [٦] ، وفي رسالة أخرى أشارت إلى أنها جمعت لهذه المستشفى ما يزيد على ٢٠.٠٠٠ ألف روبية [٧] .

أما في الكاظمية فقد افتتح مستشفى صغير وذلك نهاية عام ١٩١٩ وكان يسع اثني عشر سريراً وخصص للزوار الإيرانيين [٨] .

بسبب الأزمة الاقتصادية لعام ١٩٢١ التي جعلت سير تقدم الإدارة الصحية بطيئاً أخذت الحكومة تفكر في تخفيف ميزانية الصحة وسد كثير من المستشفيات والصيدليات ، فنقص عدد الأسرة في المستشفيات ، وانخفض عدد الأسرة في المستشفى العام الجديد من ٤٤٢ إلى ٢٥٠

---

(١) خلف جابر الجابري ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(2)Report (of the Baghdad wilayat , 1917 . p. 174) .

(٣) جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٥٧ ، ٨ آذار ١٩١٨ .

(٤) جريدة العرب ، مجلد ٣ ، العدد ١٢٢ ، ٢٥ تشرين الأول ١٩١٨ .

(٥) جريدة العرب ، العدد ٦١٣ ٢٦ تموز ١٩١٩ .

(٦) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

(٨) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ص ٣٤٢ .

Report Baghdad Division , 1919 . p . 8 .

سرير ، ومستشفى النسائية والأطفال من ١٠٢ إلى ٨٠ ، ومستشفى العزل من ١٠٤ إلى ١٠٠ [١] .

استوجبت التطورات الصحية إلى تأسيس عدد من المعاهد الصحية الفنية هي :

١) معهد معالجة العيون .

٢) معهد مقاومة داء الكلب (معهد باستور) .

٣) معهد التحليل المركزي ، أنشأ عام ١٩١٨ .

٤) معهد أشعة رونتجن ، وأنشأ في ١ تشرين الثاني ١٩١٩ .

٥) معهد استحضار اللقاح ضد الجدري ، أنشأ في شباط ١٩١٩ .

٦) المختبر الكيمياوي ، أنشأ في عام ١٩١٩ [٢] .

وفي مذكرة قدمت في ٢٨ تموز ١٩٢٠ إلى الحاكم المدني أشير فيها إلى أنه تم تشغيل خمسة مراكز للعيون في بغداد ، وأن ثلاثة من هذه المراكز كانت تعمل منذ ١ تموز ، وأشارت المذكرة إلى أن بغداد فقط تنهض بهذا العمل ، ويعتزم مواجهة هذا المرض في كل أنحاء البلاد [٣] .

ومن الجدير بالإشارة فإن التقرير السنوي لبغداد عام ١٩١٩ ذكر أن (القسم الصحي / ١٠٠) كان العمود الفقري لقسم الصحة منذ عام ١٩١٩ ، وقد شرع سنة ١٩١٨ في تدريب الرجال المحليين ، وأنهى هذا القسم واجبه وغادر في شباط ١٩١٩ ، وحل محلهم الموظفون المحليون الذين دربوا من قبلهم [٤] .

بخصوص تأسيس (جمعية الأطباء البغدادية) و (جمعية الصيادلة البغدادية) ، فنذكر تباعاً تفاصيل تأسيس الجمعية الأولى ، فقد نشرت جريدة العراق بعددها (٢٥) خبراً مفاده أن مديرية الصحة عازمة على فتح معهد طبي لمناهضة أمراض العيون [٥] ، وفي رسالة موجهة من قبل الدكتور سامي شوكت إلى مدير جريدة العراق وقد نشرتها الجريدة بعددها (٢٨)

---

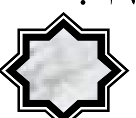
(١) التقرير البريطاني ، المصدر السابق ، جريدة الإخاء الوطني ، العدد ٦ ، ٧ آب ١٩٢١ .
Report on Iraq Administration , April , 1922 March , 1923 , p. 81 .

(٢) هاشم الوتري ، المصدر السابق ، ص ٨١ – ٨٧ .

(٣) د . ك . و ، الاحتلال البريطاني / بلدية بغداد ، الملفة ٢/٧٤٥ ، و ١٩ ص ٢٢ .

(4)Report , Baghdad Division , 1919 . p . 32 .

(٥) جريدة العراق ، العدد ٢٥ ، ٣٠ حزيران ١٩٢٠ .



أشار فيها إلى أن أسباب مرض العيون هو الغبار المتطاير وقال أيضا : هلا نصحتم الإدارة المسؤولة عن حفظ الصحة العامة أن تضاعف رش الطرق وتطهيرها لتسكين الغبار ورفع الأوساخ حيثما وجدت [١] . وبسبب اهتمام مدير الصحة بمقال الدكتور سامي شوكت والذي اقترح بمقاله لتأسيس جمعية طبية ، وبناء عليه فقد ترأس مدير الصحة (هيكز) اجتماعا ضم (٣٤) طبيبا بينهم (١٠) بريطانيين وقد انتخب الكولونيل و . ب . لين مدير الصحة العامة في العراق رئيساً أول وانتخب الأطباء الآتية أسماؤهم ليكونوا أعضاء لسنة ١٩٢٠ – ١٩٢١ :

رئيس الاجتماعات : د . محمد كاني .

نائب الرئيس : د . سامي شوكت .

أمين الصندوق : الميجر هيكز [٢] .

أما جمعية الصيادلة في بغداد ، فقد ألفت أثر الدعوة التي وجهها الميجر هيكز رئيس إدارة الصحة لجميع صيادلة بغداد ، وتقرر باتفاق الرأي تأليف (جمعية صيادلة بغداد) ، وانتخب المستر . أي . مارتر رئيس الاجتماعات وداود فتو عضو ، وعبد الكريم عيسى كاتم الأسرار وأمين الصندوق ، وتقرر عقد الاجتماعات مرة واحدة في كل أسبوعين [٣] .

بالنسبة للأمراض التي اجتاحت بغداد فإن ريجارد كوك يذكر أنه في عام ١٩١٧ اجتاح المدينة مرض (الكوليرا) [٤] فأجري تطعيم عام ضد المرض ، إلا أن شخصاً واحداً في الجيش البريطاني رفض التطعيم ، إنه الجنرال مود نفسه [٥] . وفي الأول من شباط ١٩١٨ أصدر الحاكم الملكي إعلانا دعا فيه كل من يحترف الطب أن يبلغ وبدون تأخير عن أي إصابة بأمراض الكوليرا والطاعون والجدري والأمراض المعدية الأخرى ، وهدد البيان كل من يتأخر عن

---

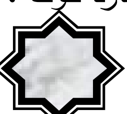
(١) جريدة العراق ، العدد ٢٨ ، ٣ تموز ١٩٢٠ .

(٢) جريدة العراق ، العدد ٦٧ ، ١٨ آب ١٩٢٠ .

(٣) جريدة العراق ، العدد ٩١ ، ١٦ أيلول ١٩٢٠ .

(٤) فتك هذا المرض بأهل بغداد عام ١٩١٠ وأمر والي بغداد بإغلاق المدارس جميعها خوفا من انتشاره بين الطلبة وكان يسمى (داء الهواء الأصغر) .
جريدة صدى بابل ، العدد ٦٢ ، ٢١ تشرين الأول ١٩١٠ .

(٥) وبسبب ذلك المرض توفي الجنرال مود . ريجارد كوك ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٠٥ .



التبليغ بإيقافه عن مباشرة مهنته ، فضلاً عن غرامة مالية [١] . ومن الإجراءات الصحية المتخذة في بغداد هي محاكمة الأشخاص الذين يخفون إصابات الأمراض السارية ، وكما حصل بحق اليهوديين حسقيل ، وأفرايم لإخفائهما إصابات الجدري التي حدثت في بيوتهم ، وحكم عليهم بغرامة نقدية [٢] ، وحكم على امرأة يهودية أخرى في منطقة الرصافة بغرامة نقدية [٣] ، وحكم على آخر من منطقة الكرخ لإخفائه الإصابة بنفس المرض وحكم عليه بغرامة نقدية أيضا وقدرها ١٠ روبيات [٤] .

ومن الأمراض السارية التي تفشت في بغداد أواخر ربيع ١٩١٩ ، مرض الطاعون حيث مات بسببه أكثر من ستمائة شخص ، وقام رجال الإطفاء البريطانيين والممرضات البريطانيات بعملية التطعيم ضد المرض [٥] . وكانت هناك أربعة مراكز للتطعيم ، في الرصافة ثلاثة وهي : دكان شناوه ، والشورجه ، وباب الشيخ ، والمركز الرابع في جانب الكرخ [٦] . ويذكر كوك في كتابه إلى أن استفحال هذا المرض في بغداد جاء بسبب ازدحام السكان في المدينة ، إذ وجد في قسم من الحالات أن خمسين من السكان في دار ذات تسع غرف [٧] . وأكثر المناطق تعرضاً للإصابة بهذا الوباء في بغداد هي المناطق التي يسكنها اليهود ، بسبب الازدحام في المساكن فضلاً عن وجود أكثر من عائلة في المنزل الواحد [٨] .

إضافة للأمراض التي ذكرناها ، فإن هناك أمراض أخرى كانت تنتشر بين السكان في بغداد ، والجدول التالي يوضح عدد الإصابات ونوع الأمراض للعامين ١٩١٨ و ١٩١٩[٩] .

---

(١) مجموعة البيانات الإعلانات والصادرة من القائد العام للقوات البريطانية في العراق ، بغداد ، مطبعة دنكور ، ١٩٣٦ ، إعلان رقم (٧) ، ص ٢٢ .

(٢) جريدة العرب ، العدد ١١٧ ، ١٩ تشرين الأول ١٩١٨ .

(٣) جريدة العرب ، العدد ١٢١ ، ٢٤ تشرين الأول ١٩١٨ .

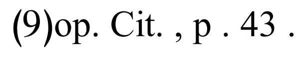
(٤) جريدة العرب ، العدد ١٣٨ ، ١٣ تشرين الثاني ١٩١٨ .

(٥) ريجارد كوك ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .

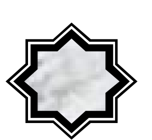
(6)Report , op . cit , p . 48 .

(٧) ريجارد كوك ، المصدر نفسه ، ص ٢١١ .

(٨) خلف جابر الجابري ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .



(9)op. Cit. , p . 43 .



اسم المرض	عدد الإصابات لعام ١٩١٨	عدد الإصابات لعام ١٩١٩
الجدري	٤٧٣	١٥
الحصبة	١٥٢	٣٩
التيفوئيد	٩٧	٣٤
الكوليرا	٢٠	–
جدري الماء	٣	٤
الحمى القرمزيه	٣	١
حمى النفاس	–	٣
الطاعون	٤	٨٨٣

لقد تظافرت عوامل عديدة لتجعل من العراق بؤرة للأمراض ، فوقوع العراق على طرق المواصلات جعله عرضة للأمراض الوافدة بواسطة القوافل التجارية أو قوافل الزوار الأجانب لزيارة العتبات المقدسة أو للحج ، علاوة على أن نقل جثث الموتى إلى النجف وكربلاء تعتبر مصدراً خصباً لانتشار الأمراض في تلك الفترة .

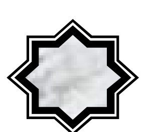
وبالنسبة لما يخص الأطباء والقوابل فإن القائد العام للقوات البريطانية (المرهولدن) أصدر بياناً في ٢٨ / مايس / ١٩٢٠ أسماه في الفقرة الرابعة منه (بيان الحكماء والقوابل لسنة ١٩٢٠) وقد أشار البيان إلى أنه لا يجوز استعمال جواهر سامة من ضمن العلاج ، ولا يسمح لمضمدي الجروح أن يجمعوا بين الحلاقة ومعالجة الجروح ، ودعا في البيان القوابل في كل من بغداد والبصرة إلى أن يبلغن عن جميع المواليد التي يباشرنها (١) . وقد عدل هذا البيان في ١٣ أيلول ١٩٢٠ ، ومما جاء في التعديل أنه على القوابل داخل حدود بغداد والبصرة أن يبلغن في خلال ٢٤ ساعة عن الولادات التي يباشرنها (٢) .

على الرغم من الإجراءات المتخذة من قبل سلطة الاحتلال البريطاني بخصوص الأوضاع الصحية في بغداد إلا أنها لم تحد إلا بشكل قليل من الأمراض المنتشرة في المدينة ، وهناك أسباب وعوامل عديدة ساهمت في زيادة انتشار تلك الأمراض والأوبئة منها انعدام الوعي

---

(1)Compilation of Proclamations , Notifications , etc. Relating to the civil Administration and Inhabitants of Mesopotamia . 1st September 1919 to 30th September 1920 , pp. 70 – 71 .

(2)Ibid , p. 83 .



الصحي لدى بعض السكان ، وعدم تقبل فكرة التطعيم ضد الأمراض والازدحام السكاني ، ويبدو أن هناك أكثر من عائلة تسكن في بيت واحد ، كما أن المدينة كانت ممراً لمرور قوافل الحجاج وزوار العتبات المقدسة والقادمين من إيران والهند ، عبر مدينة خانقين ، وعلى الرغم من الأوضاع المزرية للوضع الصحي في ظل السلطة المحتلة لكنها أظهرت بواكير تأليف جمعية الأطباء العراقيين ، وجمعية الصيادلة العراقيين .

٣) الخدمات الثقافية :

أ- الصحافة :

حين احتل البريطانيون بغداد عام ١٩١٧ ، توقفت جريدة (الزوراء) (١) فقاموا بإصدار جريدة (العرب) في ٤ تموز ١٩١٧ . أعلنت هذه الصحيفة بأنها : جريدة سياسية إخبارية تاريخية عمرانية عربية المبدأ والغرض ينشئها في بغداد عرب للعرب (٢) . ويلاحظ أن البريطانيين تجنبوا ربط الجريدة بهم بشكل مباشر ، وعمدوا إلى الترويج لها بأنها عربية . أما الهدف من إصدارها فهو محاولة فرض الرأي السياسي لسلطات الاحتلال تحت ستار (هو منكم وإليكم) وذلك بعد أن أدرك البريطانيون ما بلغه الشعب العراقي من وعي ثقافي يتطلب وجود صحافة تعبر عن أمانيه وطموحاته ، لذا حاول إصدار مجموعة من الصحف أولها جريدة العرب .

يذكر التقرير البريطاني لعام ١٩١٧ ، أنه كانت تطبع ١٥٠٠ نسخة يوميا من هذه الصحيفة (٣) . ومن الطريف أن نذكر فقرات من إحدى رسائل المس بيل إلى والدها في ٢٥ حزيران ١٩١٧ وفيها تعلمه بميلاد هذه الجريدة ، فقالت : ((تتخذ التدابير لإصدار جريدة محلية عربية وهي الجريدة التي طال شوقنا إلى صدورها ولم يعقنا عن ذلك إلا فقدان الورق ، فبعد إجراءات رسمية عديدة توصلنا إلى تحقيق تلك الرغبة وقد عهد للمستر فيلبي تحريرها)) (٤)

---

(١) صدرت في ١٥ حزيران ١٨٦٩ ، جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ٣٨٥ .

(٢) د . خالد حبيب الراوي ، الصحافة في ظل الاحتلال البريطاني للعراق ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٦ ، حزيران ١٩٩٢ ، ص ٧٣ .

(3)Report of the Baghdad wilayat 1917 , p. 4 .

(٤) المس بيل ، العراق في رسائل المس بيل ، ص ٤٤ .



يساعده الأب (أنستاس ماري الكرملي) [١] . وقد أسهم العديد من الشعراء والكتاب في رفد الجريدة بالمقالات والقصائد لقاء أجور مغرية وكانوا ينشرونها بتواقيع مستعارة [٢] . ويذكر علي الوردي أن استعمال الكتاب الأسماء المستعارة سببه خشيتهم من عودة الأتراك إلى بغداد فينتقمون منهم . ويبدو أن التخوف من الأتراك كان أحد الأسباب أما السبب الرئيسي فهو الإحراج الذي يتعرضون له أمام الأهالي إذا انكشف أمرهم .

استمرت جريدة العرب بالصدور إلى أن نشرت في ٣١ أيار سنة ١٩٢٠خبرا مفاده أنها ستحجب وقد شكرت قراءها على إقبالهم على مطالعتها ، وذكرت بأنه سيتم إصدار جريدة في اليوم التالي باسم (جريدة العراق) [٣] . ويلاحظ أن اسم جريدة العرب كان يتطابق مع السياسة المرحلية لبريطانيا ، وعندما تشكلت الحدود النهائية للعراق في مؤتمر سان ريمو نهاية نيسان ١٩٢٠ تم اختيار اسم جديد للصحيفة وهو (العراق) بدلا من جريدة العرب .

ومن الصحف الأخرى التي صدرت في بغداد وبمباركة من السلطات البريطانية صحيفة الشرق وذلك في ٣٠ آب ١٩٢٠ ، وكان الهدف من إصدارها طبقا لما ذكرته في افتتاحية عددها الأول بث روح المسالمة بين العراقيين والبريطانيين . وأدار هذه الصحيفة (حسين أفنان) [٤] ، وكانت المس بيل دائمة المدح بهذا الرجل ووصفته بالصديق البارع العظيم [٥] . وقد احتجبت هذه الجريدة وكان آخر عدد لها هو (٥٨) لتقلد صاحبها منصب سكرتارية مجلس

(١) ولد ببغداد عام ١٨٦٦ ، وتلقى تعلميه الابتدائي والثانوي فيها ··· نفاه العثمانيون خلال الحرب العالمية الأولى إلى الأناضول ، ثم أعيد إلى بغداد . أصدر مجلة لغة العرب عام ١٩١١ ، ومن آثاره (خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا) و(جبل الكرمل) و(الغرر النواظر والدرر الزواهر) ··· الخ .

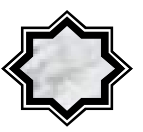
د . عماد عبد السلام رؤوف ، التاريخ والمؤرخون العرب في العهد العثماني ، ط١ ، بغداد ، دار واسط ، ١٩٨٣ ، ص ٣٠١ – ٣٠٢ .

(٢) د . علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٣ .

(٣) جريدة العراق ، العدد ٨٧٢ ، ٣١ أيار ١٩٢٠ . خالد حبيب الراوي ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٤) كان قبل مجيئه مع الحملة البريطانية ، آمرا لمعتقل الأسرى العرب في (سمربور) في الهند ، وهو أحد أقارب زعيم النحلة البهائية . هادي طعمة ، الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية ١٩١٤ – ١٩٢١ ، بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٤ ، ص ١١٩ – ١٢٠.

(٥) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ .



الوزراء العراقي [١] . ومن الصحف الأخرى التي صدرت في بغداد صحيفة (الأوقات البغدادية) وذلك في ١ كانون الثاني ١٩١٨ [٢] وذكر التقرير البريطاني لعام ١٩١٧ أنه صدرت صحيفة باللغة الإنكليزية باسم (The Baghdad times) في نهاية عام ١٩١٧ ، وأنها كانت ترضي أذواق القوات البريطانية [٣] .

وفي ٢٣ حزيران ١٩١٨ تم إصدار جريدة (دار السلام) ، التي تحولت بعد ١٤ عدد إلى مجلة وذلك في ٦ تشرين الأول ١٩١٨ وتولى إدارتها الأب أنستاس ، واستمرت بالصدور لمدة ثلاث سنوات [٤] ومن المجلات التي صدرت في بغداد (مجلة اللسان) ومديرها أنطوان لوقا وعلي رضا الغزالي وقد صدرت في تاريخ ١ آب ١٩١٩ ، ومجلة (العدلية) التي أصدرت في ١ أيلول ١٩٢٠ [٥] .

وبالنسبة للصحافة البغدادية ، وما قامت به خلال ثورة العشرين ، فإنه كان لصحيفة الاستقلال الدور الريادي للوقوف بوجه السلطة المحتلة والمطالبة بحقوق الشعب العراقي . وقد صدرت هذه الصحيفة في ٢٨ أيلول ١٩٢٠ وكان يديرها الأستاذ عبد الغفور البدري [٦] ، وقد جاهدت الصحيفة في شرح أسباب الثورة ، وبعد عودة المنفيين الوطنيين إلى بغداد صدر عدد خاص عنهم وطالبت الصحيفة بإرجاع المنفيين الآخرين ، وكان لهذا العدد أثر مدوياً في

(١) جريدة العراق ، العدد ١٤٤ ، ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

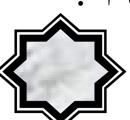
(2)Report , op. Cit . p. 206 .

(3)Ibid , p. 4 .

(٤) فائق بطي ، صحافة العراق (تاريخها وكفاح أجيالها) ، بغداد ، مطبعة الأديب ، ١٩٦٨ ، ص ٣١.

(٥) فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٧ ، ج٤ ، ص ١٤٣ .

(٦) جريدة العراق ، العدد ١٠١ ، ٢٩ أيلول ١٩٢٠ .



المجتمع مما اضطر السلطة إلى إغلاق الصحيفة وإيقاف مديرها [1] .

وفي منتصف عام ١٩٢١ كانت تصدر في بغداد صحيفة واحدة ألا وهي (العراق) ، وهكذا برزت في وقت واحد أربع صحف وهي (الفلاح) لصاحبها عبد اللطيف الفلاحي وصدر العدد الأول منها في ٢٠ حزيران ١٩٢١ ، وجريدة (لسان العرب) لصاحبها إبراهيم حلمي العمر وصدر عددها الأول بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٢١ ، وجريدة (دجلة) لصاحبها المحامي داود السعدي وصدر عددها الأول يوم ٢٥ حزيران ١٩٢١ [2] .

إضافة إلى الصحف التي ذكرت أعلاه فإن يهود بغداد قد أصدروا صحيفة باسم (يشرون) وكان مديرها (الياهو ناحوم) أما محرريها فهم الخواجا صيون أدرعي والخواجه يعقوب صيون ، وكان مكان إدارتها في الشورجة في النادي الإسرائيلي [3] .

يتبين من خلال ما تقدم سيطرة السلطة البريطانية على أكثر الصحف والإشراف المباشر من قبل عناصرها الاستعماريين أمثال المس بيل والمستر فلبي ، إضافة إلى قيام البعض ممن جعلوا أقلامهم في خدمة المحتل وباعوا أنفسهم بثمن بخس ، كانوا يتقاضونه لقاء مقالاتهم التي تتصدر صحف المحتلين .

ب- الطباعة :

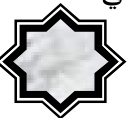
قبل التحدث عن الطباعة في بغداد في ظل السلطة البريطانية لا بد من العودة إلى المدة السابقة والتعرف على أهم المطابع التي كانت تعمل في بغداد في عهد العثمانيين ، فيذكر

---

(١) رفائيل بطي ، صحافة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ج١ ، ص ٦٥ – ٦٧ . ويبدو من خلال إحدى رسائل المس بيل المؤرخة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ أنها كانت وراء عملية إغلاق الصحيفة ومما جاء في الرسالة : ((أقمت ثلاث حفلات عشاء في الأسبوع الماضي ... وحضر إلى الحفلة الثانية المستر والمسز فيلبي ، ورشيد بك الخوجه ومحرر الجريدة الوطنية البارزة في البلاد ، وكان المحرر نفسه أميا تقريبا فلم يفتح فمه بشيء ، لكننا جميعا تكلمنا بجد عن قضية الساعة المهمة وهي قضية الانتخاب . وعن البولشفيه وما أشبه . وبقي أن نعرف ما إذا كان المحرر قد تعلم شيئاً من الحكمة والتعقل ، فإذا لم يكن قد تعلم فإن الساعة آتية حينما سنضطر إلى إيقاف الجريدة عن الصدور)) . المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٢) عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، ج٢ ، ص ٢٠٤ .

(٣) جريدة العراق ، العدد ١٤٧ ، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ .



روفائيل بطي أن باحثاً عراقياً زعم أنه استشف من كتب الرحالين الأجانب أن داود باشا قد أسس في مدينة السلام عام ١٨١٦ صحيفة باسم (جورنال العراق) كانت تطبع في مطبعة حجرية ، وباللغتين العربية والتركية [١] .

أما إبراهيم حلمي فيذكر أن أول مطبعة أنشئت في بغداد هي مطبعة الولاية والتي جلبها مدحت باشا عام ١٨٦٩ وسماها (الزوراء) نسبة إلى بغداد ، ثم يناقض نفسه مرة أخرى فيذكر تاريخ إنشاء مطبعة كامل التبريزي عام ١٨٦١ ، ومن المطابع الأخرى في بغداد كانت مطبعة دار السلام ومنشئها إبراهيم باشا (مدير الأملاك المدورة) سنة ١٨٩٢ [٢] . وافتتحت مطبعة للفيلق عام ١٨٦٩ [٣] ، والمطبعة الحميدية عام ١٨٩٢ ومؤسسها عبد الوهاب النائب ، ومطبعة بيخور التي أنشأها أحد اليهود سنة ١٨٨٤ ، ومطبعة دنكور التي أنشأها اليهود أيضا عام ١٩٠٢ الذي جلبها إلى بغداد الحاخام عزرا دنكور [٤] .

وقد أنشأ محمود الشابندر مطبعة اسماها مطبعة (الشابندر) وذلك سنة ١٩٠٧ [٥] . وتأسست مطبعة أخرى عام ١٩٠٩ باسم (مطبعة الآداب) وأوكل بإدارتها إلى فرنسيس الموصلي[٦] .

وفي عام ١٩١٠ تأسست في بغداد مطبعة (الرياض) ومؤسسها سليمان الدخيل ، فضلا عن قيام الآباء الكرمليين بتأسيس مطبعة لهم عام ١٩١٤ ، وهي التي كانت تطبع مجلة لغة العرب [٧] .

---

(١) رفائيل بطي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٠ .

(٢) إبراهيم حلمي ، الطباعة في دار السلام والنجف وكربلاء ، مجلة لغة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٧ كانون الثاني ١٩١٣ ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .

(٣) شهاب أحمد الحميد ، تاريخ الطباعة في العراق ، بغداد ، مطبعة دار الساعة ، ١٩٧٦ ، ج١ ، ص ١٢ .

(٤) إبراهيم حلمي ، المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ .

(٥) بهنام فضيل عفاص ، تاريخ الطباعة العراقية منذ نشوئها وحتى الحرب العالمية الأولى ، مجلة المورد ، مجلد ١٢ ، العدد ٢ ، ١٩٨٣ ، ص ١٦ .

(٦) د . خليل صابات ، تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٨ ، ص ٢٨٧ .

(٧) بهنام فضيل عفاص ، المصدر نفسه ، ص ٢٢ .



ويشير التقرير البريطاني والمقدم من قبل الكابتن (C . F . WEAKFORD) [١] ، كيف تم تكليفه بإدارة المطابع في بغداد ومما جاء في تقريره : ((وصلت إلى بغداد وأثبت حضوري لدى الضابط السياسي المسؤول في ١٩١٧/٤/٢٨ ، وتسلمت من السر بيرسي كوكس قائمة عن المطابع المعروفة في بغداد التي فتشتها وكتبت تقريري عنها تحت رقم . (e) 1-4 والمؤرخ في ١٩١٧/٤/٢٨ ، وفتشت أيضا المباني في بغداد لأجل أن أضمن مبانٍ مناسبة لمطبعة الحكومة ، وأخيراً أخذنا دور محمود الشابندر ، التي ضم إحداها المطبعة التي أديرت من قبله في السابق ، الأكبر والأفضل تجهيزاً في بغداد ، فقمت بنقل المطبعة من المباني القديمة إلى مبنى مناسب ، ونظمت المطبعة من المواد المتاحة)) [٢] .

يلاحظ من خلال النص أن المحتلين قد استولوا على هذه المطبعة لصاحبها التاجر البغدادي محمود الشابندر الآنفة الذكر . ويستطرد كاتب التقرير تفاصيل إشرافه على مطبعة الحكومة في بغداد قائلاً : ((أعددت طلباً لشراء بعض المواد التي وافق عليها آرنولد ويلسون ٠٠٠ على أنني عجزت عن إحراز أي تقدم كبير حتى كانون الأول ١٩١٧ عندما وصل أول قسط من المواد المطلوبة من بريطانيا في مايس ١٩١٧ ٠٠٠ وقد واجهنا إعاقة في العمل منذ البداية بسبب فقدان (الورق) [٣] ، والمواد الأخرى ، وفي تشرين الأول ١٩١٧ قرر المفوض المدني ، بعد تشاور مع السيد (M . J . cogswell) مراقب المطبعة في الهند الذي كان آنذاك في زيارة إلى بغداد ، أن يركب ماكنة تنضيد الأحرف لمواجهة ضغط العمل المتزايد ، وقد وصلت الماكنة في كانون الثاني ١٩١٨ ، تحت عناية ممثل شركة (Linotype and Machinery) ونصبت وأديرت في شباط ١٩١٨)) [٤] .

---

(١) شغل وظيفة مراقب مطبعة البصرة من ١٩١٦/٤/١ إلى آذار ١٩١٧ واستدعى إلى بغداد نهاية آذار ١٩١٧ . Rrport , op . Cit , p . 205 .

(2)Ibid , p . 205 .

(٣) يبدو أن المس بيل أيضاً قد أشارت في إحدى رسائلها المؤرخة في ٢٥ حزيران ١٩١٧ حول هذه المشكلة قائلة : ((ولكي يفرحني في هذا الأسبوع عجل باتخاذ الترتيبات اللازمة لإصدار جريدة عربية محلية كنا نتمنى صدورها كلنا ، وقد تأجل إصدارها حتى الآن لعدم توفر الورق اللازم ٠٠٠)) . المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(4)Report , op . cit , p . 205 .



وقد بلغت ميزانية المطبعة في عام ١٩١٧ ، (١٣٢٤٩٨) روبية ولم يتجاوز عدد عمالها الثلاثين [١] . وقد بلغت المطابع المجازة في بغداد عام ١٩٢١ أربعة هي : دار السلام ، ومطبعة العراق ، ومطبعة التايمس ، ومطبع أخرى كان يديرها عبد الغفور البدري كانت تقع في منطقة الميدان [٢] .

جـ – المكتبات :

كانت المس بيل الإدارة الفعالة في حركة الطباعة والترجمة والنشر ، ويشار إلى أنها هي التي أنشأت (مكتبة السلام) لغرض توزيع المطبوعات على نطاق واسع وبأسعار زهيدة ، وتألفت إدارة المكتبة من بعض العراقيين والبريطانيين[٣] . وقد نشرت صحيفة العرب تفاصيل افتتاح المكتبة في ١ تشرين الثاني ١٩١٩ وذكرت أنه كان في النية تسميتها باسم (مكتبة المستنصرية) وكان من جملة خطباء الحفل جميل صدقي الزهاوي ، الذي تطرق إلى أهمية العلم والمكتبات وإلى مكانة بغداد الثقافية عبر التاريخ [٤] .

وتذكر المس بيل في رسالتها المؤرخة في ٢ تشرين الثاني ١٩١٩ حضورها لحفل الافتتاح فتقول : حضرت حفلة أقيمت لمنفعة مكتبة عامة تفتح للأهلين ٠٠٠ وقد ألقيت خطابا فيها لم يكن ارتجاليا ٠٠٠ فكان جميع الخطباء الآخرين أكثر بلاغة مني وقد ألقى كبير الأدباء قصيدة نظمها خصيصاً لهذه المناسبة ، فقوبلت بنجاح عظيم [٥] .

أما حارث يوسف غنيمة فيذكر أن افتتاح المكتبة جاء بمقترح من المسز فوربس (زوجة رئيس محكمة التمييز ببغداد) ، حيث دعت عدداً من الشخصيات البغدادية إلى اجتماع عقد في دارها ، فعرضت الفكرة فاستحسنوها وانتخبوا من بينهم لجنة لتأسيس المكتبة وإدارة شؤونها ضمت كلاً من المسز فوربس (رئيسة) وحمدي الباجه جي (كاتم أسرار) ويوسف غنيمة (أمين الصندوق) والكابتن كوك وعارف السويدي والشيخ كاظم الدجيلي والدكتور

---

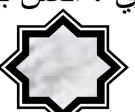
(١) خليل صابات ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

(٢) شهاب أحمد الحميد ، المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٣) عباس ياسر الزيدي ، تاريخ الصحافة العراقية (منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٦) ، رسالة دكتوراه ، ١٩٧٥ ، كلية الآداب / جامعة عين شمس ، ص ١٢١ .

(٤) جريدة العرب ، العدد ٦٩٩ ، ٤ تشرين الثاني ١٩١٩ .

(٥) الأديب الذي تقصده هو جميل صدقي الزهاوي ، المس بيل ، المصدر السابق ، ص١٠٤.



أفلاطون مرزا (أعضاء) ، وكان حفل الافتتاح في سينما رويال ، وقد افتتحت أبوابها في نيسان ١٩٢٠ ، وبعد مغادرة المسز فوربس العراق انتخبت (المس بيل) [١] ، رئيسة للمكتبة [٢] .

يتبن من خلال ما تقدم أن المسز فوربس هي صاحبة الاقتراح بافتتاح المكتبة ، بل هي المؤسسة الحقيقية لها ، وعكس ما يقال بأن المس بيل هي صاحبة الفكرة ، فلم تكن المس بيل إلا أحد المدعوين لحضور حفل الافتتاح يوم ١ تشرين الثاني ١٩١٩ .

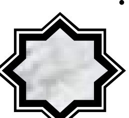
وقد ذكرت جريدة العراق في عددها الصادر في ١تموز ١٩٢٠ متفاخرة بأن الحاكم الملكي العام السر آرنولد ويلسون قد أنعم على مكتبة السلام بهدية نفيسة مؤلفة من عدد كبير من الكتب العربية الجغرافية والأدبية والتاريخية [٣] .

---

(١) تذكر المس بيل أنه قد تم انتخابها رئيسة لمكتبة بغداد العامة . المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

(٢) يذكر حارث يوسف غنيمة نقلا عن أبيه أن لجنة المكتبة قررت إهدائها إلى وزارة المعارف وكانت تحتوي (٤٢٨٣) كتابا . وذلك في ١٩٢٤/٧/٢٢ وأصبحت تدعى بالمكتبة العامة . حارث يوسف غنيمة ، السياسي والأديب يوسف غنيمة ، بغداد ، دار الحرية ، ١٩٩٠ ، ص ٢٢ – ٢٣ .

(٣) جريدة العراق ، العدد ٢٦ ، ١ تموز ١٩٢٠ .



ثانيا – الأوضاع الاقتصادية لمدينة بغداد في ظل الاحتلال البريطاني :

١) الضرائب :

تقول المس بيل فيما يخص الضرائب : ((حينما وصلنا إلى بغداد لم يكن هناك بيان لتحقق الواردات عن أي ضريبة من الضرائب ، يمكن أن تجري الجباية بموجبه ، كما لم يكن ثمة أي موظف باق في منصبه ... وعلى كل فقد كانت الحاجة تدعو إلى اتخاذ قرارات عاجلة في هذا الشأن وقد وصل (ضابط الواردات الأول) [١] ، إلى بغداد في ٢٢ آذار))[٢].

اتخذت السلطة المحتلة عدداً من القرارات بخصوص الضرائب ، وكان أول هذه القرارات ، هو ما اتخذه الجنرال مود بإلغاء ضريبة الملح اعتباراً من ١٥ مايس ١٩١٧ . وأعلن في بيان خاص أن تلك الضريبة أصبحت ثقيلة على أهالي الولاية [٣] . ويبدو أن مود أراد أن يثبت للسكان بأن المحتلين الجدد ليسوا أشد طمعاً من العثمانيين ، ولكن الأيام القادمة ستثبت عكس ذلك ، فما أبلغ صحيفة الفرات عندما تتوجه إلى وكيل الحاكم العام البريطاني قائلة له : ((... فتراب كل منطقة يشهد بأنكم سلبتم الحب حتى من منقار الطائر ، واستخرجتم المخ من العظم ، وضاعفتم الخراج أضعافا للزراع فأصبحوا يسألون الناس إلحافاً ، وأنتم تسألونهم فوق الجهد وتكلفون نفوسهم فوق الوسع ، أهذا عدلكم ؟)) [٤] .

تذكر المس بيل أن أسهل خطة تتبع في جمع الضرائب هي العودة إلى طريقة الالتزام القديمة [٥] ، وبالفعل فقد اتخذت عدة إجراءات في بغداد لمنح الالتزام ، وسنورد أقيام الرسوم التي كان يتقاضاها الملتزم من خلال نشرها في صحيفة العرب وصحيفة العراق ومن هذه الرسوم هو رسم دلالية الخضراوات ومقدارها ٢.٥ % ورسوم دلالية الحيوانات ومقدارها ٢.٥ % [٦] ، ورسوم تجارة النقل النهري داخل حدود بغداد . وكانت تحدد قيمة الرسم بحسب نوع واسطة النقل

---

(١) المعني هو المستر (غاريت) الذي استمر في منصبه حتى تموز ١٩١٨ .

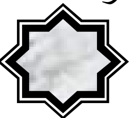
(٢) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ص ٢٣٦ .

(٣) مجموعة البيانات والإعلانات ، المصدر السابق ، البيان رقم (١) ، ص ٣ .

(٤) جريدة الفرات ، العدد ٥ ، ٢ محرم ١٣٣٩ هـ .

(٥) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٦) جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٧٣ ، ٢٧ آذار ١٩١٨ .



النهري ، ومنح (جسر الخر) للالتزام اعتبارا من آذار ١٩١٨ [١] . وعرضت حصة الحكومة من زراعة المخضرات البالغة ١٠% بالالتزام في بغداد والكاظمية [٢] ، والتزام رسم الأسماك البالغة ٢٠% [٣] .

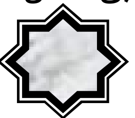
وفي اجتماع عقده مجلس البلدية وبحضور رئيس البلدية وأعضاء المجلس ، طرح بلفور فكرة منح الالتزام لجسري كوتا ومود [٤] . وبالفعل فقد أعلن أنه سيتم أخذ رسوم على جميع وسائط النقل التي تمر على هذين الجسرين اعتبارا من ١٥ تشرين الأول ١٩٢٠ واستثنى من ذلك وسائط النقل العائدة للسلطة المحتلة والضباط العسكريين [٥] .

ومن الضرائب التي كانت تأخذها السلطة المحتلة ، ضريبة تؤخذ على النخيل وكان أقصى قيمة تؤخذ هي ٧.٥ آنات لكل نخلة [٦] . كما كانت تؤخذ رسوم على نقل جثث الموتى إلى كل من كربلاء والنجف ، وكان قيمة الرسم ٢.٥ روبية لكل جثة [٧] وبخصوص المهن والورش الصغيرة في بغداد فقد كانت السلطة تأخذ ٣٠ روبية كل ٦ أشهر لمنحهم رخصة العمل [٨] .

ونظراً إلى أن السلطة البريطانية كانت مدفوعة برغبتها للحصول على المال بأية وسيلة لذلك سمحت ببيع الأفيون في البلاد وقامت بإصدار بعض القرارات التي تخص تجارة هذه المادة مستهدفة الحصول على الرسوم الضريبة ومن هذه القرارات البيان رقم (١٠) في ١٩١٨/١٠/٤ ، والبيان رقم (١٣) في ١٩١٨/١٠/٣١ [٩] ، ولكن خطة فرض الضريبة على الأفيون قد

---

(١) جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٦٧ ، ٢٠ آذار ١٩١٨ .
(٢) جريدة العرب ، العدد ٥٦٨ ، ٢ حزيران ١٩١٩ .
(٣) جريدة العرب ، العدد ٦٠٦ ، ١٨ تموز ١٩١٩ .
(٤) جريدة العرب ، العدد ٨٦٢ ، ١٩ أيار ١٩٢٠ .
(٥) جريدة العرب ، العدد ١١٤ ، ١٤ تشرين الأول ١٩٢٠ .
(٦) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٦٥ . سعيد عبود السامرائي ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العراقي ، ط١ ، النجف ، مطبعة النهضة ، ١٩٧٣ ، ص ٨٤ .
(٧) جريدة العرب ، مجلد ٣ العدد ١٦٠ ، ٩ كانون الأول ١٩١٨ .
(٨) جريدة العرب ، مجلد ٣ ، العدد ٥٢ ، ٢ آب ١٩١٨ .
(٩) مجموعة البيانات والإعلانات ، المصدر السابق ، ص ٢٦ – ٣٥ .



فشلت وكما تقول المس بيل ، فلم تقدم في بغداد طلبات بمنح الإجازة اللازمة لاستيراد الأفيون بقصد الاستهلاك في بغداد [١] .

وفيما يلي ملخص جمع الواردات في بغداد للأشهر التسعة ابتداء من ٤/١٨ ولغاية كانون الأول ١٩١٨ [٢] :

المبلغ (بالروبية)	نوع الضريبة
٢١٨٣٣٠٥	إجمالي إيراد الأرض
٤٢١٣٧٨	إجمالي ضريبة التمور
٦٥٨٢٩٥	إجمالي ضريبة الكودة
٣٧٥٦٧٥	متفرقة

ويشير التقرير السنوي لمدينة بغداد عام ١٩١٩ إلى : ((أنه قد أعيد تثمين الدور والمحلات ... وأظهرت إجارات المحلات ، والخانات زيادة ملحوظة في بعض الحالات بلغت ١٠ مرات بقدر المعدل السابق ؛ ونتيجة لإعادة التثمين هذا ستزداد ضريبة الدور إلى الضعف سنويا)) [٣] .

ويتحدث إيرلاند ، عن أسلوب السلطة البريطانية في جمع الواردات إذ يقول : إن السلطات البريطانية في عام ١٩١٨ تمكنت من جمع واردات من الأراضي أكثر مما جمع في كل سنة من سني ما قبل الحرب على عهد الحكومة العثمانية ، فقد جمع الأتراك في سنة ١٩١١ – ١٩١٢ حوالي (٩.٦٩٧.٠٠٠) روبية (من العشر والكودة [٤] ، وضرائب الأرض الصغيرة الأخرى) . غير أن الواردات التي جمعت من الضرائب نفسها في سنة ١٩١٨ قد

---

(١) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ . سعيد عبود السامرائي ، المصدر السابق ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(٢) د . ك . و ، الاحتلال البريطاني / بلديات بغداد ، الملفة ٢/١٧٣ ، و ٥١ ص ٥٢ .

(3)Report Baghdad Division , 1919 , P.7.

(٤) الكودة ضريبة تؤخذ عن الحيوانات حيث تؤخذ عن الجمل والجاموس والغنم والماعز وأما الثيران والحمير والبغال فكانت معفاة من الضريبة .

سعيد عبود السامرائي ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .



بلغت ضعف ما جمع سنة ١٩١١ ، وأن الزيادة في الواردات ١٩١٩ قاربت ضعفي ما جمع سنة ١٩١١ [١] .

نتيجة للرغبة الجامحة لبريطانيا في تنظيم الأراضي لتسهل لها جباية الضرائب ، وجدت ضرورة تنظيم عملها ، فأصدرت البيان الخاص بتحديد وتسجيل الأراضي في ٥ كانون الثاني ١٩٢٠ ، ومما جاء فيه : أن جميع الأراضي مكلفة بدفع الضريبة إلى الحكومة ، ويجوز أن تقدم الضريبةقداً أو عيناً ، أو بعضها نقداً والبعض عيناً حسبما يأمر الحاكم الملكي العام [٢] . وفي مذكرة قدمت إلى الحاكم المدني في ٢٨ أيلول ١٩٢٠ ، أوصي بزيادة رواتب المناصب الثلاثة لموظفي الضرائب في بغداد وكما يلي [٣] :

الدرجة الوظيفية	من	إلى
رئيس كتاب ضريبة الدور	١٩٠	٢٦٠ روبية شهريا
كاتب ضريبة الدور	١٠٠	١٩٠ روبية شهريا
رئيس كتاب التراخيص	١٨٠	٢٠٠ روبية شهريا

وبالنسبة للرسوم الكمركية فعند احتلال بغداد عام ١٩١٧ كان يطبق قانون الكمارك البحرية الهندي رقم (٨) لسنة ١٨٧٨ على جميع الأراضي المحتلة [٤] . وفي ٢ كانون الأول ١٩١٨ أصدر البيان رقم (١٤) لجمع وإدارة رسوم الكمارك البرية وبين أنه سيؤسس مراكز لفرض الرسوم الكمركية على البضائع الصادرة والواردة ، ويلزم أن تجلب كل البضائع التي تخرج أو تدخل إلى مراكز الكمرك ، ومن يمتنع عن الالتزام بذلك تحجز البضائع [٥] .

ولما كانت القوانين البرية والبحرية هذه لم تحدد معدلات الرسوم على الصادرات والاستيرادات لذا فإن تشريعات منفصلة حددت هذه الرسوم والتغييرات التي تطرأ عليها ، وأول هذه القوانين قد ضمن في (بيان تعريفه الرسوم الكمركية رقم (١٩) لسنة ١٩١٩) . وقد ألغى هذا البيان أربع

---

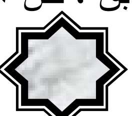
(١) إيرلاند ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(2)Compilation of Proclamations , Notifications , op. cit. , pp. 32 – 34 .

(٣) د . ك . و ، الاحتلال البريطاني / كشف حساب الواردات ، الملفة ١٠٠٥ / ٢ ، و ١٣ ص ١٣ .

(٤) د . محمد سلمان حسن ، التطور الاقتصادي في العراق ، بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة ، ١٩٦٥ ، ج١ ، ص ٣٤٤ .

(٥) مجموعة البيانات والإعلانات ، المصدر السابق ، ص ٣٦ – ٤١ .



بيانات صدرت عام ١٩١٦ تخص الكمارك ، وبمقتضى هذا القانون ، حدد رسم قيمة الاستيراد بنسبة ١١% من قيمة البضاعة على جميع البضائع ، ما عدا المشروبات والعطور والتبوغ التي أصبحت خاضعة لرسوم كمية تقدر بـ٥٠% من قيمة البضاعة . ومن هنا كانت بداية الرسم الكمركي النوعي (Specific duty) أي حسب الطول أو الوزن أو الحجم ، وقد أعفيت البضائع جميعها التي ترد باسم ضباط ورجال الحملة البريطانية (١) . وشملت ضرائب الرسوم الكمركي النوعي مواداً أخرى بالإضافة إلى الكحول والعطور وهي المواد التالية : السكر والشاي والقهوة والسكائر والشخاط والنفط والفحم والمعادن (٢) .

وفي ٣٠ آب ١٩١٩أصدر رئيس الكمارك إعلاناً فرض فيه رسوماً كمركية على تصدير التمر بالخصافات أو الجلود أو الأكياس وما شابه ذلك وبلغ قيمة الرسم ٣% من قيمة البضاعة (٣) .

٢) الزراعة :

بعد دخول القوات البريطانية بغداد عام ١٩١٧ وصفت المس بيل الحالة الزراعية في الولاية قائلة : كانت الزراعة قد أتلفت جميعها على دجلة من سامراء إلى ما يقرب من بغداد ، فقد جرى القتال بالقرب من بلد واصطبلات في وقت نضج الحاصل ، وأتلف الأتراك ما لم يكونوا قد أكلوا منه . ثم شح المطر ، ولم ترتفع مياه الفيضان في الجهات القريبة من بغداد . فكان الموسم ثالث موسم زراعة رديء بالتعاقب ، وقلت بذور الخضراوات والحبوب ، والعلف الأهم منها ، فوصلت حدها الأدنى (٤) .

لذلك قامت بريطانيا بعد احتلالها بغداد بإعطاء الزراعة والري نوعاً من الأهمية ، لكي تستطيع الصرف على الإنفاق العسكري وتحقيق الاكتفاء الذاتي للمحاصيل الزراعية وبهذا الصدد شجعت الفلاحين الذين هجروا أراضيهم للرجوع إليها إلى جانب منحهم بذوراً زراعية (٥) .

ومن الإجراءات المتخذة في مجال الري يشير إيرلاند : أنه لم ينظر في توسيع الزراعة عن طريق الاهتمام بالري إلا عندما بات نقص الطعام يهدد إعاشة الجيش والسكان المدنيين بعد ذلك

---

(١) مجموعة البيانات والإعلانات ، المصدر السابق ، ص ٥٣ – ٥٩ .

(٢) محمد سلمان حسن ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .

(٣) مجموعة البيانات والإعلانات ، المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

(٤) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٥) فاروق صالح العمر ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .



، وعندئذ أخذت القضية بجد واهتمام ووضع (مشروع تقدم الزراعة) من قبل المستر غاريت ، ضابط الواردات الأول في تموز ١٩١٧ [١] .

على الرغم من اهتمام السلطة البريطانية بالزراعة إلا أنها غالباً ما أعطت الناحية العسكرية الجانب الأهم ، ومن النص الآتي يتبين أن السلطة قامت بمصادرة أراض لفلاحي منطقة الدورة كي تشغلها بإحدى الوحدات العسكرية وكان النص يشير إلى مشروع ري اليوسفية ومما جاء فيه : ((تمت المصادقة على هذا المشروع لأجل إيجاد أرض للمزارعين في منعطف الدورة التي استبدلت بمعسكر عند احتلال تلك المنطقة)) [٢] .

ويذكر التقرير البريطاني لعام ١٩١٩ إجراءات اتخذت للتقليل من خطر الفيضانات ، حيث أقيمت سدة ترابية لتطويق منطقة الوشاش [٣] . وقد خُوِّل ضباط الري بفرض عقوبات عن مخالفة أنظمة الري أو عدم تنفيذ الأوامر المختصة بالسداد وما شابه ذلك [٤] .

وقد صدر بيان برقم (٢٣) بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩١٩ سمي (بيان الجرائم المتعلقة بالإسقاء لسنة ١٩١٩) ، وقد تضمن اثني عشر مادة تتعلق بقنوات الري والعقوبات المفروضة بحق المخالفين [٥] .

في آذار ١٩١٩ أصبحت دائرة الزراعة فرعاً من فروع دائرة الواردات فتمكنت من القيام بأعمال مفيدة من ناحية التجربة والبحث العلمي [٦] .

ومن هذه التجارب ما ذكر في التقرير الزراعي الشهري (من ١٥ تشرين الأول إلى ١٥ تشرين الثاني ١٩١٩) حول جلب أربع أنواع جديدة من الحنطة الهندية إلى مزرعة بغداد ، ومقابلتها بحنطة البلاد وحنطة (بنجاب) التي جربت في السنة الماضية [٧] . وفي تقرير آخر نشرت جريدة العراق في تموز ١٩٢٠ خبراً حول نجاح تجربة الحنطة في بغداد ، وجاءت بمحاصيل

---

(١) إيرلاند ، المصدر السابق ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(2)Report op . cit . p.2 .

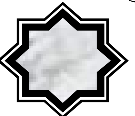
(3)Ibid , p.2 .

(٤) السامرائي ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٥) مجموعة البيانات والإعلانات ، المصدر السابق ، ص ٧١ – ٧٣ .

(٦) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .

(٧) جريدة العرب ، العدد ٧٤٣ ، ٣٠ كانون الأول ١٩١٩ .



جيدة ونجاح زراعة القنب وبزر الكتان ، وذكر التقرير أنه تجرى تجارب أخرى في الكرادة لزراعة أنواع مختلفة من البطاطا (١) .

ومن التجارب الأخرى في مجال الزراعة هي تلك التي أجريت في زراعة القطن . ففي مذكرة قدمت في ٧ مايس ١٩١٩ أشير إلى أهمية البلاد لا سيما بغداد والتي توقع لها أن تصبح أكبر منطقة منتجة للقطن في العالم (٢) . وقد أرسل خبير في الخدمة الزراعية الهندية وهو السيد (B . S . C . R . Thomas) ، ليدير تجارب فيما يتصل بمجموعات من البذور المصرية الأمريكية والهندية ، وكانت التجارب مقتصرة على مزرعة واحدة في جوار بغداد (٣) . وقد نشر تقرير عن العمل التجريبي في القطن لسنة ١٩١٨ و ١٩١٩ يوصي بموصلة التجارب في مزرعة القطن في بغداد واختير نوع معين من أنواع القطن وهو (Webbeer 49) (٤) .

وفي اجتماع عقدته في لندن (جمعية زراعة القطن البريطانية) قدم تقرير بُين فيه أنه بإمكان العراق إنماء مقدار كبير من القطن (٥) . وفي التقرير الزراعي الشهري من (١٥ حزيران إلى ١٥ تموز ١٩٢٠) أشير إلى أن القطن في مزرعة الكرادة قد نضج مبكراً . بسبب حرارة الصيف ، إلى جانب نجاح محصول قصب السكر الذي جيء به من الهند (٦) .

ونتيجة للعمل التجريبي ساد الاعتقاد بأن القطن من نوع (Webbeer 49) قد أظهر نجاحاً كبيراً ، وبسبب كونه يمتلك صفات جوهرية لا يشاركه فيه القطن الأمريكي فقد تقرر منح ذلك القطن الاسم التجاري (Mesopot white) (٧) .

---

(١) جريدة العراق ، العدد ٢٨ ، ٣ تموز ١٩٢٠ .

(2)W.O : 5227/538 . X / N 02205 . D 33 , p . 33 .

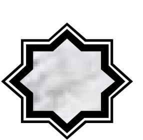
(3)W.O : 5227/538 . X / N 02205 . D 38 , p . 38 .

(4)Administration Report Of The Department Of Agriculture In Mesopotamia For The Year 1920 P . 7 .

(٥) جريدة العراق ، العدد ٢٦ ، ١ تموز ١٩٢٠ .

(٦) جريدة العراق ، العدد ٧١ ، ١١ آب ١٩٢٠ .

(7)op. Cit. , p.59 .



وقد أقام الكابتن توماس نهاية أيلول معرضاً في مزرعة الكرادة التجريبية ببغداد ، وحضرة الحاكم العسكري وقنصل الولايات المتحدة والمس بيل ، وعدد من الموظفين البريطانيين والعراقيين [١] .

ولكي تستطيع السلطة المحتلة أحكام قبضتها على زراعة القطن أصدرت بياناً في ١٩ شباط ١٩٢٠ سمي (بيان القطن لسنة ١٩٢٠) منع بموجبه زراعة أي نوع من أنواع القطن خلاف الأنواع التي يوافق عليها الحاكم الملكي ، والمخالف يدفع غرامة لا تتجاوز ١٠ آلاف روبية علاوة على قلع المحصول وعلى نفقته [٢] .

أما بالنسبة للخدمات البيطرية فإن أول إشارة لتأسيس مركز بيطري في بغداد وردت في التقرير الإداري لولاية بغداد سنة ١٩١٧ ، وكانت تتعلق بالطرائق الوحشية التي تمارس ضد الحيوانات ومما جاء في ذلك التقرير : ((... عولجت هذه المسألة بشكل نشط من الشرطة العسكرية ، وأسس معهد للحيوانات حيث تعالج الحيوانات التي تعامل بوحشية)) [٣] . وخلال عام ١٩١٩ تم إنشاء مستشفى بيطري بكلفة ٥٠٠٠٠ روبية ، وبدل اسمه من (معهد الحيوانات البلدي) إلى اسم (المستشفى البيطري للبلدية) ، بعد تعيين مدير للمستشفى وهو المراقب البريطاني (Taylor) . وكانت تعالج في المستشفى الخيول العائدة لمختلف أقسام الإدارة البريطانية [٤] .

وفي مذكرة قدمت عام ١٩٢٠ إلى الحاكم المدني أشير فيها إلى الاهتمام بقسم البيطرة ، وجاء في المذكرة أنه خلال صيف وخريف ١٩١٩ انتشرت أمراض الطاعون ، والجمرة ، وذات الجنب ، في كل أنحاء البلاد ، وذكرت أنه تم تشكيل قسم للبيطرة المدنية في العراق وبدأ العمل في هذا القسم منذ ١٩٢٠/١/١ [٥] .

---

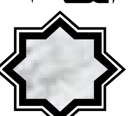
(١) أشارت المس بيل في رسائلها حول هذه الحفلة قائلة : ((حضرت محاضرة علمية في مزرعة القطن التي تجرب فيها الآن زراعة أنواع عدة من القطن ... وكان بين الحاضرين حوالي (دزينة) من ملاكي بغداد المهتمين غاية الاهتمام في الموضوع ...)) المس بيل ، العراق في رسائل المس بيل ، ص ١٨٦ . جريدة العراق ، العدد ١٠٦ ، ٥ تشرين الأول ١٩٢٠ .

(2)Compilation Of Proclamations , Notifications , op . cit , p . 40 .

(3)Report Of The Baghdad wilayat . 1917 . p. 173 .

(4)Report Baghdad division , 1919 , p. 7 .

(٥) د . ك . و ، الاحتلال البريطاني / التقارير ، الملفة ٢/٧٥٧ ، و ١ ، ص ١ .



وأشير في المذكرة كذلك إلى العدد الكبير للوفيات من الخيول والمواشي وعزي سبب الأمراض وانتشارها إلى عدوى قادمة من روسيا وإيران وتركيا واقترح في التقرير إيفاد عدد من الطلبة إلى الهند لغرض الدراسة في إحدى كليات البيطرة (١) .

كان الإنفاق على الإنتاج الزراعي والري ما يقارب ٥٩٠٠ ألف روبية وبلغت نسبتها من مجموع نفقات السنة المالية ١٩١٩ – ١٩٢٠ حوالي ١٢% (٢) . وهذه النسبة المنفقة على هذا المجال الحيوي دليل على أن السلطات المحتلة كانت تهدف من توجهها نحو الزراعة توفير احتياجاتها . إضافة إلى ذلك فإن نمو التجارة الخارجية أدى إلى زيادة إنتاج المحاصيل الزراعية وظهر ما يسمى بالزراعة التجارية (Commercial Agriculture) ، فبدأت بريطانيا تهتم بالعراق خاصة عام ١٩١٩ – ١٩٢٠ ، لذلك شرعت بتأسيس المزارع التجريبية في بغداد واهتمت بزراعة المحاصيل النقدية كالقطن والتبغ وتربية دودة القز لإنتاج الحرير ، وكان هذا التوجه يفصح عن الغاية المتمثلة بالهدف الاقتصادي ، لجعل العراق مصدرا للمواد الأولية ، وسوقا لتصريف المنتجات البريطانية .

٣) التجـارة :

ما أن اندلعت الحرب العالمية الأولى حتى ارتفعت أسعار المواد الغذائية في بغداد بشكل فاحش ، فذكرت جريدة صدى بابل أنه قد ارتفعت أسعار الحاجات الأساسية كالسكر والقهوة والكبريت وغيرها (٣) . وقد عانى سكان البلاد ظروفا صعبة منذ اندلاع لهيب الحرب ، وقد

---

(١) د . ك . و ، الاحتلال البريطاني / التقارير ، الملفة ٢/٧٥٧ ، و ١ ، ص ٣ .

(٢) إسماعيل نوري ميسر الربيعي ، تاريخ العراق الاقتصادي في عهد الانتداب البريطاني ، ١٩٢١ – ١٩٣٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) / جامعة بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٤.

(٣) جريدة صدى بابل ، العدد ٢٥٨ ، ١٦ تشرين الأول ١٩١٤ .



قامت السلطات العثمانية بمصادرة الذهب لقاء سندات عثمانية [١] . وطبقت أشد العقوبات بحق الممتنعين عن التعامل بهذه السندات ، وقد أصدر قائد الجيش السادس العثماني (غولج) بياناً هدد فيه كل من يرفض الاعتراف بأن الأوراق المالية مساوية للسكة الذهبية بإحالته إلى الديوان العرفي [٢] . وقد استمرت هذه الأوراق بالتدهور لكثرتها من ناحية ، ولاتجاه الحرب في غير صالح ألمانيا وحلفائها من ناحية أخرى [٣] .

أما حالة بغداد بعد دخول القوات البريطانية لها فإن التقرير الإداري لعام ١٩١٧ يشير إلى استيلاء السلطة المحتلة على الكثير من البضائع في بغداد ومما جاء فيه : ((... استولت الحكومة على كميات كبيرة من الصوف ، تعود لشركات تجارية ، وشحنتها إلى المملكة المتحدة ، وظهرت إلى الوجود كميات كبيرة من الحديد ، وسلع أخرى مطلوبة من قبل الجيش ...)) [٤] . يتضح من ذلك ظهور عمليات المصادرة التي مارسها السلطة المحتلة لبضائع تعود ملكيتها للتجار العراقيين .

ولكي تستطيع السلطة المحتلة السيطرة على الأسعار أصدرت تسعيرة للمواد الغذائية ، لضمان توفر المواد الغذائية والتموينية لقطعاتها في ولاية بغداد [٥] ، وفي ٢٤ آب ١٩١٧ أصدر الحاكم العسكري لبغداد إعلاناً هدد فيه بعقوبة الإعدام أو بعقوبة أخف بحق كل من يخزن كميات من طعام تفوق على حاجته ، أو يخزن طعاما بقصد الانتفاع من ارتفاع سعره [٦] .

وهكذا تتضح صور التهديد التي مارستها السلطة المحتلة لإجبار السكان على الالتزام بالتسعيرة الرسمية . ولم تكن هذه التسعيرة لمصلحة الأهلين بالتأكيد بل لضمان تدفق المواد الغذائية إلى الأسواق ومن ثم حصول القوات البريطانية على ما تحتاجه من مؤن وبأسعار زهيدة .

---

(١) ويلسون ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٨ .

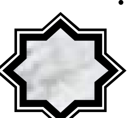
(٢) جريدة صدى الإسلام ، العدد ١٦٩ ، ٤ ربيع الثاني ١٣٣٤هـ .

(٣) د . عبد الرحمن الجليلي ، محاضرات في اقتصاديات العراق ، بغداد ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٥ ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(4)Report Of The Baghdad wilayat . 1917 . p. 5

(٥) د . ك . و ، الاحتلال البريطاني / الإدارة الملكية المركزية ، الملفة ٢/١٥٨ ، و٢ ، ص ٣ .

(٦) جريدة العرب ، العدد ٢٧ ، ١ أيلول ١٩١٧ .



بالنسبة لتجارة بغداد الخارجية فإنه قد فرض حصاراً اقتصادياً منذ أيلول ١٩١٧ ، وكانت تصدر بين الحين والآخر بيانات بخصوص منع المتاجرة ببعض الحاجيات ، ومن تلك البيانات ما أصدر حاكم بغداد العسكري في ٢ آذار ١٩١٨ منع بموجبه تصدير البطانيات وجميع المنسوجات الصوفية المحلية (١) ، وقد خفف قرار المنع في نيسان ١٩١٨ حيث سمح بموجبه تصدير البضائع إلى إيران باستثناء بعض المواد (٢) .

استمر الحصار الذي فرض من عام ١٩١٧ حتى صدور بيان القائد العام في العراق بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٨ ، الذي رفع فيه الحصار عن التجارة ، لذا فقد أصدر مدير دائرة الحصار إعلاناً ألغى فيه جوازات الحصار وسمح بالتجارة الداخلية باستثناء الحبوب في ولاية بغداد (٣) .

ومن الجدير بالإشارة فإن هذا الحصار قد أدى إلى إلحاق أفدح الأضرار بالتجارة وأصيب الاقتصاد العراقي بنكسة خطيرة ، فقد توقفت تجارة العديد من الحاجيات ومنها تجارة الصمغ وعرق السوس والصوف والفرو ، ونشطت السوق السوداء وعانى السكان من نقص حاد في الأقمشة والغزول ونفط الإضاءة وغيرها من السلع الأساسية (٤) .

وقد ذكر يوسف غنيمة في كتابه (تجارة العراق قديماً وحديثاً) ، إن الحرب العالمية الأولى قد أوجدت منهلاً جديداً أفاد منه العراقيون ألا وهو سوق التحف والعاديات القديمة والمسكوكات العربية والساسانية والبابلية (٥) .

ويبدو أن هذه إحدى الوسائل التي استعملت لنقل الآثار والكنوز القديمة إلى أوربا ؛ لذا فإنهم حاولوا أن يسيطروا على ما لم تقع عليه أيديهم أثناء الاحتلال وذلك لاستدراج الناس بالوسائل المادية ، لإخراج ما لديهم من هذه الآثار والكنوز القيمة والتي لا تقدر بثمن .

---

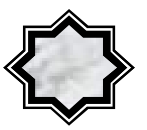
(١) جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٥٢ ، ٢ آذار ١٩١٨ .

(٢) جريدة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٩٥ ، ٢٢ نيسان ١٩١٨ .

(٣) جريدة العرب ، مجلد ٣ ، العدد ١٣١ ، ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ .

(٤) د . نوري عبد الحميد خليل ، الحصار البريطاني على العراق في الحرب العالمية الأولى ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١ – ٢ كانون الثاني – شباط ١٩٩٥ ، ص ٣٠ .

(٥) يوسف رزق الله غنيمة ، تجارة العراق قديما وحديثا ، ط١ ، بغداد ، مطبعة العراق ، ١٩٢٢ ، ص ١٣٤ .



أما بالنسبة للعملة فإن السلطات البريطانية قد منعت استخدام العملة الورقية العثمانية وفق البيان رقم (٥٢) لسنة ١٩١٧ ٠٠٠ وبناء على اقتراح المستشار المالي شحن ١٠٠٠٠٠ جنيه استرليني إلى بغداد في خريف ١٩١٧ ، واكتشف أن الجنيهات لم تكن مقبولة بسهولة مثل الليرة ، وبناء عليه ، لم تحافظ في السوق على قيمة سكها (١) .

وقد بدأ انخفاض قيمة النقد المعدني العثماني بشكل بارز حوالي شهر تشرين الثاني عندما رفضت إدارة ترامواي (Tramways) بغداد – كاظمية قبول نقد معدني عثماني ، وأشار التقرير إلى أنه تم جلب نقد معدني صغير هندي إلى كل المناطق ، ويتوقع أن يسحب النقد المعدني الصغير العثماني من التداول تدريجيا ويستبدل بنقد معدني صغير هندي (٢) .

وأخيرا يمكن القول ، أن التجارة العراقية في تلك الحقبة ، عانت من عدم الاستقرار لكونها ارتبطت بحركة السوق التجارية العالمية ، ولذلك بدأت بريطانيا تفكر في تحقيق أكبر الأرباح الممكنة وبأقل المصروفات ، وإبقاء العراق تحت سيطرتها بأقل عدد من القوات العسكرية .

٤) الصناعة :

كانت مدينة بغداد ، تمثل المركز الصناعي للعراق حيث تركز النشاط الإنتاجي والحرفي والتبادل فيها . وكانت هذه الحرف التقليدية هي السائدة في قطاع الصناعة العراقي ، وكان إنتاج الحرفيين ، يغطي احتياجات السوق المحلية والبعض منها كان يصدر إلى الخارج (٣) .

ففي عهد ولاية مدحت باشا لبغداد عام ١٨٦٩ عمل على إدخال صناعات جديدة باستيراد مكائن لطحن الحبوب وتقشيرها وآلات للغزل والنسيج ، وأقدم على تأسيس المعامل العسكرية ، لتأمين حاجة الجيش من الملابس والخيام ، وأنشأ مدرسة للصنائع لتعليم الطلبة ، مهن التجارة

(1)Report , op. Cit. , pp. 203 – 204 .

(2)op. Cit. , p. 204 .

(٣) إسماعيل نوري ميسر الربيعي ، المصدر السابق ، ص ١٥ ، ٢١ .



والحدادة والخياطة [١] . وفي عام ١٩٠٧ كان في بغداد ٩٠٠ نول يدوي تعمل في نسج قماش القطن الخشن واليشمغ القطني ، والحرير ، وأصواف العباءات [٢] .

ومن الجدير بالذكر فإن المصنع الذي أنشأه اثنان من ولاة بغداد – نامق باشا (١٨٦٢ – ١٨٦٧) ومدحت باشا (١٨٦٩ – ١٨٧٢) الذي كان معملاً على الطراز الأوربي ، ويعرف في بغداد باسم (العباخانة) ، كان ينتج الملابس الخاصة بالجيش العثماني الموجود في العراق [٣] .

وفي بداية القرن التاسع عشر كان في بغداد عدد من الورش الصناعية إضافة إلى شركة لصنع المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية ، وكان في محلة قاضي الحاجات ، وسوق الشورجة عدة ماكينات تشغل بالنفط للطحن وتهبيش التمن (تقشيره) [٤] .

أما الصناعة في ظل الاحتلال البريطاني فقد أصابها التدهور وقد نشطت سلطات الاحتلال لإنشاء صناعات محلية ، الغاية منها توفير حاجات الجيش المحتل ، وتقليل الصرف على استيراد البضائع [٥] . إضافة إلى ذلك فقد حال الاندماج بالسوق الرأسمالية العالمية دون التطور الطبيعيللإنتاج الحرفي وبقي تطور الصناعة الوطنية ضعيفاً ، فضلاً عن تدمير قسم من الصناعات القائمة نتيجة للحرب ، وانقطاع استيراد المواد الخام للقسم الآخر [٦] . وكذلك الرسوم التي كانت تفرضها السلطة على أصحاب الورش الصناعية بين حين وآخر ، فقد كانت

---

(١) إنستانس ماري الكرملي ، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا ، البصرة ، ١٩١٩ ، ص ٢٠٧ .

(٢) شارل العيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠٠ – ١٩١٤ ، ترجمة د . رؤوف عباس حامد ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٥٨٢ .

(٣) كاثلين ام . لانكلي ، تصنيع العراق ، ترجمة د . محمد حامد الطائي و د . خطاب صكار العاني ، بغداد ، مطبعة دار التضامن ، ١٩٦٣ ، ص ٤٦ .

(٤) عبد الله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، ط١ ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٦٣ ، ص ٣٦ – ٣٧ .

(٥) إسماعيل نوري ميسر الربيعي ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٦) علي خليل أحمد البياتي : الأوضاع الاقتصادية في العراق ١٩٣٢ – ١٩٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٦ .

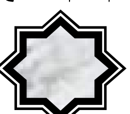


تأخذ ٣٠ روبية كل ستة أشهر لمنح رخصة العمل للمهن والمصالح الآتية : (حرفة عمل السجاد ، عمل الصابون ، عزل الصوف وغسله ، تفوير العظم ، تزيين الجلود ، الدباغة ، عمل الفراء ٠٠٠ الخ) [١] . إلى جانب الضرائب الأخرى التي تفرض على أصحاب هذه المهن .
وقد أجرت السلطة البريطانية عدة محاولات لقيام صناعة محلية ، لتوفير حاجات الجيش البريطاني ، ودون الاعتماد على البضائع المستوردة ، ولكن هذه المشاريع فشلت بسبب عدم توفر الماء الصالح للشرب وتعذر الحصول على العلب المطلوبة لإنشاء مصنع للمربى ، إضافة إلى النقص في الأيدي العاملة والمواد الأولية [٢] .

وبسبب نمو تجارة العراق الخارجية في حقبة الانتداب نشأت صناعة ودباغة الجلود وحلج الأقطان ، ففي عام ١٩٢٠ أسست الشركة البريطانية لزراعة القطن محلجا للقطن في بغداد [٣] . ولكي تستطيع السلطة إحكام سيطرتها على عملية حلج الأقطان ضمَّنت بيان القطن لسنة ١٩٢٠ بنداً خاصاً عن مكائن الحلج ومكابس القطن ، ومما جاء في البيان : ((لا يجوز لأي شخص أن يستورد ماكنة لحلج القطن أو كبسه أو من يقيمها أو يستعملها أو يسمح باستعمالها داخل البلاد المحتلة ما لم يحصل على رخصة بذلك من الحاكم الملكي العام ٠٠٠ ومن يخالف هذه المادة يغرم مبلغ لا يتجاوز ألف روبية وبمصادرة ماكنة الحلج والكبس)) [٤].
وفيما يخص صناعة مواد البناء ، فقد كتبت وزارة المستعمرات البريطانية عام ١٩٢٠ تقول : ((لقد وجدت آلة واحدة لصنع الطابوق ولكن نظراً لقلة الخبرة الفنية فإنها لم تستعمل كما يلزم أما العمل في البفافكان رديئاً إلى حد كبير ، وقد بُ ذلت العناية فقط للمظاهر الخارجية ، في حين أن الأقسام الخافية عن النظر قد أهملت إما لأنها قليلة الفائدة أو عديمتها ٠٠٠)) [٥] .
وبعد سقوط بغداد عام ١٩١٧ ، أنشأت مديرية الأشغال العامة عددا من معامل الطابوق التي صممت على أساس حرق نفط الوقود تحت ضغط البخار ، وأدخل في الاستعمال الطابوق الإنكليزي مستطيل الشكل . وفي أواخر عهد الانتداب كان إنتاج الطابوق من الطين ما يزال

---

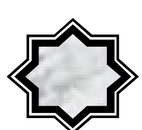
(١) جريدة العرب ، مجلد ٣ ، العدد ٥٢ ، ٢ آب ١٩١٨ .
(٢) لانكلي ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .
(٣) محمد سلمان حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .
(4)Compilation of proclamations , Notifications , op. Cit. P. 40 .
(٥) محمد سلمان حسن ، المصدر السابق ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .



مستمراً ، إضافة إلى صنعه من الكلس والرمل وقد ازداد كثيراً إنتاج الطابوق بالمكائن ، واستعمل الوقود للتجفيف علاوة على الشمس [١] .

لقد أصبح واضحاً مدى تأخر الصناعة العراقية أبان فترة الاحتلال البريطاني للعراق فلم تكن هذه الصناعة إلا ورش صغيرة لمهن حرفية ، وتضررت هذه الصناعة بسبب منافسة البضائع الأوربية ، فضلا عن تأثير الحصار الاقتصادي والذي فرضته السلطة المحتلة منذ عام ١٩١٧ ، بحيث استحال الحصول على المواد الأولية لتلك الصناعات . كما أن فرض الرسوم والضرائب أثقل كاهل أصحاب هذه المهن وأصبحت عائقاً أمام تطوير هذه الصناعات . أضف إلى ذلك أنه قد دمر قسم كبير من الصناعات نتيجة للحرب ، لذا لم تنشأ في العراق صناعة إلا في أواخر عهد الانتداب .

(١) لانكلي ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .



الفصل الرابع

الحركة الوطنية في بغداد (١٩١٧ - ١٩٢١)

أولا – موقف مدينة بغداد من بدء الحملة البريطانية على العراق :

في صباح يوم ٣ آب من عام ١٩١٤ يقابلها ١١ رمضان سنة ١٣٣٢هـ فوجئ العراقيون بالطبول تدق على غير العادة وشاهدوا على الجدران إعلانات رسم فيها صورة سيف وبندقية ، وقد كتب تحتها عبارة تركية : (سفر برلك وار – عسكر أولانلر سلاح باشنه) ، ومعناها : أن النفير العام قد أعلن وعلى الجنود أن يكونوا على أهبة الاستعداد بأسلحتهم [١] . وما أن بدأت حملة بريطانيا على العراق حتى أطلقت السلطات التركية حملة دينية لكسب تأييد العلماء للقضية التركية وقد عُوضت الحرب على العلماء بوصفها حرباً إسلامية ضد الكفار ، وطلب منهم إصدار فتوى للجهاد ضد الغزاة [٢] .

وقد كان لعلماء الدين السنة والشيعة في بغداد والكاظمية دور بارز في إثارة الروح الجهادية لدى الأهالي ، ففي الكاظمية كان الشيخ مهدي الخالصي أشد الناس حماسا للجهاد وقد كتب في ذلك رسالة بعنوان (الحسام البتار في جهاد الكفار) نشرتها بعدئذ جريدة (صدى الإسلام) على حلقات متتابعة دُوِّن فيها ما يتعلق بأمور الجهاد وما يترتب على الأمة الإسلامية من القيام بشروطه وقواعده وأركانه [٣] . ولم يكتف الخالصي بهذا بل أصدر حكماً أوجب فيه على المسلمين صرف جميع أموالهم في الجهاد حتى تزول غائلة الكفار ومن يمتنع عن بذل ماله وجب أخذه منه كرهاً [٤] . وخلال اجتماعات الصحن الكاظمي صعد السيد مهدي الحيدري على المنبر وأخذ يخطب أمام الناس ويحظهم على الخروج للجهاد ، وفي ١٩ تشرين الثاني ١٩١٤

---

(١) عبد الكريم العلاف ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ ، علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٨١.

(٢) د . وميض جمال عمر نظمي ، شيعة العراق وقضية القومية العربية (الدور التاريخي قبل الاستقلال) بحث ضمن كتاب ، دراسات في القومية العربية والوحدة ، تأليف نخبة من الباحثين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ١٩٥ .

(٣) جريدة صدى الإسلام ، من العدد ٤٤ – ٥٣ ، صدرت هذه الأعداد من ٣ ذي القعدة – ١٣ ذي القعدة ١٣٣٣هـ .

(٤) كامل سلمان الجبوري ، ٦٣ عاما على حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٥ ووثائقه التي لم تنشر ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٠ ، حزيران ١٩٧٨ ، ص ٣٣ – ٣٤ .



تجمع عدد من شبان الكاظمية فساروا إلى بغداد في مظاهرة مشياً على الأقدام تتقدمهم الطبول ، وعند وصولهم بغداد انظموا إلى الجماهير المحتشدة في القلعة في باب المعظم ، وصعد بعض الخطباء لإثارة حماس الجماهير للجهاد كان منهم عبد الرحمن الكيلاني ومعروف الرصافي ومحمد الخالصي وغيرهم ، ثم أطلقت المدافع وارتفعت الهتافات بحياة السلطان رشاد وسقوط الإنكليز [١] .

لم تختلف بغداد عن الكاظمية في تحمسها للجهاد فقد بذل الحاج داود أبو التمن أموالاً كثيرة على المجاهدين ، إذ كان يجلس في مسجده بمحلة (صبابيغ الآل) ويضع أكوام المجيديات أمامه وهو يوزع على المتطوعين للجهاد ما يكفي لعوائلهم [٢] . واستجابة للفتاوى الجهادية فقد خرج عصر يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٤ جموع من أهالي الكاظمية يتقدمهم السيد مهدي الحيدري ومعه الشيخ مهدي الخالصي وثلة من العلماء ، وقد شيعته الكاظمية ، فسار موكب المجاهدين نحو جانب الكرخ وكان عددهم زهاء ثلاثمائة ، وكانت تنتظرهم هناك باخرة اسمها (حميديه) فحملتهم وسارت بهم باتجاه القرنه .
وفي عصر يوم ٩ كانون الأول ١٩١٤ كانت ضفتا دجلة قد امتلأت بالجماهير ، وكانت هناك باخرة اسمها (الموصل) راسية في جانب الرصافة ، فركبها مجاهدو بغداد وعلى رأسهم الحاج داود أبو التمن وعدد من العلماء ، ثم سارت الباخرة نحو القرنة بين تكبير الجماهير وتهليلهم [٣] .

وقد قدّمت بغداد العديد من المساهمات دعماً للمجهود الحربي ، ومن هذه المساهمات تأليف جمعية الهلال الأحمر برئاسة الدكتور سامي بك فأسست عدة مستشفيات ثابتة وسيارة تحتوي على ما يربوا عن ألف سرير ، ثم فتحت شعبة للسيدات وقد ترأست هذه الشعبة السيدة عصمت حيدر فأخذت مع المتطوعات الأخريات العناية بجرحى المعارك ، وتأسست أيضاً صيدلية في بغداد خصص ريعها لصندوق الهلال الأحمر [٤] . ومن المساهمات الأخرى قيام

---

(١) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٠ – ١٣١ .
(٢) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ١٣٢ .
(٣) كامل سلمان الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٣٤ – ٣٥ .
(٤) جريدة صدى الإسلام ، العدد ٤ ، ١٤ رمضان ١٣٣٣هـ .



العديد من الشعراء بنظم القصائد الحماسية ومنها قصيدة لعبد الرحمن البناء والتي احتوت على (٣٨) بيتا من الشعر الحماسي ومما جاء في القصيدة [١] :

بنـــي العـــراق حـــل الخصـــم ســـاحتكم	وفـــي حمـــاكم لـــــه مرعـــى ومغتـــنم
قـــد جـــاءكم مـــن وراء البحـــر معتزمـــا	وذاك عـــار علـــيكم لـــيس ينحســـم
أجـــدادكم تحـــت طـــي الأرض تتـــدبكم	أيـــن الجلالـــة أيـــن البـــأس والهمـــم
فكيـــف يهنـــى لكـــم عـــيش بأرضـــكموا	والإنجليـــز بهـــا يرســـى لهـــم قـــدم ٠٠٠

ومن المساهمات الأخرى تنظيم حملات لجمع التبرعات فقد تم جمع مبلغ (١٨٨٦١٥) قرشاً منذ بدأ الحملة البريطانية وحتى شهر ذي القعدة ١٣٣٣هـ [٢] .

لم تقتصر الفتاوى على فتوى الشيخ مهدي الخالصي بل أصدر العديد من رجال الدين في الكاظمية وبغداد فتاوى وباستمرار ، لا سيما عندما يتقدم البريطانيون باحتلال مناطق جديدة في جنوب العراق ، فقد أصدر السيد أحمد نجل السيد مهدي الحيدري فتوى بعنوان (الجهاد الجهاد) وقد نشرتها جريدة صدى الإسلام في عدديها (٥٧و٥٩) [٣] .

وفي بغداد وجه السيد محمود الكيلاني بلاغا إلى كل الذين يقفون بجانب البريطانيين من العراقيين يدعوهم إلى اغتنام فرصة الأمن والأمان التي منحها السلطان التركي ويعلنوا ندمهم والتزام الطاعة [٤] . وصدرت فتوى من قبل المدرس الأول في جامع الإمام الأعظم الشيخ محمد سعيد ومما جاء فيها : ((٠٠٠ فيا أيها المؤمنون إن الله تعالى قد فرض عليكم الجهاد فبادروا إليه وأوجب عليكم القتال فثابروا عليه وهذه جماعة أهل الإلحاد قد تناصرت وفرق أحزاب العتاد والفساد قد تكاثرت يطلبون هتك الشريعة المحمدية ومحو الدولة الإسلامية أفلا تأخذكم الحمية وأنتم المؤمنون ؟ ٠٠ ألا وأن للجنة حدوداً طريقها الجهاد وأبوابها الاجتهاد ٠٠٠)) [٥] .

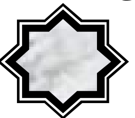
(١) جريدة صدى الإسلام ، العدد ١١ ، ٢٢ رمضان ١٣٣٣هـ .

(٢) جريدة صدى الإسلام ، العدد ٨٦ ، ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٣هـ .

(٣) جريدة صدى الإسلام ، العددان (٥٧و٥٩) ، الصادران في ١٨و٢٠ ذي القعدة ١٣٣٣هـ .

(٤) جريدة صدى الإسلام ، العدد ٢٥ ، ١١ شوال ١٣٣٣هـ .

(٥) جريدة صدى الإسلام ، العدد ٢٧ ، ١٣ شوال ١٣٣٣هـ .



أما السيد عبد الرحمن النقيب فقد وجه بلاغاً إلى (المسلمين الهنود) (١) الذين يقاتلون إلى جانب البريطانيين وقد جاء في هذا البلاغ : ((... انتبهوا يا أيها الإسلام من أهل هندستان الذين هم الآن موجودون في صف الحرب مع الأعداء على عساكر الخلافة الإسلامية من هذه الغفلة واجتنبوا هذا الموقف ... وهذا شيء عظيم ولا تنفعكم الندامة في يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ... ويتبرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منكم وأصحابه ، وكافة المسلمين أيضا فهذا نصحي لكم والله يتولى هداكم)) ، وقد أمضى على هذا البلاغ بالعبارة التالية : (بوست نشين حضرة غوث كيلاني) (٢) .

على الرغم مما بذلته مدينة بغداد من روح جهادية إلا أن القوات البريطانية استطاعت أن تدخل مدينة بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ ، حيث ذهب الناس ليشهدوا مراسيم إنزال علم الدولة العثمانية ورفع العلم البريطاني ، يقول أمين المميز أتذكر كيف كان المشهد مؤثراً : ((البغداديون والبغداديات يجهشون بالبكاء والنحيب المكبوت والدافع لذلك هو إنزال علم دولة مسلمة مذعورة ورفع علم دولة مسيحية منصورة)) (٣) . أما بالنسبة لموقف الطوائف الأخرى في بغداد فيذكر عن ذلك طالب مشتاق : ((أنه سمع بأن اليهود (٤) استقبلوا الجيش البريطاني المنتصر بالموسيقى والطبول والمزامير عند دخوله بغداد وشاركتهم فرحتهم أقلية من الطائفة المسيحية)) (٥) .

---

(١) يبدو أن هذا البلاغ قد أثمر إلى هروب عدد من الهنود من صفوف الجيش البريطاني فعند دخول القوات البريطانية إلى بغداد ألقت القبض على عشرين منهم فتمت محاكمتهم أمام محكمة عسكرية ، فحكم على ثمانية منهم بالإعدام وعلى سبعة بالنفي المؤبد وعلى خمسة بالنفي مدة سبع سنوات . جريدة العرب ، العدد ١٠٩ ، ٦ كانون الأول ١٩١٧ . جريدة الأوقات البصرية ، العدد ٣٠ ، ١٣ كانون الأول ١٩١٧ .

(٢) جريدة صدى الإسلام ، العدد ٧٧ ، ١٤ ذي الحجة ١٣٣٣هـ .

(٣) أمين المميز ، بغداد كما عرفتها ، ط١ ، بغداد ، مطابع دار آفاق عربية ، ١٩٨٥ ، ص ٥٩ .

(٤) كان دائماً موقف اليهود النفاق فقد كانوا بالأمس يدعون بالنصر للدولة العثمانية وكما حصل عندما اجتمع أكابرهم وسراتهم من رجال ونساء في أعظم كنيس لهم في بغداد ليطلبوا من الله نصرة الدول العثمانية في ١١ تشرين الأول ١٩١٢ وفي صباح ١١ شباط ١٩١٣ .
مجلة لغة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٦ ، كانون الأول ١٩١٢ ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .
مجلة لغة العرب ، العدد ٩ ، آذار ١٩١٣ ، ص ٤٢٣ .

(٥) طالب مشتاق ، أوراق أيامي ، ط٢ ، بغداد ، الدار العربية للطباعة ، ١٩٨٩ ، ج١ ، ص ١٩ .

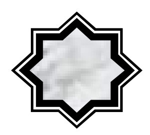


على أية حال فإن من الإنصاف أن نقول بأن إعلان الجهاد في بغداد والكاظمية لم يكن دليل ولاء للأتراك ، وإنما كان إعلاناً للدفاع عن البلاد ضد الغزاة الأجانب ، وقد أظهر الجهاد قوة تأثير علماء الدين على تحريك السكان . وأظهر الجهاد أيضاً قوة العامل الديني المتجاوز للطائفة من خلال تكاتف أفراد الطائفتين المسلمتين السنية والشيعية دفاعا عن البلاد ، الذي سيستمر بعد دخول القوات البريطانية إلى بغداد .

ثانيا – وعود البريطانيين وعهودهم بشأن مستقبل العراق :

١- بيان السر برسي كوكس إلى أهالي مدينة البصرة :

لما أعلنت الحرب العالمية الأولى في منتصف عام ١٩١٤ ، وقرر البريطانيون تصفية الدولة العثمانية ، توالت بلاغاتهم وتصريحاتهم التي كانت تصدر عن قادتهم ، ليخدعوا الشعب



العربي بأنهم يحاربون الترك لتخليص هذا الشعب من ظلم الحكم التركي ، لذلك فلما دخلت القوات البريطانية البصرة أذاع السر برسي كوكس بياناً إلى أهالي البصرة في اليوم ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ، ومما جاء في هذا البيان : ((... وها أن الحكومة البريطانية قد احتلت مدينة البصرة غير أنها وإن كانت في حالة حرب مع الحكومة العثمانية لكنها على الرغم من ذلك لا تضمر عداء أو سوءاً لأهالي المدينة الذين لنا وطيد الأمل بأن نثبت لهم من أنفسنا بأننا أحسن أصدقاء وحماة لهم ، ولم يبق أي أثر للحكم التركي في هذه المنطقة وقد رفع في محل العلم التركي علم الحكم البريطاني الذي ستتمتعون تحت ظله بفوائد الحرية والعدل سواء في شؤونكم الدينية أو المدنية . ولقد أصدرت أوامر مشددة إلى الجيوش البريطانية المنتصرة بأنه يجب عليهم أن يعاملوا الأهلين كافة بكل ود واحترام لدى قيامهم بالواجبات التي تعهد إليهم وعليه فلم يبق عليكم إلا أن تعاملوهم أنتم بالطريقة نفسها)) [١] .

٢- بيان الجنرال مود إلى أهالي بغداد :

قبيل دخول القوات البريطانية بغداد وتحديداً في يوم ٦ آذار ١٩١٧ صدرت تعليمات إلى السر برسي كوكس من وزارة الخارجية البريطانية لإعداد مسودة بيان للنشر في بغداد ، وأوجبت البرقية أن تتضمن إشارة ودية إلى الدولة العربية والملك حسين (الشريف حسين) [٢] .
لذلك قام السر برسي كوكس في ٨ آذار بإعداد المسودة ، ومما جاء فيها : ((... ومرة أخرى في السنة الماضية عندما تقدمت قواتنا نحو بغداد ، أعطيت التأكيدات الرسمية بأن البريطانيين يكنون مشاعر ودية للغاية نحو رجال الدين وسكان الأماكن المقدسة ، وأنه في حالة تقدم قطعاتنا إلى ولاية بغداد ، فسوف يتخذ كل تحوط ممكن للحفاظ على حرية الأماكن المقدسة وحمايتها وكذلك كل المزارات والقبور في العراق من أدنى ضرر خلال العمليات العسكرية ونكرر هذه التأكيدات الآن ...)) [٣] .

(١) صفحة من تاريخ العراق الحديث من سنة ١٩١٤-١٩٢٦ ، تكوين الحكم الوطني في العراق ، مذكرتان خطيرتان الأولى بقلم السر برسي كوكس والثانية بقلم السر هنري دويس ، ترجمة بشير فرجو ، ط١ ، الموصل ، مطبعة الاتحاد ،١٩٥١، ص١٠٢-١٠٣.

(2)F . O : 371 / 604 / 3042 . X/N O7803 . D8 , p 19 .

أنظر ملحق رقم (٥) .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذا البيان الذي أعده السر برسي كوكس أنظر :



ولما استطاعت القوات البريطانية احتلال بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ أهمل هذا البيان ، وتم الإيعاز إلى الجنرال مود بأن يصدر بياناً لأهالي بغداد يعلن فيه أن الجيوش البريطانية لم تأت إلى البلاد فاتحة بل محررة ، ويذكر عبد الرحمن البزاز أن هذا المنشور قد أرسل من لندن إلى بغداد بعد أن أعده السر (مارك سايكس) ، وعلى الرغم من عدم احتواء المنشور على أي وعد صريح بالاستقلال أو الحكم الذاتي ، فقد كان الجنرال مود قد عارض في نشره وإعلانه [١] . وكانت حجته أن هذا البيان وهذه السياسة سوف يثيران اضطراباً ، وتشويشاً في أفكار العرب بشأن نوايا بريطانيا في المستقبل فضلاً عن أنهما سيثيران آمالهم ، وأطماعهم في وقت يجب أن تبقى فيه سلطة الجيش البريطاني في الأراضي المحتلة سائدة وغير منازع عليها [٢] . وهذا بعض مما جاء في بيان الجنرال مود الذي نشر يوم ١٩ آذار ١٩١٧ [٣] : ((يا أهالي ولاية بغداد إنني باسم جلالة مليكي المعظم ، وباسم شعوبه التي يحكم عليها أوجه إليكم الخطاب الآتي ٠٠٠ الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو وإخراجه من هذه الأصقاع ، فإتماما لهذه المهمة وجهت السلطة العليا المطلقة على جميع الأطراف التي تحارب فيها جنودنا إلا أن جنودنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين بل بمنزلة محررين ٠٠٠ ولا يجب عليكم أن تظنوا بأن رغبة الحكومة البريطانية هي تكليفكم نظامات أجنبية . فأمنية الحكومة البريطانية هي تحقق ما تطمح إليه نفوس فلاسفتكم وكتّابكم مرة أخرى . ولسوف يسعد أهالي بغداد حاله ، ويتمتعون بالغنى المادي والمال بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة وأطماحهم القومية والفكرية ٠٠٠ إنني مأمور بدعوتكم بوساطة أشرافكم والمتقدمين فيكم سنا وممثليكم إلى الاشتراك في إدارة

F .O : 371 / 604 / 3042 . X/N 07803 . D9 , pp 20-21 .

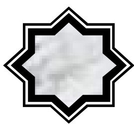
(١) عبد الرحمن البزاز ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٢) إيرلاند ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٣) السيد عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ط٦ ، بغداد ، مطابع دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٢ ، ص ٣٢ – ٣٤ .

Sir Geoege Bachanan , op . Cit , pp . 170 – 172 .

عبد الرزاق محمد أسود ، موسوعة العراق السياسية ، ط١ ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٦ ، مجلد ٢ ، ص ٩٧ – ٩٨ .



مصالحكم الملكية لمعاضدة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش كي تنظموا مع ذوي قرباكم شمالاً ، وجنوباً وشرقاً وغرباً في تحقيق أطماحكم القومية)) .

٣- تصريح الحكومة البريطانية للعرب السبعة :

ألف سبعة من العرب المقيمين في القاهرة هيأة منهم للقيام بعمل مشترك فقدموا مذكرة إلى وزارة الخارجية البريطانية بوساطة المكتب العربي في القاهرة بينوا فيه شكوكهم وتخوفهم بنتيجة القلق الشديد الذي ساد العالم العربي بعد صدور وعد بلفور ، وإذاعة اتفاقية سايكس – بيكو ، فكتبوا تصريحاً في شكل مذكرة شرحوا فيها الموقف كما تراءى لهم من الناحية الداخلية والخارجية ، وطلبوا من بريطانيا تعريفاً بسياستها في المنطقة العربية في بيان واضح ، وفي ١٦ حزيران ١٩١٨ ، ورد جواب وزارة الخارجية البريطانية وتلاه أحد موظفي المكتب العربي في اجتماع عقد خصيصاً لهذه الغاية بالقاهرة وحضره الزعماء السبعة ، وتنقسم الأراضي التي ورد ذكرها في المذكرة إلى أربعة أقسام أو طبقات :

أ- الأراضي التي كانت حرة ومستقلة قبل قيام الحرب .

ب- أراضي حررت من السيطرة التركية بعمل العرب أنفسهم في أثناء الحرب الحاضرة .

جـ- أراضي كانت في الماضي تحت الحكم العثماني وتحتلها قوات الحلفاء في الحرب الحاضرة .

د- أراضي لا تزال تحت السيطرة التركية .

ففيما يتعلق بالطبقتين الأوليين ، تعترف حكومة جلالته بالاستقلال التام والسيادة للعرب الذين يقطنون هذه الأراضي ، وتؤيدهم في جهادهم في سبيل الحرية .

وفيما يتعلق بالأراضي التي تحتلها قوات الحلفاء ، تلفت حكومة جلالته نظر أصحاب المذكرة إلى نصوص التصريحات الصادرة من القواد العامين ، عند الاستيلاء على بغداد والقدس ... وترغب حكومة جلالته في أن تكون هذه الأقاليم على رضا المحكومين . وهذه السياسة ستظل مؤيدة من حكومة جلالته ... [1] .

---

(١) كان أصحاب المذكرة هم : رفيق العظم ، الشيخ كامل القصاب ، مختار الصلح ، عبد الرحمن شهبندر ، خالد الحكيم ، فوزي البكري ، حسن حماده .

جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة د . ناصر الدين الأسد و د . إحسان عباس ، ط٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ ، ص ٥٨٦ – ٥٨٨ .

٤ – التصريح الإنكليزي – الفرنسي :

صدر هذا التصريح بعد أن قدم الأمير فيصل احتجاجاً لدى الجنرال (اللنبي) بضرورة إسراع الحلفاء إصدار بيان يوضحوا فيه نياتهم نحو العرب ، لذا أُصدر البيان الآتي في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ وفيما يأتي بعض ما جاء في البيان : ((إن السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وإنكلترا في الشرق تلك الحرب التي أهاجتها مطامع الألمان إنما هو لتحرير الشعوب التي زحت أجيالاً طوالاً تحت مظالم الترك تحريراً تاماً نهائياً وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين لها اختياراً حراً . ولقد أجمعت فرنسا وإنكلترا على أن تؤيدا ذلك بأن تشجعا وتعينا على إقامة هذه الحكومات والإدارات الوطنية في سوريا والعراق ، المنطقتين اللتين أتم الحلفاء تحريرهما ... وليس من غرض لفرنسا وإنكلترا أن تنزلا أهالي هذه المناطق على الحكم الذي تريدانه ولكن همها الوحيد أن يتحقق بمعونتهما ومساعدتهما المفيدة عمل هذه الحكومة والإدارات التي يختارها الأهلون من ذات أنفسهم ... تلك هي الأغراض التي ترمي إليها الحكومتان المتحالفتان في هذه الأقطار المحررة)) (١) .

هذه خلاصة مما نشر من بلاغات لوعود الحلفاء للعرب عامة وللعراقيين خاصة خلال الحرب العالمية الأولى ، وتتضح من هذه البيانات أن الحلفاء كانوا يدعون الحرص على منح الشعب العربي الحرية المطلقة لتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطتها من رغبة الأهلين في تلك البلاد ، ولكن هذه التصريحات لم تكن إلا وعوداً كانت كالسراب بالنسبة للشعب العربي .

ثالثا – الاستفتاء العام ١٩١٨ – ١٩١٩ :

في ٣٠ تشرين الثاني وصلت إلى ويلسن برقية من لندن ، بعد أن عقد اجتماع في وزارة الحرب برئاسة اللورد كرزن في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٨ وقد أثيرت في هذا الاجتماع عدة

الحسني ، المصدر السابق ، ص ٣٤ – ٣٥ .

(١) جورج أنطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٥٩٠ – ٥٩١ .

Tomas Lyell , The Ins and outs of Mesopotamia London , 1923 , p . 237 .

جريدة العرب ، العدد ١٤٠ ، ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ .

نجده فتحي صفوة ، مس بيل والثورة العراقية ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٢ ، آب ١٩٨٣ ، ص ٢٣.



استفسارات أرسلت على شكل أسئلة إلى ويلسن لإجراء استفتاء عليها لدى الشعب العراقي [١] ، وقد ورد بهذه البرقية ما يلي : ((... أن المطلوب من التصريح (الإنكليزي – الفرنسي) أن تساعد بريطانيا من جانبها على تأسيس حكم محلي في المناطق التي حررتها دون أن تفرض على السكان حكومة لا يرضونها ... نحن نرغب بوجه خاص أن تزودونا ببيان موثوق يعرب فيه سكان العراق عن رأيهم في هذه النقاط الثلاث :

١) هل يفضلون دولة عربية واحدة تحت إرشاد بريطانيا تمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية إلى الخليج العربي .

٢) هل يرغبون في أن يرأس هذه الدولة رجل عربي من أولي الشرف .

٣) من يكون ذلك الأمير الذي تختارونه)) . وقد ورد في ختام تلك البرقية هذه العبارة : ((في رأينا أن من المهم جداً أن يكون التعبير عن آراء السكان حقيقياً بحيث يمكن إعلانه للعالم بصفته التعبير النزيه عن رأي أهل العراق)) [٢] . وفي الساعة نفسها التي تسلم السر آرنولد ويلسن برقية وزارة المستعمرات أصدر كتاباً إلى الحكام السياسيين في الألوية والأقضية ليطلعهم على ما جاء فيها لإجراء الاستفتاء [٣] ، إلا أن تعليماته للحكام كانت تحثهم على التدخل في الاستفتاء لتكون نتائجه موافقة لمبادئه التي يؤمن بها لحكم العراق وهي السيطرة البريطانية المباشرة على هذا القطر . وعلى الرغم مما بذلته الإدارة البريطانية في العراق من جهود من أجل أن تأتي نتائج الاستفتاء مؤيدة لرأيها في استمرار الحكم البريطاني للعراق ، فقد استطاعت الحركة الوطنية أن تسمع صوتها في بعض المناطق [٤] ، فكان هناك إجماع عام على نقطة

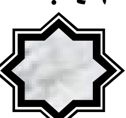
---

(١) د . وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، ط٢ ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٥ ، ص ٢٩٧ .
فاروق صالح العمر ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٢) حسين جميل ، العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ – ١٩٣٠ ، لندن ، دار اللام ، ١٩٨٧ ، ص ٤٥ .
الحسني ، المصدر السابق ، ص ٥٥ – ٥٧ . علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٦٧ .

(٣) حسين جميل ، المصدر نفسه ، ص ٤٥ . أنور علي الجبوري ، دور المثقفين في ثورة العشرين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٤٩.

(٤) حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٤٨ – ٤٩ .



واحدة . إذ كان الجميع يرون أن ولاية الموصل [١] يجب أن تنظم إلى ولايتي البصرة وبغداد [٢]
.

فبالنسبة للاستفتاء في بغداد والكاظمية فقد واجه البريطانيون تحدياً جدياً ، وكانت الكاظمية متأثرة بمركزين بوجه خاص : أولا بالنجف وكربلاء لأنها كانت تشاطرهما المذهب ، وثانياً بغداد بسبب قربها منها ، إذ كانت بغداد مسرحاً لنشاط الوطنيين في ذلك الحين [٣] .

يقول إيرلند :كان الشعور العدائي لبريطانيا في الكاظمية شعوراً قوياً جداً فقد هدد العلماء جميع من يصوت للاحتلال البريطاني بالمروق عن الدين والطرد من الجوامع [٤] . ولغرض إجراء الاستفتاء في الكاظمية فقد عقد اجتماع في ٨ كانون الثاني ١٩١٩ في دار (أغا حسن النواب) وحضره العديد من العلماء والوجهاء والأشراف ، وحضر أيضا حاكم بغداد العسكري بلفور ، وكان الشيخ مهدي الخالصي حاضراً المجلس . فأظهر بلفور أن العراقيين يرغبون في بقاء البريطانيين حكاماً للعراق ، وكان إلى جانب الخالصي السيد محمد مهدي نجل السيد إسماعيل الصدر فقال الخالصي له : قل لبلفور إذا كان الأمر كما تقول فكف عن منع مخابراتنا مع العراقيين لنرى رأيهم . وكان البريطانيون قد منعوا المخابرات البرقية والمكاتبات في العراق لئلا يعلم العراقيون بكذب بريطانيا ، فصرخ من كان في المجلس أننا لا نريد الإنكليز ولا نرغب إلا في حكومة وطنية لا ترتبط بالأجانب فخرج بلفور من ذلك المجلس غاضبا [٥] .

وعلى أثر خروج بلفور من الاجتماع اتفق أكثر الحاضرين على تنظيم هذه المضبطة :

بسم الله الرحمن الرحيم

بناء على الحرية التي منحتنا إياها الدول العظمى ، وفي مقدمتها الدولتان الفخيمتان إنكلترا وفرنسا ، وحيث أننا ممثلو جمهور كبير من الأمة العربية العراقية المسلمة ، فإننا نطلب

---

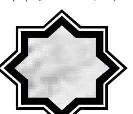
(١) كانت هذه المنطقة ضمن اتفاقية سايكس – بيكو تقع ضمن منطقة نفوذ فرنسا ، ولكن عند احتلالها من قبل البريطانيين عام ١٩١٨ وظهور تقارير بوجود النفط فيها جعل البريطانيون غير راغبين في التخلي عنها ، لذلك كانت فكرة الاستفتاء حلا مناسبا لهذه المشكلة .

(٢) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ص ٣٨٧ .

(٣) وميض نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٩ .

(٤) إيرلند ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ . سؤدد كاظم مهدي ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٥) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٧٧ – ٧٨ .



أن تكون للعراق ، الممتدة أراضيه من شمال الموصل إلى خليج البصرة حكومة عربية إسلامية يرأسها ملك عربي مسلم هو أحد أنجال جلالة الملك حسين ، على أن يكون مقيداً بمجلس تشريعي وطني والله ولي التوفيق .

حرر يوم الأربعاء في ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ (١) .

وقد وقع على المضبطة مائة وثلاثة وأربعين شخصاً (٢) .

أما الاستفتاء في بغداد فإن المندوب المدني يدرك أنها ذات أهمية حيوية بالنسبة للاستفتاء باعتبارها العاصمة ، وأكبر المدن العراقية من حيث عدد السكان ، ومركز الفعاليات السياسية ، ومحل إقامة الرجال الأكثر نفوذاً (٣) . كما ويذكر إيرلند بأنها مركز الهياج المعادي للإنكليز وكانت المشكلة التي واجهت ويلسن أعظم مشكلة واجهها في العراق كله ، ولهذا أجَّل إجراء الاستفتاء في بغداد إلى ما بعد الانتهاء من المناطق الأخرى ، بأمل التأثير الذي يحدثه ظهور النتائج المرضية في الجهات الأخرى في الرأي العام البغدادي ٠٠٠ وسرعان ما تبين أن سكان بغداد ليس من السهل التأثير عليهم لأن سكان المدينة ، الذين كان وعيهم السياسي وتكتلهم اشد مما كان في الجهات الأخرى من البلاد (٤) .

ففي ٩ كانون الثاني ١٩١٩ أوعز ويلسن إلى السيد عبد الرحمن النقيب ، وإلى القاضي الجعفري الشيخ شكر الله ، أن يختار كل منهما خمسة وعشرين مندوبا من أبناء طائفته لتوجيه أسئلة الاستفتاء إليهم ، وكذلك أوعز ويلسن إلى الحاخام الأكبر أن يختار عشرين مندوبا عن اليهود ، وإلى رؤساء الطوائف المسيحية أن يختاروا عشرة من المسيحيين (٥) . وكانت أول خيبة أمل

---

(١) محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، ج١ ، ٤٩ – ٥٠ . عبد الرزاق محمد أسود ، المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٧٦ . نديم عيسى ، الفكر السياسي لثورة العشرين ، ط١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٢ ، ص ٦٨ . محمد مظفر الأدهمي ، النخبة العراقية وحركة التحرر العربي ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٩١ ، ص ٨٩ .

(٢) وميض نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٩ . علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٧٨ ،

(٣) وميض نظمي ، المصدر نفسه ، ص ٣١٠ . سؤدد كاظم ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٤) إيرلند ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(٥) المس بيل ، المصدر السابق ، ص ٣٨٩ . السيد عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي ، ط٧ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٩ ، ج١ ، ص ١٢٧ .



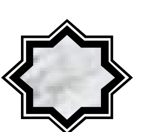
واجهها ويلسن في بغداد هي رفض النقيب تلبية الطلب ، واقترح أن يقوم مقامه القاضي السني الشيخ علي الآلوسي . وخيبة الأمل الأخرى التي واجهها ويلسن هي امتناع القاضيان الجعفري والسني عن القيام باختيار المندوبين بأنفسهما ، فوجه كل منهما الدعوة إلى وجهاء طائفته طالبا منهم الاجتماع لاختيار المندوبين عنهم [١] ، وقد اجتمع أهل السنة في التكية الخالدية ، وكان اجتماع الشيعة في المدرسة الجعفرية . وألقيت فيهم خطب حماسية ، وعندما تم انتخاب المندوبين من كل طائفة استقال سبعة من المندوبين السنيين وواحد شيعي ، وقد اختير خمسة مندوبين من أهل السنة بديلاً عن السبعة المستقيلين . أما الشيخ شكر الله فلم يختر أحداً . ولهذا أصبح عدد المندوبين السنيين ثلاثة وعشرين ، والمندوبين الشيعة أربعة وعشرين [٢] .

عين موعد لاجتماع المندوبين يوم ٢٢ كانون الثاني ١٩١٩ في الحديقة العامة (ملت باغجة سي) على شاطئ النهر [٣] . ويحدثنا علي البزركان بوصفه أحد المندوبين ، عما جرى في الاجتماع فيقول : ((... بعد أن وصلنا صباح يوم الأربعاء في الساعة التاسعة إلى محل الاجتماع في حديقة (ملت باغجة سي) شاهدت في الباب أربعة عمالقة من الإنكليز يرتدون لباس الشرطة ويحمل كل منهم مسدساً في جنبه وفي يده رزمة من البطاقات . وهم يوزعونها على الداخلين ، وقد أعطوني عدة بطاقات منها حينما دخلت ولما أخذت مقعدي قرأت البطاقات المذكورة فإذا هي تحتوي على أجوبة أهالي النجف والبصرة والشامية والمنتفك والحلة والموصل وكربلاء ، بخصوص الأسئلة الثلاث التي وجهها الحكام السياسيون ومضمونها جميعاً هو إبقاء الحكم البريطاني في العراق مع بيان محاسن الإدارة البريطانية وأن يكون ملك العراق هو السر برسي كوكس ... ولما حضر الحاكم العسكري والسياسي بلفور قدم لنا المستشرق الإنكليزي المعروف المستر مرغليوث ليخطب فينا خطبة هذا ملخصها : إن العراق قد تعود على حكم الأجانب منذ القديم فقد حكمه المغول وحكمه الأتراك وحكمه الإيرانيون وهو لا يستطيع أن يحكم نفسه على ذلك يجب على العراقيين أن يختاروا الإنكليز أوصياء عليهم أو تحت انتدابهم))

(١) الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ص ٦٥ .

(٢) للاطلاع على أسماء المندوبين ينظر إلى كتاب علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٨١ – ٨٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .



[1] . ولما انتهى مرغليوث من خطبته قال بلفور إنه سيخرج هو ومرغليوث من الاجتماع ، وطلب منهم أن يسجلوا جوبتهم ويأتوا بها إليه فيما بعد . والظاهر أنه كان يظن أن الأجوبة ستكون حسب رغبته ، ولكنه لم يكد يخرج من القاعة حتى أخرج المندوبون مضبطة كانت معدة سابقاً وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

لما عُلم أن الغاية التي ترمي إليها كل من دولتي بريطانيا العظمى وفرنسا في الشرق هي تحرير الشعوب وإنشاء حكومات وإدارات وطنية ، وتأسيسها تأسيساً فعلياً بكل من سوريا والعراق حسبما يختار السكان الوطنيون ، فإننا ممثلوا الإسلام من الشيعة والسنة من سكان مدينة بغداد وضواحيها بما أننا أمة عربية وإسلامية قد اخترنا أن تكون لبلاد العراق الممتدة من شمالي الموصل إلى الخليج العربي دولة واحدة عربية يرأسها ملك عربي مسلم هو أحد أنجال الشريف حسين مقيداً بمجلس تشريعي وطني مقره عاصمة العراق بغداد .

حرر يوم الأربعاء ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧هـ الموافق ٢٢ كانون الثاني ١٩١٩ [2] .

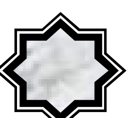
وبعد أن وقع على المضبطة حملها اثنان ، أحدهما يمثل السنة هو عبد الرحمن الحيدري ، والثاني يمثل الشيعة هو جعفر أبو التمن ، وذهبا بها إلى بلفور ، وحين دخلا عليه سألهما قبل النظر بها من اخترتم ؟ فأجابه عبد الرحمن الحيدري : اخترنا حليفكم [3] . وقد حضر هذا الاجتماع سبعة وسبعون شخصا يمثلون المسلمين واليهود والمسيحيين وقد وافق المندوبون المسلمون بالإجماع على المضبطة ، ولكن القوميين في بغداد فشلوا في التقرب من الأقليات ، فقد اتصل كل من عبد الوهاب النائب وحمدي الباجةجي ببعض المندوبين اليهود والمسيحيين وحاولوا كسب تأييدهم ، إلا أنهما فشلا ورفض المندوبون اليهود والمسيحيون وضع توقيعاتهم

---

(١) علي البزركان ، الوقائع الحقيقة في الثورة العراقية ، ط٢ ، بغداد ، مطبعة الأديب ، ١٩٩١ ، ص ٨٦.

(٢) محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٠ . علي البزركان ، المصدر نفسه ، ص ٨٥ . وميض نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٣) يقصد أنهم اختاروا أحد أنجال الشريف حسين الذي كان حليفا لبريطانيا ، محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٠ .



على المضبطة التي نظمها المسلمون [١] . لذلك يذكر علي الزركان : بأن البريطانيين قد روجوا إشاعات فحواها أن المسلمين يريدون تكوين حكومة إسلامية بحتة ، وإبعاد اليهود والنصارى عن البلد [٢] .

من خلال ما تقدم يتبين لنا الأسلوب الخبيث للسلطة البريطانية حول مسألة الاستفتاء ، فقد حاولت إيجاد نفرة وخلاف طائفي بين السنة والشيعة ، لكنها فشلت في ذلك بل أدت إلى اتحاد تام بين الطائفتين الكبيرتين اللتين يتألف منهما الشعب العراقي ، فكلهم إخوان مؤمنون بالله ينطقون بشهادة واحدة ، ويؤمنون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ويتمسكون بكتاب الله ، ويواجهون عدواً واحداً . ويتبين لنا أيضاً فضل أهل بغداد في توحيد جهود الطائفتين في مواجهة قضاياهم الوطنية وانعكاس ذلك على مناطق العراق الأخرى . والأمر الآخر هو سعي البريطانيين استغلال الأقليات لصالحها في تنفيذ سياستها والقاضية باستمرار الإدارة البريطانية . من هذه الخطوة الجريئة بدأت الثورة تأخذ طريقها التاريخي وكانت نقطة الانطلاق من بغداد ، ومنها اندلعت إلى بقية أرجاء الوطن في الشمال والجنوب ، وذلك بعد أن لمس البغداديون استهتار السلطة الحاكمة بحقوق العراقيين وآخرها مهزلة الاستفتاء . لذا شعر البغداديون أنه لابد من وجود قيادة منظمة واعية لقيادة الجماهير في مواجهة السلطة المحتلة فأعدوا للأمر عدته ، فقاموا بتأسيس الجمعيات والأحزاب وفتحوا المدارس وعبئوا الرأي العام البغدادي .

رابعاً - الجمعيات والأحزاب السرية :

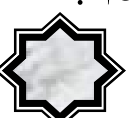
نتيجة لازدياد الوعي الوطني لدى أفراد المجتمع العراقي ، ولاسيما بعد الاستفتاء الذي دعا إليه ارنولد ويلسن عام ١٩١٨ ، فقد تألفت في بغداد عدد من الجمعيات والأحزاب السياسية وكانت أولى هذه الجمعيات هي (جمعية العهد) ، التي ألفها في إسطنبول عزيز علي المصري عام ١٩١٣ ، وقد انقسمت هذه الجمعية خلال الحرب العالمية الأولى إلى جمعيتين أطلق على أحدهما اسم (جمعية العهد العراقي) والثانية (جمعية العهد السوري) ، وكان لحزب العهد العراقي فرع في بغداد برئاسة الشيخ سعيد النقشبندي [٣] .

---

(١) جمال نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣١٤ – ٣١٥ .

(٢) البزركان ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٣) عبد الله الفياض ، المصدر السابق ، ص ١٥٤ .



وقد جاء في المادة الأولى من برنامج الجمعية على أن غاية الجمعية الأساسية هي كما يلي :
أ- استقلال العراق استقلالا تاما ضمن الوحدة العربي وداخل حدوده الطبيعية .
ب-ترى جمعية العهد طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا على أن تكون هذه المساعدة بالثمن ، وأن لا تمس بالاستقلال التام .
جـ- إنهاض الشعب العراقي ليباري أرقى الأمم الغربية .
د- السعي لخير الأمة العربية عامة (١) .

أعلنت جمعية العهد عن رغبتها في إعلان دولة ملكية دستورية يتقلد العرش فيها أحد أبناء الشريف حسين ، كما أنها كانت تفضل تقليد العرش إلى الأمير عبد الله . وقد فتحت جمعية العهد فروعا لها في بغداد والموصل والبصرة ، فكانت الجمعية في بغداد تتألف كل من سعيد النقشبندي وحسن رضا المحامي ، وأحمد عزت الأعظمي وأمين زكي ونوري فتاح وبهاء الدين سعيد النقشبندي وعلاء الدين النائب أعضاء ، ولما توفي الشيخ سعيد النقشبندي انتخب السيد (سليمان فيضي) (٢) رئيسا (٣) . وقد أصدر هذا الفرع (مجلة اللسان) لتكون لسان حاله فكانت إدارة المجلة بمثابة مركز للفرع يجتمع فيه الأعضاء (٤) .

أما الجمعية الأخرى التي تألفت في بغداد فهي : (جمعية حرس الاستقلال) والتي تألفت في نهاية شباط ١٩١٩ ، وكان المؤسسون لها : (جلال بابان وشاكر محمود رامز وعارف حكمت وحسين شلال وسعيد حقي وعبد المجيد يوسف وعبد اللطيف حميد والحاج محيي الدين السهروردي وعلي البزركان) . وقد تضمن منهاجها على مواد منها :
أ- استقلال العراق التام .

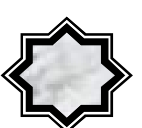
---

(١) محمد مهدي البصير ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٨ . الحسني ، المصدر السابق ، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢) يذكر سليمان فيضي أنه لما توفي النقشبندي اجتمعت الهيئة الإدارية للحزب وانتخبوني رئيساً للحزب وأودعوا إلي جميع الوثائق السرية وقائمة بأعضائه ومؤازريه . سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٠ – ٢٥١ .

(٣) عبد الأمير هادي العكام ، الحركة الوطنية في بغداد ، ١٩١٨ – ١٩٢٠ ، بحث ضمن كتاب (ندوة بغداد في كلية التربية) ، بغداد ، دار الحكمة للطباعة ، ١٩٩٠ ، ص ١٧١.

(٤) الحسني ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .



ب- تأليف مملكة عراقية تحت ملوكية أحد أنجال الملك حسين على أن يكون ملكاً دستورياً ديمقراطياً .

جـ- بذل الجهد في سبيل ضم المملكة العراقية إلى لواء الوحدة العربية .

د- توحيد كلمة العراقيين وبذل أقصى الجهود للقضاء على كل بواعث الافتراق في الدين والمذهب [١] .

لم تمر على تأسيس هذين الحزبين سوى مدة وجيزة حتى بدأ خلاف بينهما وقد اختلفت الأخبار حول سبب الخلاف ، وحينما علم مركز العهد في دمشق بهذا الخلاف أرسل وفداً محاولاً الإصلاح بين الجمعيتين ، لكن الوفد لم يوفق في مهمته ، فحينما غادر الوفد بغداد عاد الحزبان إلى التشاتم والخلاف من جديد وانتهى الأمر بكليهما إلى الانحلال [٢] .

وعندما تأسست المدرسة الأهلية في أيلول ١٩١٩ بدأت هذه المدرسة تحتضن النشاط الوطني مما شجع القائمين بها على إعادة تأسيس جمعية (حرس الاستقلال) من جديد ، وأصبحت المدرسة مقراً لها ، وبدأت تعقد جلساتها السرية فيها . وعند تأسيسها للمرة الثانية انضم إليها عدد من الأعضاء الجدد فكان منهم : السيد محمد الصدر ، والشيخ محمد باقر الشبيبي وهو من أدباء النجف ، ومحمد جعفر أبو التمن [٣] .

أما الجمعية الثالثة فهي (جمعية الشبيبة العربية) التي ألفها بعض الشباب المتحمسين وكان هؤلاء : جعفر حمندي ، وصادق حبه ، وسامي خونده ، وصادق الشهرباني ، وعباس مهدي ، وقاسم العلوي ، وسعد صالح . وكان برنامج ومبادئ حرس الاستقلال قد شجع هؤلاء على دمج جمعيتهم بالحرس [٤] .

وكان لانضمام جمعية الشبيبة إلى جمعية الحرس أثر في تقوية مركزها ، ولذلك أنشأت فروعا لها في الكاظمية والنجف والحلة والشامية وبعقوبة وغيرها [٥] .

---

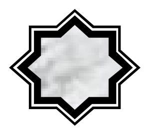
(١) العكام ، المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

(٢) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٩٥ – ٩٧ .

(٣) الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٩٥ – ٩٧ .

(٤) وميض نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

(٥) عبد الأمير هادي العكام ، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ – ١٩٣٢ ، النجف ، ١٩٧٥ ، ص ٢٩ – ٣٠ .



خامساً – مدينة بغداد وثورة العشرين :

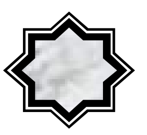
١– الوحدة بين مسلمي بغداد :

ذكرنا في مبحث سابق من هذا الفصل الاجتماع الذي جرى في حديقة (ملت باغجه سي) في كانون الثاني ١٩١٩ وما جرى من تعاضد ، واتحاد فيما بين الطائفتين السنية والشيعية في بغداد ، وقد جرى تقارب آخر وذلك عندما نعى البرق من النجف وفاة المجتهد السيد محمد كاظم الشهير باليزدي صباح يوم ٣٠ نيسان ١٩١٩ [١] . فأكبر الشيعيون وفاته ، ورأى قادة الفكر والسياسة من السنيين أن يشاطروا إخوانهم في مصابهم ، لتوحيد الصفوف وعدم إتاحة الفرصة للبريطانيين للتفريق بين الطائفتين المسلمتين ، فقد أقيم حفل تأبين في جامع الحيدر خانة ببغداد في ٩ أيار ١٩١٩ [٢] ، وأقيم حفل تابيني آخر في جامع الوزير في اليوم نفسه أثر الدعوة التي

---

(١) جريدة العرب ، العدد ٥٤١ ، ١ آيار ١٩١٩ .

(٢) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ص ٤٢٤ – ٤٢٥ . الحسني ، المصدر السابق ، ص ١٠٢.



وجهها أحد أفراد أسرة آل كنه إلى مسلمي بغداد والكاظمية لحضور الحفل التأبيني في الجامع المذكور [١] فكانت أشبه بمؤتمر توحدت فيه كلمة المسلمين في العراق منها بحفلة دينية تقام لفقيد كبير .

ويبدو أنه بسبب هذا التقارب بين الطائفتين وبداية عقد التجمعات في المساجد قد أغاض الحاكم العسكري والسياسي بلفور مما أدى إلى إصداره بيان في ١٣ حزيران ١٩١٩ منع بموجبه عقد أي اجتماع عمومي بدون رخصة من الحاكم العسكري ، ويجب أن تطلب الرخصة قبل ٢١ يوما من موعد الحفل [٢] .

يتضح مدى خشية السلطة المحتلة من نتائج هذه الحفلات وهذا التوافق بين مسلمي بغداد ، مما اضطرهم إلى إصدار هذا البيان للحد من تواصل هذه الحفلات .

٢- بداية الحفلات الدينية في بغداد :

في نيسان ١٩٢٠ اشتد نشاط الحركة الوطنية في بغداد وثمرة ذلك الاتصال بين مركز جمعية حرس الاستقلال وبين فروعها في الفرات الأوسط وفي كربلاء والنجف ، وقد لعب الدور الفاعل كل من الشيخ محمد باقر الشبيبي والسيد هادي زوين ، وقاما بتحركات بين المراكز الوطنية لأخذ وجهات النظر [٣] .

وقد جاء هادي زوين إلى بغداد لدعوة البغداديين لإرسال مندوب عنهم إلى كربلاء ، وفي ٢٢ نيسان عُقد اجتماع في دار حمدي بابان [٤] ، بسط السيد هادي في الاجتماع حالة الفرات الأوسط ، واستعداد الرؤساء والعلماء للعمل [٥] . وأناب البغداديون محمد جعفر أبو التمن فسافر بعد أيام مع السيد هادي إلى كل من كربلاء والنجف والفرات . وفي هذا الوقت أعلنت الحكومة البريطانية في ٣ أيار ١٩٢٠ قرار مؤتمر (سان ريمو) القاضي بفرض الانتداب البريطاني على العراق [٦] .

---

(١) جريدة العرب ، العدد ٥٤٧ ، ٨ أيار ١٩١٩ .

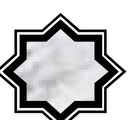
(٢) جريدة العرب ، العدد ٥٧٧ ، ١٣ حزيران ١٩١٩ .

(٣) محمود العيطة ، بغداد وثورة العشرين ، بغداد ، مطبعة الشعب ، ١٩٧٧ ، ص١٦ .

(٤) للتعرف على شخصيات الحضور انظر : علي البزركان ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

(٥) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٩٩ . الحسني ، المصدر السابق ، ص١٠٦.

(٦) محمود العيطة ، المصدر نفسه ، ص ١٧ .



وفي ٩ أيار عُقد اجتماع آخر في بيت حمدي بابان حضره الذين حضروا الاجتماع الأول ، وقد تحدث أبو التمن عن نتائج زيارته للمناطق آنفة الذكر ، فقرر الحاضرون المباشرة بنشر الدعوة في بغداد إلى إنشاء حكومة وطنية ، وفي اليوم التالي عقدت الهيأة التنفيذية لجمعية الحرس اجتماعاً قررت استغلال شهر رمضان للقيام بتظاهرات سياسية تحت شعار الحفلات الدينية [١] .

شهدت بغداد قبيل حلول شهر رمضان بعض الحفلات الدينية وأول هذه الحفلات التي أقيمت في يوم الجمعة ١٤ أيار ١٩٢٠ في جامع القبلانية [٢] . ولو أن كاظم الدجيلي يذكر أن أول الاجتماعات جرى في الكاظمية عندما ارتقى السيد صالح الحلي المنبر يوم الأربعاء الموافق ١ أيار ١٩٢٠ وخطب خطبة حث الناس فيها على التمسك بيوم الجمعة ، ثم وعدهم أنه سيأتي في يوم الجمعة – يصادف ٣ أيار حسب ادعائه – ويخطب في جامع السيد سلطان علي ، وعندما حل يوم الجمعة هرع الناس إلى ذلك الجامع ، ولكن الحلي لم يحضر [٣] . لقد ذكر الدجيلي أن الحلي ارتقى المنبر يوم الأربعاء الموافق ٣ أيار بينما الصحيح أن ١ أيار يصادف يوم السبت ، ويوم ٣ أيار موعد حضوره إلى جامع السيد سلطان لم يوافق الجمعة كما يدعي ، وإنما يوافق يوم الاثنين . ويبدو أن الكثيرين ممن كتب عن الحركة الوطنية قد وقع في مزالق هذه التواريخ الغير دقيقة بل حتى علي الوردي في كتابه لمحات اجتماعية قد أورد فيها تلك الأخطاء التاريخية نقلا عن الدجيلي .

بحلول شهر رمضان بدأت تقام العديد من الحفلات الدينية والتي تقام بالتناوب في الجوامع السنية والشيعية ، إذ كانت تبدأ بالمراسيم الدينية وتنتهي بالخطب السياسية والقصائد الوطنية التي تثير الجماهير ضد السلطة المحتلة [٤] . وقد تقرر أن تقام الحفلات في المساء عقب

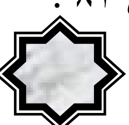
---

(١) الوردي ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(٢) الحسني ، المصدر السابق ، ص ١٠٨. علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٧٥.

(٣) كاظم الدجيلي ، أحداث ثورة العشرين كما يرويها شاهد عيان ، بغداد ، مطبعة الزمان ، ١٩٧٣ ، ص ١٥ – ١٦

(٤) فاروق صالح العمر ، المصدر السابق ، ص ٨١ .



ساعة الإفطار ، وأقيمت أول حفلة رمضانية في جامع الميدان مساء الخميس ٢٠ أيار ، وطبعت لها بطاقات خاصة لدعوة الأهالي إلى حضور الحفل (١) .

وفي ليلة ٢٤ أيار أقيمت حفلة في جامع الحيدر خانة فتكلم فيها عدد من قادة الفكر في بغداد ، ثم نهض شاب كان موظفاً في دائرة الأوقاف واسمه (عيسى عبد القادر) (٢) فألقى قصيدة حماسية عدتها السلطات خطراً على الأمن العام ، فقبضت عليه في الحال ، وأبعدته إلى البصرة في اليوم التالي (٣) .

ولما علم الأهالي خبر القبض عليه ونفيه أقفلت المخازن والحوانيت في المدينة احتجاجا على ذلك العمل ، وقد قررت جمعية الحرس أن تقام في العاصمة مظاهرة كبرى يحتج فيها المتظاهرون على عمل السلطة هذا وأن يطلب إلى الجمهور تفويض خمسة عشر مندوباً عن مدينتي بغداد والكاظمية ليفاوضوا الحكومة (٤) .

ويذكر علي البزركان أنه هو الذي اقترح أسماء المندوبين وعندما قدم أسماء أربعة عشر مندوبا اختارته الجماهير ليكون المندوب الخامس عشر (٥) . وبعد أن وضع الشعب ثقته بمندوبيه الخمسة عشر ظهرت سيارتان مدرعتان وأخذتا بإطلاق النار على المتظاهرين فقتل بإحدى الرصاصات رجل أخرس (٦) ، وقد أكبر الشعب موته كل الإكبار (٧) . وفي صباح اليوم التالي انتشر بين الناس خبر موت الأخرس في المستشفى وقد قرر حزب الحرس أن يجعل من تشييع

---

(١) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٧٥ .

(٢) هو الشاعر عيسى عبد القادر الريزلي الأعظمي ، شغل عدة وظائف في ديوان الأوقاف وبقي سنة واحدة منفيا في البصرة وبعد مجيء الملك فيصل إلى العراق أطلق سراحه .

(٣) عبد الله فياض ، المصدر السابق . نص القصيدة ذكرها محمود العبطة ، المصدر السابق ، ص ٤٠ – ٤١ .

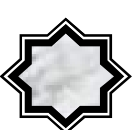
Ghassan r.atiyyah,Iraq : 1908 – 1921 A Socio – political study Beirut , 1973 , P.316 .

(٤) البصير ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٨٣ .

(٥) البزركان ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٦) يذكر علي البزركان أن الرجل القتيل قد دهس بسيارة حاكم بغداد العسكري (بلفور) قرب جامع الحيدر خانة واسمه رشيد بن عبد الكريم الأخرس . المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

(٧) البصير ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٨٤ .



جنازته مظاهرة وطنية كبرى يتحدى بها السلطة ، وعند صلاة الظهر من ذات اليوم اجتمع خلق كثير في جامع الحيدر خانة لتشييع الشهيد والذي سماه الناس (شهيد الوطن) [١] . وقد أرسلت السلطة كوكبة من الفرسان سارت أمام الجنازة وأربع سيارات مدرعة خلفه وثلاث طائرات محلقة [٢] . وفي صباح اليوم الذي جرى فيه التشييع كان بلفور قد كتب إلى جعفر أبو التمن وعلي البزركان وأحمد الشيخ داود ومحمد مهدي البصير يطلبهم الحضور لمقابلته في الساعة الرابعة من بعد الظهر ، وفي الموعد المحدد ذهب هؤلاء الأربعة إلى مقر بلفور ، وقد ذكر علي البزركان تفاصيل ذلك اللقاء وسنذكر جانبا منه : ((٠٠٠ طلب الحاكم حضورنا فدخلنا فوجدناه جالسا خلف منضدة طويلة ٠٠٠ وعندما جلسنا أمامه وكان على يميني الشيخ محمد مهدي البصير وعلى يساري أحمد الداود وفي جنب البصير محمد جعفر أبو التمن ٠٠٠ فنظر إلينا وقال : الآن أحضرتكم لأبلغكم عن أعمالنا . ثم التفت إلى الشيخ أحمد الداود وقال له مواصلاً كلامه : أنت يا شيخ أحمد الآن أصبحت وطني بعد أن كنت موظفاً عندنا في الأوقاف ، فسرقت أثمان الشموع فطردناك على أثرها والآن لسانك أصبح طويلاً علينا إن لسانك يحتاج إلى قطع . فأجابه الشيخ أحمد : أنا لم أعمل أي شيء حتى تقطعوا لساني ، فصاح به الحاكم : اسكت ثم التفت إلى الشيخ محمد مهدي البصير فقال له وأنت أيها الأعمى من أين أتيت ؟ فأجابه جئت من الحلة فقال له الحاكم : لأي سبب جئت ؟ فأجابه الشيخ محمد مهدي للاستشفاء ، فقال له الحاكم : إن هواء بغداد متعفن الآن ارجع إلى الحلة هواءها أنقى من هواء بغداد . ثم التفت إلي قائلاً : يا علي البزركان نحن الآن قررنا نفيك ، وإبعادك إلى هنجام ولكن السيد عبد الرحمن أفندي النقيب تكفلك وتعهد لي أن تترك هذه الأعمال المهيجة للأفكار والمقلقة لراحة الأهلين . فقلت له تسمح لي يا مستر بلفور أن أتكلم : فقال لي بصوت عالي : تكلم ، فقلت له : إني لا أقبل كفالة النقيب – ومن جملة أقوالي – إني على مبدأ أقوم به ، بناء على وعودكم لنا وهذا القتيل لا يجوز لكم أن تجهزوه وتدفنوه ، لأنه مسلم وليس مسيحيا وعليه سنستمر على أعمالنا الوطنية حتى تبروا بوعودكم .

---

(١) الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٧٨ – ١٧٩ .

(٢) كاظم الدجيلي ، المصدر السابق ، ص ٢٦ – ٢٧ .



فنهرني صائحاً وقال لي اسكت . ثم أشار إلي بيده اذهبوا ولم يتكلم مع محمد جعفر أبو التمن بتاتاً)) [١] .

يتضح من خلال ما تقدم تماسك مسلمي بغداد فيما بينهم والذي أغاظ السلطة المحتلة ، حيث تذكر المس بيل في إحدى رسائلها عن احتفالات شهر رمضان فتقول : ((... هناك الآن اجتماعان أو ثلاثة تعقد في الجوامع أسبوعيا بمثل هذه المناسبة غير المسبوقة . ويتم هذا مرة في إحدى الجوامع السنية وأخرى في أحد الجوامع الشيعية ، فيحضرها الجميع من الطائفتين . وهي في الحقيقة اجتماعات سياسية وليست دينية ...)) [٢] .

٣- مقابلة نائب الحاكم الملكي (آرنولد ويلسن) .

ذكرنا أنه قد انتخب خمسة عشر مندوبا للسعي لإطلاق سراح الشاعر عيسى عبد القادر ، ولكن هؤلاء المندوبين تجاوزت مهمتهم تنفيذ ذلك العمل إلى أبعد من ذلك ففي ٢٨ أيار رفع هؤلاء المندوبون عريضة إلى نائب الحاكم الملكي العام في ٢٨ أيار ١٩٢٠ يطلبون فيها مقابلته للمداولة في قضية البلاد السياسية . فأجاب الحاكم الملكي وضرب لهم موعدا للاجتماع يوم ٢ حزيران ، وقد دعت الحكومة ٢٠ رجلا من الأعيان غير أعضاء الوفد [٣] .

ولما استقر بالحضور المكان نهض ويلسن وألقى خطاباً على الحاضرين ضمنه كثيرا من عبارات التهديد والوعيد لأهالي بغداد محذراً إياهم من مغبة الاستمرار بأعمال العنف [٤] . وبعد الانتهاء من الخطاب جرى نقاش بين ولسن والحاضرين استمر نحو ساعتين ، وقد اشترك بعض المندوبين في ذلك النقاش ومنهم يوسف السويدي ، الذي قدم عدداً من المطاليب نيابة عن الوفد ومن هذه المطاليب :

١- تشكيل مجلس عراقي يمثل البلاد ، ويقرر شكل الحكومة العراقية القادمة .

٢- حرية الصحافة .

---

(١) علي البرزكان ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٥

(٢) المس بيل ، العراق في رسائل المس بيل ، ص ١٣٥ .

(٣) نشرت جريدة العراق أسماء المدعوين من الأعيان البالغة عددهم ٢٠ عضوا .
جريدة العراق ، العدد ٣ ، ٣ حزيران ١٩٢٠ .

(٤) نص الخطاب وما دار في الاجتماع نشرته جريدة العراق ، العدد ٣ و ٤ ، في ٣ و٤ حزيران ١٩٢٠.



٣- رفع القيود عن الاتصالات البريدية والبرقية في داخل البلاد مع العالم الخارجي [١] .
وعندما انفض الاجتماع كان الجمهور واقفا ينتظر خروج المندوبين وعند خروجهم استقبلهم بالهتاف ، وركز هتافاته على السويدي والصدر [٢] .

٤- إحباط فتنة طائفية :

ذكر كاظم الدجيلي إلى أن الإنكليز حاولوا التوصل إلى وسيلة للفتك بأهل بغداد وإشاعة الفرقة والخلاف بين المسلمين والمسيحيين ، وكانوا يعدون العدة لاستغلال يوم عيد الجسد (العشاء الرباني) وهو يوم مقدس عند المسيحيين ، فقد اقتضت الخطة أن يقوم رجال موالين للسلطة ويلبسون زي المسلمين ويندسون بين المتفرجين ، وعند مرور موكب الاحتفال يقومون بقتل بعض أطفال المسيحيين ، وبذلك يتسنى للحكومة ضرب الأهلين ببعضهم البعض والمطالبة بحفظ الأقلية باسم الدين [٣] .

جرى الاحتفال في الساعة الرابعة عصراً من يوم الأحد الموافق ٦ حزيران وذلك عندما اجتمع آباء الكنائس الأربع ، وأتباعهم من اللاتين والسريان والأرمن والكلدان وكان اجتماعهم في كنيسة الكلدان ، وقد حضر الاحتفال وفد إسلامي مؤلف من علماء وأشراف بغداد وذلك عندما علموا بنوايا الحكومة السيئة ، وكان رجال الوفد الإسلامي يحملون بأيديهم الورد ، وماء الورد لينثروه ويرشوه على إخوانهم المسيحيين المحتفلين بهذا العيد المقدس . وعندما شرع المحتفلون بالخروج من الكنيسة خرج وفد المسلمين قدامهم ووقفوا لهم صفين على جانب الطريق بكل سكينة ووقار واحترام ، وعندما مر الموكب أمامهم أخذوا ينثرون الأوراد ويرشون ماء الورد ويهتفون مع التصفيق الحاد بقولهم : (ليدم مجد السيد المسيح ، ليدم آباء الكنيسة ، ليعش إخواننا المسيحيون لتحيى الجامعة العراقية) ، وكان المسيحيون يجيبون : (ليحيى إخواننا المسلمون) وكانت النساء المسيحيات المطلات من النوافذ والمشارف يرششن ماء الورد على المحتفلين ،

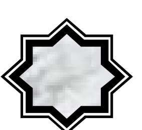
---

(١) وميض نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٨ .

Atiyyah , op . cit , pp . 317 – 318 .

(٢) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٨٧ – ١٨٨ .

(٣) الدجيلي ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .



ودموعهم تتناثر من شدة الشوق وفرط الفرح والسرور الذي دخل قلوبهن عند مشاهدة هذا الاحتفال الذي دل على الوفاق والوئام [١] .

٥- استمرار الحفلات الدينية في بغداد والكاظمية :

كان ولسن قد قرر عقب مقتل الأخرس أن يسمح للناس بإقامة المواليد بلا تحديد . فهو يقول في كتابه (الثورة العراقية) : ((بعد أن تذاكرت مع العقيد بريسكوت مدير الشرطة ، والعقيد بلفور حاكم بغداد العسكري قررت أقف ضد التدابير القمعية في تلك اللحظة . ثم توصلت في ضوء الحوادث لتي وقعت بعد ذلك إلى أن هذا التدبير كان خطأً فاحشاً صدر مني في الحكم . فقد أخطأت في تقدير التأثير الذي يمارسه الوطنيون ، وفي مقدار تأثر الناس بدعايتهم وتأثر الجماهير في الفرات الأوسط)) [٢] .

يتضح من خلال هذا النص الدور الذي لعبته بغداد في إيقاظ الشعور الوطني في كافة أنحاء البلاد ، وتحريك الروح الجهادية في نفوسهم للوقوف بوجه السلطة المحتلة ، وأيضا اعتراف صريح من ويلسن بدور الوطنيين في بغداد وتأثيرهم على الجماهير في الفرات الأوسط .

لذلك سمح بالاستمرار على إقامة الحفلات الدينية خاصة في يوم الجمعة حيث اتخذ عيدا يجتمع فيه المسلمين لتوحيد صفوفهم لاسيما بعد إصدار فتوى مشتركة من رجلي دين من الطائفتين السنية والشيعية وهم كل من مدرس حضرة الإمام الأعظم الشيخ محمد سعيد ، والسيد حسن صدر الدين وبيَّنا في هذه الفتوى أهمية يوم الجمعة [٣] . وصارت الحفلات تتوالى ، مرة في جامع للسنة وأخرى في جامع للشيعة ومن أهم الجوامع التي أقيمت فيها الاحتفالات علاوة على جامع الحيدرخانة ، جامع الكاظمية وجامع الأعظمية وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وجامع السيد سلطان علي وجامع الاحمدي وجامع الخلاني . وكان حزب الحرس يشرف على تنظيم تلك الحفلات [٤] .

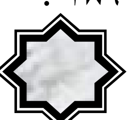
---

(١) جريدة العراق ، العدد ٧ ، ٨ حزيران ١٩٢٠ .

(٢) أرنولد ويلسن : الثورة العراقية ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١ ، ص ٦٠ .

(٣) نص الفتوى الشرعية نشرتها جريدة العراق ، العدد ٢٩ ، ٥ تموز ١٩٢٠ .

(٤) علي الوردي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٨٩ .



وأثناء ما كانت تعقد هذه الاحتفالات الدينية ، كانت هناك مجموعة من شباب بغداد يقودهم (عبد المجيد كنه) تقوم بحماية الحفلات ومنع أعوان السلطة من التدخل فيها ، ولكي لا يندس فيها جاسوس أو عميل يفسدها وكان عبد المجيد كنه معروف عنه بالشجاعة والجرأة[١].

بعد أن أخفقت مفاوضات زعماء الحركة الوطنية مع السلطات البريطانية المحتلة وأخفقت الوسائل السلمية التي لجأ إليها العاملون في الحركة الوطنية أصبح مفهوما للجميع أن الوسائل السلمية لا تحل المشكلة ، وشعر الوطنيون أن قضية العراق لا تحلها إلا الثورة المسلحة . وهكذا انطلقت شرارة الثورة في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ ، وأخذت تنتشر في أنحاء البلاد جميعها [٢] .

إن اكثر المؤرخين العراقيين يعتبرون ٣٠ حزيران بداية للثورة أثر اعتقال البريطانيين في الرميثة رئيس الظوالم شعلان أبو الجون ، لكن د . كمال مظهر يشير في كتابه (صفحات من تاريخ العراق المعاصر) : أن أحداثاً أخطر سبقته لا تقل أهمية عن يوم ٣٠ حزيران فقد شهدت بغداد والنجف والحلة أحداث دامية مهمة ، كانت أكبر حجماً من أن تعتبر جزءًمن مقدمات الثورة . وإن اجتماعات بغداد ومظاهراتها والاصطدامات التي وقعت فيها هي التي حركت مدن العراق بأسره ، وهي تؤلف إحدى ذروات ثورة العشرين [٣] .

وفي الوقت الذي كانت هذه الأمور تجري في بغداد والمدن الأخرى ، كانت الحكومة البريطانية في لندن قد قررت سياستها النهائية فيما يتعلق بالعراق ، من خلال البلاغ الصادر في ١٧ حزيران ١٩٢٠ الذي أوضحت فيه بأنها تسعى إلى جعل العراق حكومة مستقلة تضمن استقلالها جمعية عصبة الأمم ، وتكليف بريطانيا بالمسؤولية عن حفظ السلم الداخلي والأمن الخارجي ، وتشكيل قانون أساسي بعد استشارة أهالي العراق ، وأشار البلاغ أيضا إلى عزم الحكومة البريطانية تكليف برسي كوكس بتنفيذ هذه المهمة بعد عودته إلى بغداد في الخريف [٤] .

---

(١) علي الوردي ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ١٨٩ .

(٢) عبد الأمير هادي العكام ، المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٣) د . كمال مظهر أحمد ، صفحات من تاريخ العراق المعاصر ، ط١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٧ ، ص ٥٣ .

(4)Compilation of proclamations , notifications , op . cit , P. 100 .



وعلى ضوء هذا المنشور أصدر ويلسون منشوراً آخر في ٩ تموز ، قرر فيه دعوة الأشرفين من مندوبي الأماكن المختلفة إلى الاشتراك مع الحكومة الملكية في تشكيل المشاريع اللازمة للانتخابات المقرر إجراؤها ٠٠٠ وقد اختار الذين انتدبوا سابقاً عن هذه البلاد في المجلسين العثمانيين مجلس الأعيان ومجلس المبعوثان [١]. وبعد أيام وجهت دعوة لكافة الأعيان والمبعوثين السابقين لحضور المؤتمر في ٦ آب في ديوان نظارة العدلية [٢] .

عقد المجلس جلسته الأولى في ٦ آب ، وقد افتتحها الحاكم الملكي العام بصورة رسمية ، وانتُخِبَ طالب النقيب رئيساً له ، وفي الجلسة الثانية المعقودة في اليوم التالي تقرر إضافة أعضاء آخرين ، وقد وجهت الدعوة لكل من يوسف السويدي والسيد محمد الصدر وآخرين ، وقد رفض الدعوة كل من السويدي والصدر فصار معلوماً أنهما يعتزمان الالتجاء إلى تحريض الأهالي من خلال حفلات الجوامع وعلى هذا صدر أمر توقيف يوسف السويدي والشيخ أحمد الداود وجعفر أبو التمن وعلي البزركان [٣] . بتاريخ ١١ آب وقد جردت السلطة قوة لكبس دور هؤلاء الأربعة ، فقد استطاعت السلطة القبض على أحدهم وهو الشيخ أحمد الداود فتم إبعاده إلى البصرة ثم إلى هنجام وفرَّ الباقون الثلاثة [٤] . ويبدو أن قرار السلطة جاء بعد حصولها على معلومات تفيد بأن هؤلاء الزعماء يخططون لعمل كبير في بغداد . فقد أشار حسان علي البزركان في كتابه (من أحداث بغداد وديالى أثناء ثورة العشرين في العراق) نقلاً عن والده : أنه وردت معلومات إلى أعضاء حزب حرس الاستقلال تفيد بأن الإنكليز صمموا على استقدام

جريدة العراق ، العدد ١٧ ، ٢١ حزيران ، ١٩٢٠ .

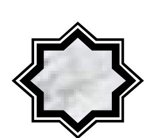
(1)Ibid , p.101 .

جريدة العراق ، العدد ٣٥ ، ١٢ تموز ١٩٢٠ .

(٢) سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠. جريدة العراق ، العدد ٥٩ ، ٩ آب١٩٢٠.

(٣) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ص ٤٣٥ .

(٤) لمزيد من التفاصيل حول محاولة إلقاء القبض على هؤلاء الثلاثة ينظر : كتاب محمود العبطة ، المصدر السابق ، ص ٢٦ – ٣٤ . فقد ذكر تفاصيل مهمة عن محاولة إلقاء القبض على الثلاثة وخاصة يوسف السويدي وما جرى من تصادم بين الأهالي والقوة التي أرسلتها الحكومة وقد أسماها الأهالي آنذاك بـ(دكة السويدي) . أيضا تفاصيل محاولة اعتقال السويدي نشرتها جريدة العراق ، العدد ٦٤ ، ١٤ آب ١٩٢٠ .



قوة عسكرية من جيشهم من بلاد فارس ، عن طريق سكة حديد (قرتو) قاطعة لواء ديالى في الوصول إلى بغداد ، فدعا علي البزركان الهيأة السرية الإدارية لحزب حرس الاستقلال لاجتماع عاجل ، وتم الاجتماع في بيت عبد اللطيف حميد في محلة المهدية ، وطرحت بعض الأفكار حول الموضوع وبعد مداولات تم الاتفاق على الخطة التالية :

١- قطع سكة الحديد لمنع وصول العساكر الإنكليزية .

٢- عشائر ديالى تقوم بالثورة وبالأعمال الحربية وتحرير القصبات من السيطرة الإنكليزية .

٣- بعد أن يتم ذلك تتجه العشائر بتحركها نحو خان النص (خان بني سعد) ، ثم نحو بغداد ويكون التجمع في ١١ آب ١٩٢٠ .

٤- تبلغ عشائر المحمودية واليوسفية ، التي مع الثورة وما جوارهما بالتوجه إلى اليوسفية ثم إلى بغداد بنفس اليوم المذكور أعلاه .

٥- إرسال ضباط حربيين من بغداد إلى كل من ديالى واليوسفية وبالأخص من أهاليها وكذلك ملكيين (مدنيين) لإدارة العشائر في تحركها .

٦- إعلان الثورة في بغداد ، وجعل مناسبة المولد والعزاء ليلة الجمعة ١٣ آب ١٩٢٠ .

٧- تهيئة السلاح المتوفر لدى الأهالي ، بمختلف أنواعه بالقرب من مكان المولد .

وهكذا أجمعنا على الدعوة لإقامة المولد والمأتم في جامع الحيدرخانة ليلة ١٣ آب ١٩٢٠ (١).

ويذكر البزركان أيضا أسماء المدنيين من لواء ديالى المكلفين بالعمل وهم : (شاكر محمود قنبر علي ، وصعيد حمزة (الملقب سعيد ساره) ، وزكي الملقب بابن باش ، وملكي الأورقلي ، عبد اللطيف الفارسي ، والمقدم حسين شلال) أما العشائر المكلفة بالاشتراك في الثورة ، فهي عشائر العزة وبنو تميم والكرخية والبيات والبو هيازع والجبور وغيرهم .

ويستطرد علي البزركان الكلام فيقول : لقد كنا بانتظار ليلة الجمعة ١٣ آب . وبعد أيام معدودة ، عدت إلى داري فشعرت أن برج الحمام الذي في سطح الدار فيه حركة غير عادية ، فصعدت إليه فوجدت إحدى الحمامات خارجه ، فعرفت أنها مرسلة فاستخرجت الرسالة من رجلها وفتحتها ، فإذا (الخفير) ، وهو اسم لمحمد علي يطلب لقائي سريعا في حمام الكهية ،

---

(١) حسان علي البزركان ، نقلا عن والده علي البزركان ، من أحداث بغداد وديالى أثناء ثورة العشرين في العراق (قراءة جديدة) ، بغداد ، المطبعة العربية ، سنة ٢٠٠٠ ، ص ٢٩ – ٣١ .



وكان ذلك يوم الثلاثاء ١٠ آب ١٩٢٠ ، وهو من المتعاونين معنا وعند لقائي السريع معه ، أفهمني أن السلطات قررت إلقاء القبض علينا ٠٠٠ وعند ذلك ذهبت وأخبرت كلاً من يوسف السويدي وجعفر أبو التمن والشيخ أحمد داود والشيخ سعيد النقشبندي ٠٠٠ فقررنا تأجيل الثورة في بغداد وإرجاء التظاهرات [١] .

يتضح من خلال ذلك أن مدينة بغداد كانت تعد العدة للقيام بثورة واسعة ضد السلطة المحتلة ، مستخدمة الأسلحة النارية المتوفرة لديها ، ولكن كشف أمر خطة حزب حرس الاستقلال حال دون ذلك وبالتالي صدور أمر اعتقال الزعماء الأربعة للحركة الوطنية في بغداد .

ومما يشفع ما أشار إليه البزركان من خطة الثورة في بغداد ، ما ذكره إيرلاند حيث يقول : ((لم تحدث في بغداد أية حركة تقريبا على الرغم من أن هياجا كان يؤمل أن يقع في ١٢ آب وكان هدوء المدينة النسبي سببه وجود الجيوش الدائم فيها ، والتدابير الاحتياطية التي اتخذت بإبعاد الزعماء الوطنيين عن العاصمة)) [٢] .

ولما جرى تفتيش دار يوسف السويدي عثر على مستندات ورسائل سياسية حوكم بمقتضاها المرحوم عبد المجيد كنه أمام محكمة عسكرية [٣] ، فقد أصدرت السلطة بياناً حول محاكمته ، وقد اتهم باقترافه جرماً ضد السلطة العسكرية ، وأنه كان ذو علاقة بتشكيل عصابة سفاكين غايتهم الإرهاب والقتل ، حسب ما جاء في هذا البيان . ونفذ فيه حكم الإعدام يوم ٢٥ أيلول ١٩٢٠ [٤] .

---

(١) حسان علي البزكان ، المصدر السابق ، ص ٣٢ – ٣٥ .

(٢) إيرلاند ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٣) البصير ، المصدر السابق ، ج١ ص ١٠٢ .

(٤) جريدة الاستقلال ، العدد ١ ، ١٩٢٠/٩/٢٨ . جريدة العراق ، العدد ١٠٠ ، ١٩٢٠/٩/٢٨ . يذكر كامل الجبوري في كتابه ، (عبد المجيد كنه) ، بغداد مطبعة التفييض الأهلية ، ١٩٥١ ، ص ٣١ – ٣٤ : إن تشييع الشهيد كان يوما عظيماً فقد تقدمت الجنازة صفوف من حملة الدفوف والأعلام وهم يهللون ويكبرون ولم تر بغداد جنازة شيعت بهذه الصورة ، وقد دفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي.

وفي ١٢ آب أصدرت السلطة البريطانية منشوراً إلى أهالي بغداد منعت بموجبه انعقاد المواليد ، وأنها ستنزل أشد العقوبة على القائمين بها ، وشكل مجلس عرفي للنظر في هذه الأمور [(١)] .

بعد إصدار هذا المنشور بدأت السلطة باستخدام القسوة والإرهاب ضد السكان في بغداد إضافة إلى أنها أصدرت بياناً أعلنت فيه منع التجول في بغداد بعد الساعة العاشرة مساءً [(٢)] . وبدأت بمحاكمة الوطنيين أمام محكمة عسكرية ،فقد حكم على أربعة أشخاص بالإعدام رمياً بالرصاص ، وعلى عشرين آخرين بالسجن لمدة خمس سنوات مع الأشغال الشاقة [(٣)] . وأصدر الميجر بولارد بيانا وفق المادة الثانية من قانون الأسلحة المؤرخ في ١٥ آب ١٩١٩ أشار فيه إلى عدم جواز حمل السلاح ، وامتلاكه والمتاجرة به [(٤)] .

وفي نهاية أيلول كان معظم مندوبي بغداد والزعماء الوطنيين قد اعتقلوا ونفوا أو فروا إلى منطقة الفرات وقد كانت تلك ضربة عنيفة توجهها السلطة المحتلة نحو الحركة الوطنية في بغداد [(٥)] .

من خلال ما تقدم يتبين لنا الدور البارز الذي قام به زعماء الحركة في بغداد وهم يمثلون النخبة المثقفة في المجتمع العراقي ، إذ يتركز عدد كبير من هؤلاء في بغداد ، لذا سعت السلطة المحتلة بكل الوسائل للحد من نشاط هذه الفئة ، فكانت السلطة تعي تماماً الدور الذي تلعبه بغداد في قيادة وتوجيه الجماهير في مختلف أنحاء البلاد ولذلك شددت من قبضتها العسكرية على المدينة . لذلك يذكر ويلسن في كتابه (بلاد ما بين النهرين) يقول : ((كانت سياسة المقر

---

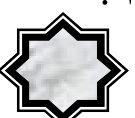
(١) جريدة العراق ، العدد ٦٣ ، ١٣ آب ١٩٢٠ .

(٢) جريدة العراق ، العدد ٦٥ ، ١٦ آب ١٩٢٠ .

(٣) أسماء المحكومين نشرتها جريدة العراق ، العدد ٦٥ ، ١٦ آب ١٩٢٠ .

(٤) نص بيان الميجر بولارد ، انظر جريدة العراق ، العدد ٦٦ ، ١٧ آب ١٩٢٠ .

(٥) وميض نظمي ، المصدر السابق ، ص ٣٧١ .



العام سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٢٠ وما بعدها منصبة على أن يستقر في بغداد أكبر عدد من القطعات والضباط والجنود ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا)) [١] .

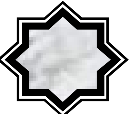
سادساً – موقف أهالي بغداد من شكل الحكم :

١– تشكيل الحكومة المؤقتة :

شعرت الحكومة البريطانية بأن الحكم المباشر في العراق غير مجد ، لاسيما بعد الثورة التي عمت مدن العراق كافة تقريباً وكلفت بريطانيا خسائر كبيرة في الأرواح والأموال لذلك أدرك فريق من الساسة البريطانيين أن مصالحهم في العراق يمكن تامينها دون حاجة إلى حكمه حكماً مباشراً ، وكانوا يرون أن من مصلحة بريطانيا أن تتكون دولة عربية في العراق ، لأن هذه الدولة ، بحكم الضرورة ستكون تحت السيطرة البريطانية إلى أمد بعيد [٢] .

(١) أرنولد ولسن ، بلاد ما بين النهرين ، ج٢ ، ص ٣٧ .

(٢) البزاز ، المصدر السابق ، ص ١١٤ – ١١٥ .



لذلك كانت سياسة الحكومة البريطانية تستدعي إرسال شخص له خبرة في معالجة الموقف في العراق ، وقد كان برسي كوكس الشخص الأمثل من وجهة نظر بريطانيا [١] . ومن خلال البيان الذي صدر في ١٧ حزيران ١٩٢٠ ، فوضت الحكومة البريطانية السر برسي كوكس مهمة تشكيل حكومة وطنية في العراق ، وسن القانون الأساس بعد مشاورة أهالي العراق [٢] . وفي ٢٧ آب أبرقت وزارة الخارجية البريطانية إلى الحاكم العام في الهند وأعلمته بقرار الحكومة البريطانية تكليف برسي كوكس لتسلم مهام منصبه كمندوب سامي في العراق ، وأشارت البرقية إلى مغادرة كوكس لندن متوجها إلى العراق في ٢٦ آب [٣] . وقد انتهت وظيفة السر أرنولد ويلسن وخرج من بغداد يوم ٢٢ أيلول ١٩٢٠ وقد التقى بالسر برسي كوكس في البصرة بعد وصول الأخير إليها في الأول من تشرين الأول . وقد تقلد كوكس منصب المندوب السامي لدى العراق في ٥ تشرين الأول ، وتحرك في اليوم نفسه بعد الظهر من البصرة قاصداً بغداد [٤] . وقد وصل مساء يوم ١١ تشرين الأول وكان في استقباله جمع كبير من موظفي الحكومة وعدد من وجهاء بغداد [٥] .

وبعد أيام من وصول كوكس وتحديدا يوم ١٤ تشرين الأول دعا العلماء والأشراف ورجال إدارة بغداد إلى مواجهته ، حيث تطرق عند اجتماعه بهم إلى تشكيل الحكومة العراقية ، وأنه عازم على تأليف حكومة مؤقتة للعراق الآن إلى أن تسكن القلاقل [٦] . وفي ٢١ تشرين الأول جمع برسي كوكس مجلسه الاستشاري الذي ضم كل من السر بونام كارتر ، والكولونيل هاول ، والكولونيل سليتر ، والميجر بولارد ، والمستر فلبي، والمس بيل ، وعرض على المجلس مشروعه مستندا إلى بلاغ ١٧ حزيران السابق الذكر في تنفيذ السياسة المقررة وأنه يرى أن تؤلف

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

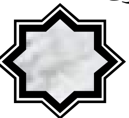
(٢) تمت الإشارة للبيان في هامش رقم (٢) ص ١٣٤ .

(3)W.O : 32/540/5745 . X/N 02205.D1, PP8-9.

(٤) البصير ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٤٧ .

(٥) جريدة العراق ، العدد ١١٢ ، ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ . جريدة الشرق ، العدد ٢٩ ، ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ .

(٦) جريدة العراق ، العدد ١١٥ ، ١٥ تشرين الأول ١٩٢٠ .



حكومة مؤقتة ، وأنه قرر الاستعانة بالسيد عبد الرحمن الكيلاني (نقيب أشراف بغداد) ليوليه رئاسة هذه الحكومة (١) .

وبعد موافقته دعا الكيلاني عدداً من رجالات العراق لتقلد مناصب وزارية في حكومته المؤقتة وقد نسب أن يكون التأليف على الوجه التالي :

١- وزارة الداخلية : طالب النقيب .

٢- وزير الدفاع الوطني : جعفر العسكري (كان الحاكم العسكري لولاية حلب سابقا وصل بغداد في ٢٢ تشرين الأول)

٣- وزير المالية : ساسون حسقيل ٤- وزير العدلية : حسن الباجه جي .

٥- وزير الأوقاف : مصطفى الآلوسي .

٦- وزير المعارف : عزت باشا (أسندت إليه بعد ذلك وزارة النافعة وعين بدله محمد مهدي الطباطبائي .

٧- وزير التجارة : عبد اللطيف المنديل .

٨- وزير النافعة : محمد علي فاضل الموصلي (٢) .

وهناك جماعة ألحقوا بهذه الحكومة على أن يكونوا وزراء بلا وزارات (٣) . وبالنسبة لوزارة العدلية فإن حسن الباجه جي قد رفض تقلد منصب هذه الوزارة ، فُعرض بعد ذلك على مصطفى الآلوسي الذي تقلد منصب وزارة الأوقاف فقبل هذا المنصب الجديد . وقد أسندت وزارة الأوقاف إلى عبد المجيد الشاوي (رئيس بلدية بغداد)وقبلها أيضاً (٤) .

وبعد أن نُشرت أسماء الوزارة في جريدة العراق وذكرت التعديلات التي جرت أذاع ديوان المندوب السامي منشوراً دعا فيه سكان المناطق المضطربة إلى الخضوع والخلود إلى السكينة ، وأعلن المنشور أن المندوب السامي دعا السيد عبد الرحمن النقيب إلى تأليف مجلس وزاري برئاسته

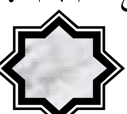
---

(١) الحسني ، المصدر السابق ، ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .

(٢) جريدة الشرق ، العدد ٤٣ ، ٢٨ تشرين الأول ١٩٢٠ . جريدة العراق ، العدد ١٢٥ ، ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠ .

(٣) الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، صيدا ، مطبعة العرفان ، ١٩٣٥ ، ج١ ، ص١٩٥.

(٤) جريدة العراق ، العدد ١٢٩ ، ١ تشرين الثاني ١٩٢٠ .



حبا بالوطن [١] . ومن خلال منشور آخر شرح السر برسي كوكس وظائف مجلس الوزراء للحكومة المؤقتة [٢] .

ضمن الجلسات التي كان يعقدها مجلس الوزراء نوقشت مجموعة من القضايا منها العلاقات بين الوزراء والمستشارين . ومن القضايا التي عرضت على المجلس في أيامه الأولى هي :

١- عودة المنفيين من جزيرة هنجام الذين أُبعدوا بسبب ثورة ١٩٢٠ [٣] .

٢- عودة الضباط العراقيين من سوريا [٤] .

٣- تأسيس الإدارة وتنظيمها بالموظفين الراقيين .

٤- تهيئة مشروع قانون الانتخاب .

٥- تهيئة مشروع تأسيس الجيش العراقي .

وقد قرر مجلس الوزراء إعادة المنفيين وعلى رأسهم الشيخ أحمد الداود بعد أن أخذ منهم تعهد بأن يسلكوا مسلك صدق وأمانة إزاء الحكومة المؤقتة إلى أن يسن المؤتمر الوطني دستور العراق [٥] .

وبعد أن وافق مجلس الوزراء على عودة المنفيين أصدر المندوب السامي منشوراً أعلن فيه عفواً عاماً عن السياسيين وشمل المنشور الأشخاص الذين اشتركوا في ثورة العشرين ، واستثنى البعض من هذا العفو [٦] .

---

(١) نص المنشور : أنظر ، جريدة العراق ، العدد ١٣٤ ، ٨ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

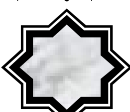
(٢) نص المنشور نشرته جريدة العراق ، العدد ١٤٠ ، ١٥ تشرين الثاني ، ١٩٢٠ .

(٣) يمكن الاطلاع على قوائم بأسماء الأشخاص الذين وافقت الوزارة على إعادتهم من منفاهم في جريدة العراق ، العدد ١٧٥ ، ٢٨ تشرين الأول ١٩٢٠ ، وجريدة الاستقلال ، العدد ٤٦ ، ٩ شباط ١٩٢١ .

(٤) كانت مديرية السجل العام في وزارة الدفاع تزود جريدة العراق بأسماء العسكريين الذين يصلون الوطن ونشرت أسماء العائدين على إعداد صفحاتها ومن تلك الأعداد : العدد ٢٠٥ في ١ شباط ١٩٢١ ، ونشرت (٧٧) اسماً . العدد ٢٢٤ ، ٢٣ شباط ١٩٢١ ، نشرت ١٤٦ اسماً ، العدد ٢٢٩ ، ١ آذار ١٩٢١ ، نشرت ١٣ اسماً .

(٥) جريدة العراق ، العدد ١٦٥ ، ١٥ كانون الأول ١٩٢٠ .

(٦) نص المنشور أنظر : جريدة العراق ، العدد ٣٠٦ ، ٣٠ آيار ١٩٢١ .



ويبدو أن نفوذ المندوب السامي كان واضحا من خلال سيطرته على كل الأمور كونه الرئيس الأعلى للحكومة وإليه ترجع الموافقة على كل القرارات أو رفضها وحسب ما تقتضيه مصلحة الحكومة البريطانية ، حتى أن بعض بيانات الحكومة العراقية كانت تبدو ، كأنها من صياغة المندوب السامي ولكنه استخدم تلك الحكومة كواجهة ووسيلة لامتصاص نقمة الثائرين .

ومن أبرز الأمثلة على قوة نفوذ السلطة البريطانية قيامها بإخراج أقوى أعضاء مجلس الوزراء ليس من الوزارة فقط بل من الوطن أيضاً . ذلك هو السيد طالب النقيب . وكان هدف تأسيس الحكومة المؤقتة الحفاظ على السيادة البريطانية في العراق ، ومما يؤكد عدم جدية المستعمرين في تأسيس الحكومة المؤقتة ، أنهم لم يفكروا حتى بتأسيس وزارة للخارجية .

٢- التنافس على العرش :

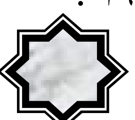
كانت خطة برسي كوكس ومستشاريه من البريطانيين تقضي بالتمهيد لاختيار ملك لعرش العراق ، ومن الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في وجهات النظر في من عسى أن يكون ملكاً . وقد كان هناك عدد من المرشحين عراقيين وغير عراقيين ، وكان لكل مرشح اتباع يتفاوتون بتفاوت مراكزهم وإمكانياتهم .

فأما المرشحون المحليون ربما كان السيد طالب النقيب أبرزهم ، وقد حاول السيد طالب أن يستغل مركزه بوصفه وزيراً للداخلية في الحكومة المؤقتة وصار يبذل المال بسخاء في عرقلة انتخاب فيصل . يذكر طالب مشتاق أن جريدة الاستقلال كانت يومئذ بمثابة منبر للدعاية للأمير فيصل ، ولا أزال أتذكر السيد طالب النقيب وقد طلب من صاحب الجريدة المرحوم عبد الغفور البدري ، وعرض عليه اثني عشر ألف روبية قائلاً له : لا أريد أن تقوم بأية دعاية لشخصي ، وإنما الذي أطلبه لقاء هذا المبلغ هو أن لا تذكر اسم الأمير فيصل في جريدتك فرفض البدري هذا العرض [١] . وبعد أن سافر المندوب السامي لحضور مؤتمر القاهرة وذلك بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٢١ [٢] ، بدأ النقيب بجولة في بعض مدن العراق طاف خلالها في الكوت

---

(١) طالب مشتاق ، أوراق أيامي ، ط٢ ، بغداد ، الدار العربية للطباعة ، ١٩٨٩ ، ج١ ، ص ٩٦ .

(٢) جريدة العراق ، العدد ٢٢٥ ، ٢٤ شباط ١٩٢١ .



والعمارة ، والناصرية والديوانية والنجف والبصرة للقيام بدعاية سياسية يكسب من ورائها العديد من الأنصار (١) .

ويذكر إيرلاند أن طالب النقيب اعترف في شباط ١٩٢١ للمندوب السامي بتوقعه أن يصبح أميراً على العراق ، وأن ذلك سينجز في خريف السنة ذاتها (٢) .

وبعد عودة المندوب السامي من مؤتمر القاهرة في ٩ نيسان (٣) ، اصدر بيانا أعلن فيه إقالة طالب النقيب ، وإخراجه من بغداد ، وقد غادر بغداد يوم ١٦ نيسان (٤) . ولم يكن هذا القرار الوحيد الذي أصدره المندوب السامي فقد أصدر قراراً آخر يقضي بالاستغناء عن مستشار وزارة الداخلية سنت جون فلبي وسلم المنصب إلى المستر تومسون (٥) . ويبدو أن فلبي قد انحاز إلى جانب النقيب في توجهاته وبدأ يتصرف بعيداً عن طموح ومصالح الحكومة البريطانية .

أما المرشح الثاني فهو السيد عبد الرحمن النقيب ، فقد كانت له ميزات من وجهة نظر بريطانيا ، ولكن مرضه وشيخوخته ، وعدم وجود شخص لائق يخلفه بعد وفاته جعلت السلطات البريطانية تصرف النظر عنه (٦) .

وقد كانت المس بيل لا ترغب بأن يرشح عبد الرحمن النقيب على رأس الدولة العراقية ، إذ تقول عنه في إحدى برقياتها إلى اللورد هاردنك : ((... أن الشخص الحالي الذي يشغل كرسي النقيب لم يسبق أن اشترك أو أسهم بأي نشاط يذكر في الشؤون العامة للبلد ... علاوة على كونه طاعن في السن ... وعليه لا زلت عند رأيي واعتقادي بأنه من المستحسن إناطة الحكم الرمزي والاسمي إلى الشريف (تقصد الشريف حسين) ...)) (٧).

---

(١) خيري أمين العمري ، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث ، ط١ ، بغداد ، مطبعة دار القادسية ، (د . ت) ، ص ٤٩ .

(٢) إيرلاند ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٣) جريدة العراق ، العدد ٢٦٣ ، ٩ نيسان ١٩٢١ .

(٤) أسباب الإقالة وردت ضمن بيان المندوب السامي أنظر : جريدة العراق ، العدد ٢٧١ ، ١٩ نيسان ١٩٢١ .

(٥) سليمان فيضي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩ . جريدة دجلة ، العدد ١٢ ، ٧ تموز ١٩٢١ .

(٦) البزاز ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(7)F. O : 371/605/3407 . X/M 07739 . D2 , p . 5 .



ومن المرشحين الآخرين عبد الهادي العمري ، من الأسرة العمرية في الموصل ، وهذا لم يكن له أنصار يسندونه خارج الموصل أو في العراق كله (١) .

أما المرشحون من غير العراقيين فكان هناك نجل آخر سلاطين آل عثمان (برهان الدين) حيث كانت تدعو له بعض الأوساط المشبعة بالميول العثمانية ، ومن غير الطبيعي أن يجد مناصرة العرب من سكان العراق ، أو من البريطانيين الذين يسعون لقطع الصلة بين العراق والأتراك (٢) .

ومن المرشحين الآخرين كان هناك أمير الأحواز وعبد العزيز بن سعود ، والأغا خان ، وفيما يخص أمير الأحواز فإنه يتمتع بتأييد واسع في حين أن ترشيح ابن سعود لم يكن وارداً لأسباب دينية . أما الأغا خان فإنه غير مرغوب فيه على اعتبار أنه ليس عربي (٣) .

وبالنسبة للصحافة العراقية الصادرة في ذلك الوقت فقد وضحت الاتجاهات المختلفة التي كانت تسود الرأي العام وتتقاذفه نحو هذا المرشح أو ذاك ومن بين سطور المقالات التي كانت تنشرها تلك الصحف يمكن التعرف على الاتجاهات السياسية السائدة التي كانت تعبر عنها فبعضها كان يبدي ميلاً إلى أن العراق للعراقيين ، وتحاول الترويج لها في بعض المناسبات والمواقف ، وأولى هذه الصحف صحيفة العراق ففي عددها الصادر في ٥ أيار نشرت مقالة بعنوان (حول عرش العراق) بإمضاء (عراقي مفكر) وهذا بعض مما جاء فيها : ((إن العراق للعراقيين يلزم أن يرأس هذا القطر المحبوب أحد أبنائه وهو مسقط رأسهم ووطنهم الأغر ...)) (٤) . وما أن أعلنت جريدة العراق هذه الكلمة حتى رد عليه أحد أنصار الهاشميين بإمضاء (متتبع) ومما جاء في مقالته : ((... وسيعترف العرب دائماً للملك حسين بأنه كان الوالد الشفوق والمنقذ الغيور وسيحتفظون بجميله إلى الأبد)) ، وفي العدد نفسه نشرت مقالة أخرى بإمضاء (رصافي) ويبدو أنه الشاعر معروف الرصافي فقد أيد الرأي الذي ذهب إليه كاتب

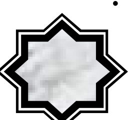
---

(١) أحمد رفيق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ – ١٩٣٢ ، بغداد ، دار الطليعة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣ .

(٢) البزاز ، المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

(٣) د . رجاء حسين الخطاب ، عبد الرحمن النقيب (حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه) ، ط١ ، بغداد ، الدار العربية للطباعة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٧ .

(٤) جريدة العراق ، العدد ٢٨٥ ، ٥ أيار ١٩٢١ .



مقالة (عراقي مفكر) ، وهذا بعض مما جاء في المقال : ((قد قرأت في عدد ٢٨٥ من جريدتكم مقالاً وافياً بعنوان (حول عرش العراق) وبعد أن قرأته مع التدقيق رأيت أن صاحبه قد ارتأى رأيا صائباً وأصاب المرمى ٠٠٠ نعم إن الوطن بأمس الحاجة إلى واحد من أبنائه الذين تتوفر فيهم العلم والدراية وسعة الاطلاع على أحواله واحتياجاته ٠٠٠)) (١) .

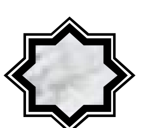
وأما جريدة دجلة التي اتُهمت بالميل نحو النظام الجمهوري فقد أسرعت تكذب ما نسب إليها من الاتهام فذكرت في مقالها الافتتاحي ، الذي حمل عنوان (نحن والمغالون) بإمضاء (السعدي) ما يلي : ((٠٠٠ فإنا نعلن على رؤوس الأشهاد بأنا نبرأ إلى الله مما يلصقه بنا المفترون .فإنا نريد ملكاً يتبوأ عرش العراق وفي الوقت نفسه نريد أن يكون الملك مقيداً بقيود يكون وضعها في صالح البلاد . نريد أن نقيد العرش وصاحب العرش بقيود تمنعه من التطاول على الأمة واغتصاب حقوقها . نريد أن نقيده قبل أن يستبد بالشعب ونريد أن تكون بلاد العراق بلاداً حرة لا يحكم فيها غير القانون ٠٠٠)) (٢) ، ويبدو أن هذه الصحيفة كانت جريئة في طرح الأفكار التي كانت تؤمن بها .

أما جريدة الاستقلال فقد نشرت مقالا بعنوان (أراجيف وأكاذيب) تساءلت فيه عن الخبر الذي نشرته المقطم في عدد ٩٦١٦ الصادر في ٢ تشرين الثاني ١٩٢٠ عن مراسلها في بيروت يقول فيه : ((بلغني ممن أثق به أن وفداً عراقياً مؤلفاً من وجهاء العشائر والأشراف في العراق قدموا سوريا ليعرضوا على الأمير سعيد عرش العراق . وعلمت أن هؤلاء الزعماء يسعون جهد طاقتهم لدى الدوائر البريطانية في سوريا ليبلّغوا مطلبهم هذا إلى الحكومة البريطانية في لندن . وقال لي أحد هؤلاء الزعماء أن العشائر التي ثارت على السلطة البريطانية ستخلد إلى السكينة إذا آنست من الحكومة المنتدبة ميلا إلى إنالتهم هذه البغية نظراً إلى ما للأمير سعيد من المكانة والنفوذ في قلوب العراقيين)) . وقد علقت الصحيفة متسائلة من هو هذا الأمير سعيد ؟ إذ ذكر كاتب المقال : إننا أخذنا نطوف في أندية العاصمة ومجتمعاتها وكل فرد نصادفه نسأله عن هذا الأمير فيكون جوابه الوحيد (لا أدري)وكدنا أن نقدم جائزة لمن يُرشدنا إلى هوية هذا الأمير لولا أن أتاح لنا الحظ بعض إخواننا الدمشقيين فأخبرنا أنه سمع بوجود رجل في الشام يدعى

---

(١) جريدة العراق ، العدد ٢٨٧ ، ٧ أيار ١٩٢١ .

(٢) جريدة دجلة ، العدد ٩ ، ٤ تموز ١٩٢١ .



بالأمير سعيد الجزائري . وذكر الكاتب في نهاية مقالته : ((... فبعد هذه الدلائل الواضحة نرى بعض المغرضين الذين لا علاقة لهم بهذا القطر المحبوب يبذلون قصارى جهدهم في ترشيح زيد أو عمرو إلى سرير الملك في عاصمة الرشيد كأنه قد أصبح مُلكاً تائهاً فهم يغتنمون الفرصة لاختطافه ...)) (١) .

بعد أن ذكرت بعض الآراء والاتجاهات التي كانت سائدة في تلك الحقبة والمتعلقة بمسألة العرش العراقي ، يتبين أن الأمير فيصل أصبح أرجح المرشحين على الساحة وقد تبلور الاتجاه نحو الأمير فيصل في مؤتمر القاهرة الذي عقد في ١٢ آذار ١٩٢١ .وقد أصبح مفهوماً أن البريطانيين يرجحون ترشيح الأمير فيصل (٢) ، ولو أن الرغبة في تنصيب فيصل بدأت منذ آب ١٩٢٠ عندما اقترح الحاكم المدني في العراق : ((بأن القلاقل والاضطرابات الحالية في العراق ربما ستهدأ عن كان بالإمكان تنصيب الأمير فيصل على رأس الإدارة العراقية التي ستؤسس في ذلك القطر ... وسيكون الأمير فيصل من نواحي عديدة المرشح المناسب وذلك لاطلاعه على الأفكار الغربية وولائه لبريطانيا العظمى ...)) (٣).

ويذكر الأدهمي من خلال بحثه الذي حمل عنوان (مفاهيم خاطئة في تدوين تاريخ العراق خلال الانتداب البريطاني) أننا يجب أن نكون حذرين في أن مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ قد قرر أن يكون فيصل ملكا على العراق ، لكي لا نعطي إيحاءً بأن الاختيار كان بريطانياً ، ويذكر أن اختيار النخبة السياسية العراقية هو الذي شجع رغبة بريطانيا وأعطاها الدعم الذي باركه مندوبو الحكومة العراقية المؤقتة في مؤتمر القاهرة (٤) .

أمرت الحكومة البريطانية السر برسي كوكس أن يعمل كل ما في وسعه في سبيل ترشيح فيصل لعرش العراق وقرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة في ٢٢ آذار ١٩٢١ عودة برسي

---

(١) جريدة الاستقلال ، العدد ٢٣ ، ١٧ كانون الأول ١٩٢٠ .

(٢) خيري أمين العمري ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(3)W. O : 32/540/5745 , X/N 02205 . D2 , p. 1 .

(٤) د . محمد مظفر الأدهمي ، مفاهيم خاطئة في تدوين تاريخ العراق خلال الانتداب البريطاني ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٦ ، حزيران ، ١٩٩٣ ، ص ٨٠ .



كوكس بأسرع ما يكون إلى بلاد ما بين النهرين لتهدئة الحال السياسية في العراق والتهيأة لقبول ترشيح فيصل لعرش العراق ، وإخبار فيصل بأنه سيقبل ترشيحه من شعب العراق [١] .

٣- إجراء الاستفتاء وتتويج الأمير فيصل :

بعد أن قرر مؤتمر القاهرة إسناد عرش العراق للأمير فيصل أبرقت الحكومة البريطانية إلى الحجاز في الأسبوع الأول من شهر حزيران ، طالبة سفر الأمير فيصل إلى العراق ، فأبحر بالباخرة البريطانية (نورث بروك) من جدة في ١٢ حزيران ١٩٢١ وتحرك نحو البصرة [٢] . وعلى أثر سفر الأمير فيصل أرسل الشريف حسين برقية إلى عبد الرحمن النقيب في ١٧ حزيران يخبره سفر نجله الأمير فيصل ، وقد رد النقيب على هذه البرقية في ١٩ حزيران أعرب فيها عن سروره وابتهاجه بهذه البشارة [٣] .

كان يرافق الأمير فيصل على الباخرة البريطانية المستر كورنواليس ورستم حيدر وبعض الزعماء العراقيين ، وقبل وصول الباخرة المياه العراقية أبرق الأمير فيصل إلى عبد الرحمن النقيب وذلك بتاريخ ٢٢ حزيران يعلمه بها أنه سيصل البصرة صباح يوم الجمعة ، وقد رد النقيب أيضاً على هذه البرقية مرحباً بقدوم الأمير ومتمنياً له سلامة الوصول [٤] .

وصل الأمير فيصل البصرة في ٢٣ حزيران ١٩٢١فكان استقبالاً كبيراً ، وكان وفد من بغداد يضم ٦٠ رجلاً بينهم عدد من الوزراء قد وصل هذه المدينة لاستقبال الأمير ، ثم تحرك الأمير بعد ذلك على قطار خاص يقله إلى بغداد ، وكان سكان المناطق التي يمر بها يستقبلونه بمواكب فخمة [٥] . وفي اليوم المقرر لوصول الأمير عطلت مدارس العاصمة جميعها احتفاء بقدوم الأمير فيصل [٦] . وفي مساء يوم ٢٩ حزيران وصل موكب الأمير إلى بغداد ، وقد استقبلته هذه المدينة استقبالاً كبيراً وقد كتبت صحيفة لسان العرب : ((إنه لم تشهد بغداد منذ انقراض دولة بني العباس احتفالاً شائقاً بلغ من الأبهة والفخامة مثل ما بلغه الاحتفال الذي أقيم

---

(١) رجاء حسين خطاب ، المصدر السابق ، ص ٣١ – ٣٢ .

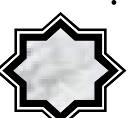
(٢) الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، ص ٤٢٧ – ٤٢٨ .

(٣) نص البرقيتين أنظر جريدة العراق ، العدد ٣٢٣ ، ١٩٢١/٦/٢١ .

(٤) نص البرقيتين أنظر جريدة العراق ، العدد ٣٢٦ ، ١٩٢١/٦/٢٤ .

(٥) البصير ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٨٠ .

(٦) جريدة دجلة ، العدد ٥ ، ٢٩ حزيران ١٩٢١ .



لمقدم سمو الأمير فيصل ...)) [١] . وقد كانت الطرق والشوارع وسطوح البيوت والبنايات بمئات الألوف من الناس محتفين بمقدم الأمير إلى العاصمة [٢] .

وبينما كان العراقيون منشغلين باحتفالاتهم بمقدم الأمير إلى العراق نشر المندوب السامي بلاغاً إلى عموم العراقيين أوضح فيه مكانة الأمير فيصل وعائلته باعتبارهم حلفاء للبريطانيين في الحرب ، وبّين أيضا ما ذهب إليه البعض بالرغبة في أن يكون الحكم في العراق جمهورياً ، أو عرض أمير تركي ، فبالنسبة للأمر الأول يقول كوكس أن درجة العراق من الرقي غير موافقة قطعاً لتأسيس جمهورية ، وأما الأمر الثاني فيما يخص عرض أمير تركي فهذا حل ليست الحكومة مستعدة لإفساح المجال له [٣] .

اجتمع مجلس الوزراء في دار رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب في يوم ١١ تموز ، فاقترح النقيب أن ينادي بالأمير فيصل ملكاً على العراق ، ويشترط أن تكون حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون [٤] . فلم ير المندوب السامي إلا أن يصدر بلاغاً في ١٦ تموز أشار فيه إلى أن مجلس الوزراء قد أرسل القرار إليه لأجل التصديق ، وأنه يرى وجوب استحصال تصريح مباشر من الأمة بموافقتها قبل أن يوافق المجلس على القرار المذكور ، وطلب في البلاغ من مجلس الوزراء أن يوعز إلى وزارة الداخلية بأن تتخذ الوسائل الإدارية للحصول على تعبير رسمي عن رغائب الشعب [٥] .

وبناء على طلب رئاسة مجلس الوزراء ، أصدرت وزارة الداخلية كتاباً إلى متصرفي الألوية لاستحصال مضابط بين الأهلين ببيعة الأمير فيصل [٦] . ولقد سبقت بيعة الأعظمية جميع

---

(١) جريدة لسان العرب ، العدد ٧ ، ١ تموز ١٩٢١ .

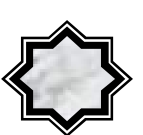
(٢) جريدة دجلة ، العدد ٦ ، ٣٠ حزيران ١٩٢١ .

(٣) نص البلاغ نشرته الصحف التالية ، جريدة العراق ، العدد ٣٣٦ ، ١٩٢١/٧/٦ . جريدة دجلة ، العدد ١١ ، ١٩٢١/٧/٦ . جريدة لسان العرب ، العدد ١١ ، ١٩٢١/٧/٦ . جريدة الفلاح ، العدد ٨ ، ١٩٢١/٧/٧ .

(٤) إيرلاند ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٥) جريدة دجلة ، العدد ٢٠ ، ١٩٢١/٧/١٧ . جريدة العراق ، العدد ٣٤٦ ، ١٩٢١/٧/١٨ جريدة لسان العرب ، العدد ١٨ ، ١٨ تموز ١٩٢١ ، جريدة الفلاح ، العدد ١٢ ، ١٧ تموز ١٩٢١ .

(٦) الحسني ، المصدر السابق ، ص ٤٣٩ .



مدن العراق وحتى قبل صدور بيان وزارة الداخلية ، فقد وكّلوا عنهم رئيس بلديتهم علي ظريف أفندي بإبلاغ الأمير فيصل البيعة التي أخذوها على عواتقهم للأمير بالملوكية على العراق [١] . وقد أكدوا بيعتهم مرة ثانية عندما اجتمعوا ليلة الأحد الموافق ١٩٢١/٧/٢٣ في جامع الإمام الأعظم ، وبحضور مدير الأعظمية جميل التكريتي [٢] . ونتيجة للبيعة التي أعلنها السيد محمد مهدي الخالصي بتاريخ ١٣ تموز ١٩٢١ فقد زيد على المضابط التي نظمت ببغداد بعض العبارات التي وردت في بيعة الخالصي وفيما يأتي نص بيعته : ((بسم الله الرحمن الرحيم . وبه ثقتي . الحمد لله الذي نشر لواء الحق على رؤوس الخلق فأيدهم بالنصر برياسة من حاز الشرف والفخر الملك المطاع الواجب له علينا الاتباع الملك المبجل عظمة مليكنا فيصل الأول دامت شوكته نجل جلالة الملك حسين الأول دامت دولته ، فأحكموا بيعته وابرموا طاعته واهتفوا باسمه مذعنين لحكمه ونحن ممن اقتفى هذا الأثر وبايعه في السر والجهر على أن يكون ملكاً على العراق مقيداً بمجلس نيابي منقطعاً عن سلطة الغير مستقلا معه بالنهي والأمر ولله الأمر)) .

٧ ذي القعدة ١٣٣٩هـ

الراجي محمد مهدي الخالصي [٣]

وفي ٢٥ تموز ١٩٢١ جرى التصويت في الكاظمية وحصل الاتفاق على المناداة باسم الأمير فيصل ملكا على العراق [٤] . وأثر الدعوة التي وجهها متصرف بغداد رشيد الخوجة لجمهور كبير من وجهاء جميع الطبقات في (سينما رويال) وقد حضر الاجتماع حوالي ٨٠٠ شخص في يوم ٢٨ تموز ١٩٢١ ، فقد قام بعض الحاضرين بإضافة شروط أخرى للبيعة [٥] .

---

(١) جريدة لسان العرب ، العدد ١٦ ، ١٤ تموز ١٩٢١ .

(٢) جريدة دجلة ، العدد ٢٧ ، ٢٥ تموز ١٩٢١ .

(٣) الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، ج١ ، ص ٢١٧ . جريدة لسان العرب ، العدد ١٨ ، ١٩٢١/٧/١٨ .

(٤) جريدة دجلة ، العدد ٢٩ ، ٢٧ تموز ١٩٢١ .

(٥) جريدة لسان العرب ، العدد ٢٨ ، ٢٩ تموز ١٩٢١ . جريدة الفلاح ، العدد ١٨ ، ٣١ تموز ١٩٢١ .

وقد ظهر من هذه الصيغة تأثير بيعة مهدي الخالصي التي نصت في البيعة على أن يكون فيصل ((مقيدا بمجلس نيابي منقطعاً عن سلطة الغير مستقلاً معه بالنهي والأمر)) [١] .
ووجه المتصرف بلاغاً آخر إلى السكان في لواء بغداد للاجتماع يوم الجمعة المصادف ٢٩ تموز ١٩٢١ في الأماكن التي حددها البلاغ للتصويت العام [٢] .

أما بالنسبة للطوائف والملل الأخرى في بغداد فقد بايع اليهود الأمير فيصل يوم الثلاثاء المصادف ٢٦ تموز ١٩٢١ في التوراة الكبير وقد خطب فيهم سليم أفندي معاون حاخام باشي وبيَّن اتفاق اليهود ، واجتماع كلمتهم على انتخاب الأمير فيصل لعرش العراق [٣] .
وأقامت جماعات الكاثوليك أيضا في كنيسة الكلدان يوم السبت الموافق ٣٠ تموز ١٩٢١ حفلة لتكريم الأمير فيصل ، وقد خطب المطران يعقوب حنه رحب فيها بالأمير فيصل وأعقبه يوسف غنيمة بخطاب مرحباً بالأمير ، وقد أجمع الحاضرون على مبايعة الأمير ملكا دستوريا على العراق [٤] . وللأرمن أيضاً كان لهم يوم مخصص للاحتفاء بالأمير فيصل والذي حضر حفلهم الذي أقاموه في كنيستهم ، وكان حاضراً الحفل المس بيل ، وقد أجمع الحاضرون على مبايعة الأمير فيصل ملكاً على العراق [٥] .

أسفرت عملية التصويت عن أكثرية ٩٦% بجانب فيصل وقد أشرف عليها الحكام السياسيون في الألوية والمستر كورنواليس ، وبعد أن تمت عملية التصويت اتخذت الإجراءات اللازمة لتتويج الأمير فيصل ، ووصلت فجأة برقية من وزارة المستعمرات إلى المندوب السامي في منتصف آب تشير إلى أن فيصل يجب أن يصرح في خطاب التتويج بأن السلطة النهائية في العراق تقع على يد المندوب السامي . فاحتج فيصل مصرحاً بأنه سوف لا يكون في وسعه

---

(١) غضب الأمير فيصل والمندوب السامي لوضع الإضافة في البيعة وقررا معاقبة متصرف لواء بغداد لأنه سمح بوضع هذه الإضافة . حسين جميل ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٢) جريدة دجلة ، العدد ٣٠ ، ٢٨ تموز ١٩٢١ . جريدة لسان العرب ، العدد ٢٧ ، ٢٨ تموز ١٩٢١ .

(٣) المس بيل ، العراق في رسائل المس بيل ، ص ٣٢٢ . جريدة لسان العرب ، العدد ٢٦ ، ٢٧ تموز ١٩٢١ .

(٤) جريدة الفلاح ، العدد ١٨ ، ٣١ تموز ١٩٢١ . كذلك أشارت المس بيل إلى هذا الحفل في رسائلها ، العراق في رسائل المس بيل ، ص ٣٢٨ .

(٥) المس بيل ، المصدر نفسه ، ص ٣٣١ . جريدة لسان العرب ، العدد ٣١ ، ١٩٢١/٨/٢.

الاستمرار في الحكم إذا طلب إليه الإدلاء بمثل هذا التصريح ، وقال أن المحادثات التي جرت معه في لندن كانت على أساس عقد معاهدة تحل محل الانتداب وعلى أن سلطانه وكرامته كملك سوف يحافظ عليهما .

وقد أضطر المندوب السامي إلى أن يبرق إلى وزارة المستعمرات معرباً لها عن التأثير السيء الذي سيحدثه هذا التصريح ، وعدلت وزارة المستعمرات عن رأيها ببرقية عاجلة قبل يوم التتويج بأيام قلائل (١) .

وفي يوم ٢٣ آب ١٩٢١ أقيمت حفلة التتويج في الساعة السادسة صباحا حيث ظهر الأمير فيصل وبصحبته السر برسي كوكس ، وقد كان عدد الحاضرين قد قارب ١٥٠٠ شخص بين وزير ووجيه ورؤساء طوائف وحاخامات ، وبعد أن جلس الحاضرون قام حسين أفنان سكرتير رئيس الوزراء بتلاوة منشور المندوب السامي . وقد جاء في المنشور أنه أجري التصويت العام وأسفرت نتيجته عن أكثرية لـ٩٦% من مجموع المنتخبين . ولما انتهى الخطاب أطلقت ٣١ إطلاقة مدفع إيذاناً وإعلاناً لتتويج جلالة الملك ، وقد أعقب منشور المندوب السامي السيد محمود النقيب فقرأ دعاء نيابة عن والده رئيس الوزراء ، وبعدها نهض الملك فيصل وألقى على الحاضرين خطاباً شكر الأمة العراقية على ولائها السخي ثم أطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة (٢) .

وأثر الحفل الذي وصل نبأه إلى لندن أرسل الملك جورج الخامس إلى الملك فيصل برقية في ٢٣ آب يهنؤه بمناسبة جلوسه على عرش العراق ، فرد الملك فيصل ببرقية بتاريخ ٢٥ آب ١٩٢١ شاكراً له ثقته (٣) . ومن ذلك اليوم (٢٣ آب ١٩٢١) بدأ الحكم الملكي في العراق .

---

(١) إيرلاند ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(٢) جريدة لسان العرب ، العدد ٤٤ ، ٢٤ آب ١٩٢١ . جريدة الفلاح ، العدد ٢٦ ، ٢٣ آب ١٩٢١ . جريدة دجلة ، العدد ٤٩ ، ١٩٢١/٨/٢٤ .

(٣) نص البرقيتين نشرتها الصحف الآتية : جريدة الفلاح ، العدد ٢٨ ، ٢٨ آب ١٩٢١ . جريدة دجلة ، العدد ٥٢ ، ٢٨ آب ١٩٢١ . جريدة لسان العرب ، العدد ٤٧ ، ٢٧ آب ١٩٢١ .

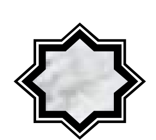


الخاتمة

أظهرت هذه الدراسة سير الأوضاع العامة في مدينة بغداد منذ دخول القوات البريطانية للمدينة في ١١ آذار ١٩١٧ ، وحتى عام ١٩٢١ .

لقد تابعنا في الفصل الأول كيف تم للبريطانيين احتلال المدينة نتيجة لإخفاق قيادة الفيلق السادس العثماني من القيام بمهامه على الوجه الصحيح في الدفاع عن العراق ، إذ ظهرت القيادة العسكرية أنها تابعة مطيعة لأوامر القيادة العسكرية الألمانية ، وبالتالي أدى ذلك إلى إهمال جبهة العراق واعتبارها جبهة ثانوية بالنسبة للجبهات الأخرى .

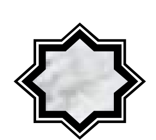
وتابعنا في الدراسة أيضا سير الإدارة البريطانية لمدينة بغداد وكيف فرضت السلطة البريطانية وضعاً عسكرياً على المدينة حينما شكلت حكومة بغداد العسكرية المؤلفة من العديد من ضباط القوات البريطانية وعلى رأس هذه الحكومة كان (حاكم بغداد العسكري والسياسي) . واستمرت هذه الحكومة تمارس سلطتها الإدارية العسكرية حتى كانون الأول ١٩٢٠ بصدور بيان إلغاء وظيفة الحاكم العسكري والسياسي لمدينة بغداد . وتتبعنا كذلك التأثير الهندي في السياسة البريطانية بصورة واضحة إذ عدت الهند مركزاً للتجربة والخبرة التي حاولت بريطانيا تطبيقها في المراكز الجديدة التي احتلتها ، فكانت كل الإدارات والتكوينات الجديدة والقوانين تتبع نظاماً هندياً وحتى العملة الهندية (الروبية) أصبحت



عملة البلد المحتل . وهذا يرجع إلى أن بريطانيا كانت تحاول ربط العراق بالهند وجعله تابعاً لها . غير أن الموقف الداخلي وعدم تقبله لكثير من هذه التكوينات الجديدة حدا بالسلطة المحتلة بعد ذلك أن ترجع أحيانا إلى القوانين العثمانية القديمة كطريقة أولى لتبديلها إلى قوانين جديدة بما يتلائم مع الوضع الداخلي ، إلى أن تكونت النظم الداخلية التي استقرت بعدئذ عند تأسيس الحكومة العراقية .

وقد تناولنا في الفصل الثالث الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في بغداد ، وما قامت به السلطة البريطانية من خطوات في مجال تقديم الخدمات التعليمية والصحية والثقافية ، لتتقرب من السكان المحليين وتظهر نفسها على أنها تعمل لخدمة المجتمع بينما كانت أكثر هذه الخدمات تعود أولاً بالفائدة إلى السلطة المحتلة قبل أن تعود إلى السكان . أما الأوضاع الاقتصادية والتي تضمنها الفصل الثالث أيضا فإن السلطة البريطانية طبقت وضعاً اقتصادياً على مدينة بغداد تمشياً مع متطلبات الاحتلال إذ فرضت ضرائب ورسوم باهظة على السكان متخذة من نظام الالتزام وسيلة لجمع هذه الرسوم . ولم يسلم من هذه الرسوم أي صاحب مهنة أو حرفة في بغداد ، وفرضت حصاراً اقتصادياً واجتماعياً على المدينة منذ عام ١٩١٧ بحيث أصبحت حركة السكان من وإلى بغداد تتم بواسطة بطاقات خاصة (بسبورت) . أما مجال التجارة فقد ناله قسط كبير من ذلك الحصار بحيث منعت سلطات الاحتلال استيراد ، وتصدير أكثر أنواع البضائع وشلت حركة السوق ، وأصدرت تسعيرات للمواد الغذائية كي تضمن توفر المواد التموينية لقطعاتها العسكرية وبأسعار زهيدة . وحتى بالنسبة للزراعة فقد بدأت ترد إلى بغداد من لندن والهند لجان لإجراء التجارب بزراعة أنواع عديدة من المحاصيل الزراعية وخاصة المحاصيل النقدية ، التي لاقت نجاحاً كبيراً مثل القطن . لذلك سعت السلطة البريطانية إلى نشر هذه الزراعة دعما لاقتصادها .

وبالنسبة للفصل الرابع فقد تتبعنا الحركة الوطنية في بغداد لما لهذه المدينة من دور مميز وقيادي للأحداث الخاصة في ثورة (حزيران ١٩٢٠) . حيث لم يولها البعض استحقاقها فضلاً من أننا نجد في بعض الكتابات تحويفاً مقصوداً في تجاهل دور بغداد

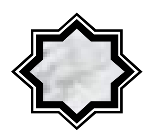


وقادة الحركة الوطنية فيها . لذلك ارتأينا أن لا نعتمد على المصادر غير الموضوعية والفاقدة للأمانة العلمية والتي تحاول أن تسقط من كان لهم الفضل في إيقاظ الحس الوطني والقومي بين السكان .

إن احتفالات بغداد الدينية كان لها أثر كبير ومميز على بقية أجزاء العراق ، وقد سرت عدوى هذه الحفلات إلى النجف عن طريق بعض رؤساء العشائر مثل قاطع العوادي فهو عندما عاد إلى النجف في أواخر رمضان اتفق مع بعض قادة الحركة الوطنية هناك على إقامة اجتماع سياسي تحت ستار التعزية الحسينية ، وقد أقيم الاحتفال في جامع الهندي .

ويعود لأهل بغداد الفضل في جمع كلمة الأهالي من كافة الطوائف والملل فقد ظهر واضحا من خلال الاحتفالات الدينية مدى تماسك الطائفتين المسلمتين الشيعية والسنية والعمل سوية على الوقوف بوجه السلطة المحتلة ، فضلاً عن المبادرة التي قدمها مسلمو بغداد إلى الطائفة النصرانية بحضور احتفالهم عيد الجسد ، الذي سعت السلطة المحتلة من خلاله إلى تصارع الأديان فيما بينها متخذة من سياسة (فرق تسد) وسيلة لذلك .

إن أسلوب الحكم المباشر جوبه بالرفض الجماعي من أبناء الشعب العراقي مما اضطر الإدارة البريطانية إلى اتباع أساليب شتى للحفاظ على مصالحها الحيوية التي خاضت الحرب من أجلها . فتقلبت سياستها الإدارية في العراق تقلبات عديدة ، وارتدت أثواباً مختلفة كان من طابعها سياسة العنف والقوة والتي كانت أحد الأسباب المهمة لقيام ثورة العشرين التي طويت تحت زخمها الإدارة البريطانية المباشرة . حيث وجد البريطانيون أنفسهم مجبرين على ممارسة سياسة إدارية مختلفة ، لذلك أخذوا يخططون لمرحلة جديدة من مراحل الإدارة غير المباشرة والحكم المستتر في أعتاب تشكيل الحكومة المؤقتة وتتويج الملك فيصل الأول .



Baghdad city under the British occupation
(1917 – 1921)

A historical study

A thesis put forward

By

Ayad Tariq Kudhaiyr Al - Dulaimy

To the council of the college of education (Ibn Rushed).
Baghdad university as a part of the requirements for the degree of an M. A. in modern history.

Supervised

By

Dr. Abdul Wahab Abbas Al – Qaysi

2002 A.C. *1423A.H.*

ABSTRACT

This thesis deals with the history of Baghdad city under the British occupation during the period between the years 1917 and 1921. it is an attempt for the study of the general situations in Baghdad during that important period in the Contemporary Iraqi history. the search includes a preface, an introductory part, four chapters and a conclusion.

The introductory part has dealt with the intention of Britain to occupy Iraq, the first chapter deals with the British occupation of Baghdad. I have taken as a starting point the stage beyond the Kut siege, the second chapter has presented the British administration for the city of Baghdad. It includes the administrative procedures , in the city and the chapter also traced the social and economic situations in the city. The third chapter deals with educational , health cultural services , taxes , agricultural , industrial , and commercial situation during the occupation years .

The fourth chapter in this study deals with the role of the national movement in Baghdad City in resisting the British occupation, it included the following topics: the attitude of Baghdad Towards the beginning of the British aggressive campain ageins Iraq, the British promises regarding its future and the role of Baghdad population in the Revelation of the 1920, in addition to Baghdad attitude towards the future political regime in Iraq.

The study has depended on a number of reference books and resources which are Arabic and foreign languages , Among the most important reference

were the published and non- published documents including those documents found in the files of Royal palace and the documents of the British occupation addition to the files of the British Foreign Affairs. The most important published documents are the British administrative reports for Baghdad Wilayat, whose title is (Administration report of the Baghdad Wilayat 1917).

I have depended also on some of the Translated books such as the books of " Philip Ireland" whose title is " Iraq, a study of its political Development" and the books of Sir Arnold Wilson whose title is (Mesopotamia between two Loyalties).

The study has Made use of many newspapers such as "AL-Arab newspaper", an official newspaper which enriched the study with a great deal of information.

The thesis does not claim perfection and if there is a defect, We may say: " perfection is for Allah alone, from him alone we seek help and support".

قائمة المصادر والمراجع

أولا – الوثائق غير المنشورة :

١) وثائق الاحتلال البريطاني :

أ- الاحتلال البريطاني / الإدارة الملكية المركزية ، الملفة ٢/٦١ .

ب- الاحتلال البريطاني / الإدارة الملكية المركزية ، الملفة ٢/١٥٨ .

جـ- الاحتلال البريطاني / بلدية بغداد ، الملفة ٢/٧٤٥ .

د- الاحتلال البريطاني / بلدية بغداد ، الملفة ٢/٨٥٦ .

هـ- الاحتلال البريطاني / بلدية بغداد ، الملفة ٢/١٧٣ .

و- الاحتلال البريطاني / التقارير ، الملفة ٢/٧٥٧ .

ز- الاحتلال البريطاني / كشف حسابات الواردات ، الملفة ٢/١٠٠٥ .

٢) وثائق البلاط الملكي :

أ- البلاط الملكي / الديوان / الملفة ٣٢٠٥٠/٢٣١٨ .

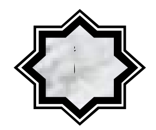
ب- البلاط الملكي / الديوان ، قانون الأحوال المدنية لعام ١٩١٨ ، الملفة ٣٢٠٥٠/٦٦١ .

٣) وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F. O.) :

A- F. O. : 371/603/3407 . X/M 07739 .
B- F. O. : 371/603/3407 . X/M 07803 .

٤) وثائق وزارة الحرب البريطانية (W. O.) :

A- W. O. : 32/533/520 . X/M 02205 .
B- W. O. : 5227/538/5227 . X/M 02205 .
C- W. O. : 32/540/5745 . X/M 02205 .



ثانياً : الوثائق المنشورة :

١) قانون البلاد العراقية المحتلة (المؤرخ في البصرة في الأول من آب ١٩١٥) .

٢) مجموعة البيانات والإعلانات الصادرة من القائد العام للقوات البريطانية في العراق (من ١١ آذار سنة ١٩١٧ إلى ٣٠ أيلول ١٩٢٠) بغداد ، مطبعة دنكور ، ١٩٣٦ .

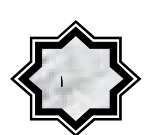
3) Administration Report of the Baghdad wilayat , 1917 .

4) Annual Report Baghdad division , 1919 .

5) Administration Report of the department of agriculture in Mesopotamia , for the year 1920 .

6) Compilation of proclamations , Notifications , ETC . Relating to the civil administration and to Inhabitants of Mesopotamia. From . 1st September , 1919 to 30th September , 1920 .

7) Report , Iraq administration . April , 1922 – march , 1923 .



ثالثا – الرسائل الجامعية :

١) إبراهيم خليل أحمد ، تطور السياسية التعليمية في العراق بين سنتي ١٩١٤ – ١٩٣٢ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٧٩ .

٢) إسماعيل نوري ميسر الربيعي ، تاريخ العراق الاقتصادي في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢١ – ١٩٣٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) / جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .

٣) أنور علي الجبوري ، دور المثقفين في ثورة العشرين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .

٤) خلف جابر الجابري ، تاريخ التطور الصحي في العراق ١٩١٤ – ١٩٣٢ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة البصرة ، ١٩٨٩ .

٥) علي ناصر حسين ، الإدارة البريطانية في العراق من ١٩١٤ – ١٩٢١ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩١ .

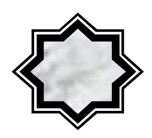
٦) علي حمزة سلمان ، تطور الخدمات البريدية في العراق ١٩٢١ – ١٩٤٥ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .

٧) عباس ياسر الزيدي ، تاريخ الصحافة العراقية منذ نشوئها حتى سنة ١٩٣٦ ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب / جامعة عين شمس ، ١٩٧٥ .

٨) علي خليل أحمد البياتي ، الأوضاع الاقتصادية في العراق ١٩٣٢ – ١٩٣٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .

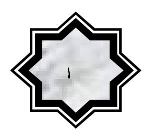
٩) كريم حيدر جبور ، نشأة الشرطة العراقية وتطورها ١٩٢١ – ١٩٣٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩٣ .

١٠) سؤدد كاظم مهدي ، أرنولد ولسن ودوره في السياسة العراقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب / جامعة بغداد ، ١٩٩٥ .



رابعا – الكتب العربية :

١) أمين المميز ، بغداد كما عرفتها ، ط١ ، مطابع دار آفاق عربية ، ١٩٨٥ .
٢) أحمد زكي الخياط ، تاريخ المحاماة في العراق ١٩٠٠ – ١٩٧٢ ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٧٣ .
٣) أحمد سوسه ، أطلس بغداد ، بغداد ، مطبعة مديرية المساحة العامة ، ١٩٥٢ .
٤) أحمد رفيق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ، ١٩٢٢ – ١٩٣٢ ، بغداد ، دار الطليعة ، ١٩٨٠ .
٥) أنستاس ماري الكرملي ، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا ، البصرة ، ١٩١٩ .
٦) باقر أمين الورد ، بغداد (حلفاؤها ، ولاتها ، ملوكها ، رؤسائها) منذ تأسيسها عام ١٤٥هـ (٧٦٢م) إلى عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) ، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري .
٧) د . جميل موسى النجار ، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد ، ط٢ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠١ .
٨) حارث يوسف غنيمة ، السياسي والأديب يوسف غنيمة ، بغداد ، دار الحرية ، ١٩٩٠ .
٩) حسين جميل ، العراق (شهادة سياسية ١٩٠٨ – ١٩٣٠) ، لندن ، دار اللام ، ١٩٨٧ .
١٠) خيري أمين العمري ، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث ، ط١ ، بغداد ، مطبعة دار القادسية ، د . ت .
١١) د . رجاء حسين الخطاب ، عبد الرحمن النقيب (حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه) ، ط١ ، بغداد ، الدار العربية للطباعة ، ١٩٨٤ .
١٢) رفائيل بطي ، صحافة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ج١ .
١٣) د . رأفت الشيخ ، في تاريخ العرب الحديث ، ط٤ ، ١٩٨٣ .
١٤) د . زكي صالح ، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ ، بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٣ .



١٥) سلمان بيات ، القضاء الجنائي العراقي ، بغداد ، دار دجلة للطباعة ، ١٩٤٧ ، ج١ .

١٦) سليمان فيضي ، مذكرات سليمان فيضي (في غمرة النضال) ، ط٢ ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٤ .

١٧) سعدون حمادي وآخرون ، دور التعليم في الوحدة العربية (بحوث ومناقشات ووقائع الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية) ، ط٤ ، ١٩٨٧.

١٨) سعيد عبود السامرائي ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العراقي ، ط١ ، النجف ، مطبعة النهضة ، ١٩٧٣ .

١٩) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٦٠ .

٢٠) شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٨ ، ط٣ ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٤ .

٢١) ----------- ، الجيش الروسي في حرب العراق ، ١٩١٤ – ١٩١٧ ، ط٢ ، بغداد ، مطبع دار التضامن ، ١٩٦٧ .

٢٢) شهاب أحمد الحميد ، تاريخ الطباعة في العراق ، بغداد ، مطبعة دار الساعة ، ١٩٧٦ ، ج١ .

٢٣) طه مكي ، تاريخ بغداد الحديثة ، بغداد ، مطبعة دنكور ، ١٩٣٥ .

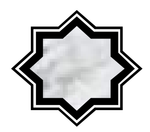
٢٤) طه الهاشمي ، حرب العراق ، ط٢ ، بغداد ، مطبعة النجاح ، ١٩٣٦ ، ج١.

٢٥) طالب مشتاق ، أوراق أيامي ، ط٢ ، بغداد ، الدار العربية للطباعة ، ١٩٨٩ ، ج١ .

٢٦) عبد الرزاق الحسني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، سوريا ، مطبعة العرفان ، ١٩٣٥ ، ج١ .

٢٧) ------ ، الثورة العراقية الكبرى ، ط٦ ، بغداد ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٢ .

٢٨) ------ ، تاريخ العراق السياسي ط٧ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٩ ، ج١ .



٢٩) عبد الرحمن البزاز ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، ط٣ ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٧ .

٣٠) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، مطبعة الشعب ، ١٩٧٤ ، ج٤ ، ج٥ .

٣١) عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة ، ط١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ،١٩٦٠.

٣٢) عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، بغداد ، مطبعة النجاح ، ١٩٥٣ .

٣٣) ---------- ، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ، ١٩١٤ – ١٩٢١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٧٥ .

٣٤) عبد العزيز القصاب ، من ذكرياتي ، ط١ ، بيروت ، مطبعة فضول،١٩٦٢.

٣٥) د . عبد المجيد التكريتي ، الملك فيصل ودوره في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ – ١٩٣٣ ، ط١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العام ،١٩٩١ .

٣٦) عباس بغدادي ، بغداد في العشرينات ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٠ .

٣٧) علي البزركان ، فصول من تاريخ التربية والتعليم في العراق ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٢ ، مجلد ٢ .

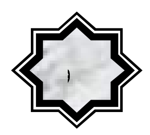
٣٨) -------- ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، ط٢ ، بغداد ، مطبعة الأديب ، ١٩٩١ .

٣٩) حسان علي البزركان ، نقلاً عن والده علي البرزكان من أحداث بغداد وديالى أثناء ثورة العشرين في العراق (قراءة جديدة) ، بغداد ، المطبعة العربية ، ٢٠٠٠ .

٤٠) د . عماد عبد السلام رؤوف ، التاريخ والمؤرخون العرب في العصر العثماني ، ط١ ، بغداد ، دار واسط للطباعة ، ١٩٨٣ .

٤١) د . عبد الرحمن الجليلي ، محاضرات في اقتصاديات العراق ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٥ .

٤٢) عبد الله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، ط١ ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٦٣ .



٤٣) عبد الرزاق محمد أسود ، موسوعة العراق السياسية ، ط١ ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٦ ، مجلد ٢ .

٤٤) د . عبد الأمير هادي العكام ، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ – ١٩٣٢ ، النجف ، ١٩٧٥ .

٤٥) غانم سعيد العبيدي ، التعليم الأهلي في العراق ، بغداد ، مطبعة الإدارة المحلية ، ١٩٧٠ .

٤٦) فاروق صالح العمر ، حول سياسية بريطانيا في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١ ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٧٧ .

٤٧) فاروق الحريري ، الحرب العالمية الأولى (دراسة عسكرية) ، ط١ ، بغداد ، مديرية المطابع العسكرية ، ١٩٨٨ ، ج١ .

٤٨) د . فاضل البراك ، المدارس اليهودية والإيرانية في العراق ، بغداد ، ١٩٨٤ .

٤٩) فائق بطي ، صحافة العراق (تاريخها وكفاح أجيالها) ، بغداد ، مطبعة الأديب ، ١٩٦٨ .

٥٠) فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، بيروت ، مطابع دار صادر ، ١٩٦٧ ، ج٤ .

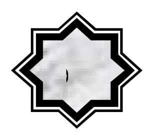
٥١) كاظم الدجيلي ، أحداث ثورة العشرين كما يرويها شاهد عيان ، بغداد ، مطبعة الزمان ، ١٩٧٣ .

٥٢) د . كمال مظهر أحمد ، صفحات من تاريخ العراق المعاصر ، ط١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٧ .

٥٣) كمال الجبوري ، عبد المجيد كنه (أول شهيد عراقي شنقته السلطة المحتلة أيام الثورة العراقية الكبرى في ٢٥ أيلول ١٩٢٠) ، بغداد ، مطبع التفيض الأهلية ، ١٩٥١ .

٥٤) محمد أمين العمري ، تاريخ حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٨ ، بغداد ، مطبعة النجاح ، ١٩٣٥ ، مجلد ١ .

٥٥) محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، بغداد ، المطبعة العصرية ، ١٩٢٥ ، مجلد ١ .



٥٦) محمد عبد القادر حاتم ، حملة العراق ١٩١٤ – ١٩١٨ ، مصر ، دار عزت خطاب ، ١٩٥١ .

٥٧) محمد مهدي البصير ، تاريخ القضية العراقية ، تقديم غسان العطية ، ط٢ ، لندن ، ١٩٩٠ .

٥٨) محمد صالح السهرودي ، لب الألباب ، ط١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٣٣ ، ج٢ .

٥٩) محمد عبد الحسين ، المعارف في العراق على عهد الاحتلال ، مصر ، المطبعة الرحمانية ، ١٩٢٢ .

٦٠) د . محمد سلمان حسن ، التطور الاقتصادي في العراق ، بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة ، ١٩٦٥ .

٦١) مجيد خدوري ، أسباب الاحتلال البريطاني للعراق ، الموصل ، مطبعة الشعب ، ١٩٣٣ .

٦٢) محمود العبطة ، بغداد وثورة العشرين ، بغداد ، مطبعة الشعب ، ١٩٧٧ .

٦٣) نديم عيسى ، الفكر السياسي لثورة العشرين ، ط١ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٢ .

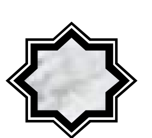
٦٤) د . هاشم الوتري و د . معمر خالد الشابندر ، تاريخ الطب في العراق ، بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٣٩ .

٦٥) هادي طعمة ، الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية ١٩١٤ – ١٩٢١ ، بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٤ .

٦٦) د . وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، ط٢ ، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٥ .

٦٧)يوسف رزق الله غنيمة ، تجارة العراق قديماً وحديثاً ، ط١ ، بغداد ، مطبعة العراق ، ١٩٢٢ .

خامساً – الكتب المترجمة :



١) آرنولد ويلسن ، الثورة العراقية ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١ .

٢) آرنولد ويلسن ، بلاد ما بين النهرين بين ولائين ، ترجمة فؤاد جميل ، ط٢ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٢ .

٣) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، طبع بمساعدة وزارة التربية والتعليم ، ١٩٧١ .

٤) المس بيل ، العراق في رسائل المس بيل ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٧ .

٥) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة د . ناصر الدين الأسد و الدكتور إحسان عباس ، ط٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ .

٦) ريجارد كوك ، بغداد مدينة السلام ، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل ، ط١ ، بغداد ، مطبعة شفيق ، ١٩٦٧ ، ج٢ .

٧) ستيفن همسلي لونكريك ، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ – ١٩٥٠ ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ط١ ، بغداد ، مطبعة حسام ، ١٩٨٨ ، ج١ .

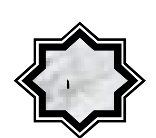
٨) شارل عيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠٠ – ١٩١٤ ، ترجمة د . رؤوف عباس حامد ، منشورات مركز الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٠ .

٩) فيليب ويلارد إيرلند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٤٩ .

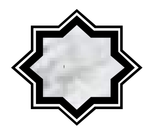
١٠) ل . ن . كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة عبد الواحد كرم ، بغداد ، ١٩٧١ .

١١) تشارلس طاوزند ، محاربتي في العراق ، ترجمة عبد المسيح وزير ، بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٢٣ .

١٢) هنري فوستر ، نشأة العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ط١ ، بغداد ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩ ، ج١ .



١٣) كاثلين أم . لانكلي ، تصنيع العراق ، ترجمة د . محمد حامد الطائي و د . خطاب صكار العاني ، بغداد ، مطبعة دار التضامن ، ١٩٦٣ .
١٤) ونفردنن ، معارك السفن الحربية على ضفاف دجلة ، ترجمة فخري عمر ، ط١ ، بغداد ، مطبعة دنكور ، ١٩٣٨ .
١٥) صفحة من تاريخ العراق الحديث من سنة ١٩١٤ – ١٩٢٦ ، تكوين الحكم الوطني في العراق ، مذكرتان خطيرتان ، الأولى بقلم السر برسي كوكس والثانية بقلم السر هنري دوبس ، ترجمة بشير فرجو ، الموصل ، ١٩٥١ .



سادساً – المصادر الإنكليزية :

1) Moberly . F. J. , official history of the war , The campaign in Mesopotamia 1914 – 1918 , Vols 4 , London , 1923 – 1927 .

2) George Buchanan (The Tragedy of Mesopotamia) , London , 1938 .

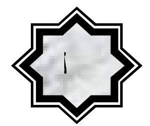
3) Barkers (The Neglected War) , London , 1967 .

4) Edmund Candler (The long road to Baghdad) , Vol. 2 , London , 1919.

5) Magor (Temp. Lt. Col.) , A Brief outline of the campaign Mesopotamia , 1914 – 1918 , London , 1926 .

6) Tomas Lyell , The Ins and outs of Mesopotamia , London , 1923 .

7) Ghassan . R. Atiyyah , Iraq : 1908 – 1921 , Asocio – Political study , Beirut , 1973 .



سابعاً - البحوث والمقالات :

١) إبراهيم حلمي ، الطباعة في دار السلام والنجف وكربلاء ، مجلة لغة العرب ، مجلد ٢ ، العدد ٧ ، كانون الثاني ، ١٩١٣ .

٢) بهنام فضيل عفاص ، تاريخ الطباعة العراقية منذ نشوئها وحتى الحرب العالمية الأولى ، مجلة المورد ، مجلد ١٢ ، العدد ٢ ، ١٩٨٣ .

٣) د . خالد حبيب الراوي ، الصحافة في ظل الاحتلال البريطاني للعراق ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٦ ، حزيران ، ١٩٩٢ .

٤) د . عبد الأمير هادي العكام ، الحركة الوطنية في بغداد ١٩١٨ – ١٩٢٠ ، بحث ضمن كتاب (ندوة بغداد في كلية التربية) ، تأليف نخبة من أساتذة التاريخ ، بغداد ، دار الحكمة للطباعة ، ١٩٩٠ .

٥) د . محمد مظفر الأدهمي ، مفاهيم خاطئة في تدوين تاريخ العراق خلال الانتداب البريطاني ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٦ ، حزيران ، ١٩٩٣ .

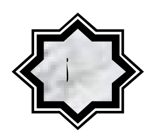
٦) د . محمد مظفر الأدهمي ، النخبة العراقية وحركة التحرر العربي ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١ ، كانون الثاني ، ١٩٩١ .

٧) نجدة فتحي صفوة ، مس بيل والثورة العراقية ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٢ ، آب ، ١٩٨٣ .

٨) كامل سلمان الجبوري ، ٦٣ عاما على حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٥ ووثائقه التي لم تنشر ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١٠ ، حزيران ، ١٩٧٨ .

٩) د . وميض جمال عمر نظمي ، شيعة العراق وقضية القومية العربية (الدور التاريخي قبل الاستقلال) بحث ضمن كتاب : (دراسات في القومية العربية والوحدة) ، تأليف نخبة من الباحثين ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٢ .

١٠) علي كاشف الغطاء ، دور الدبلوماسية البريطانية في تغلغل النفوذ البريطاني في العراق في العهد العثماني ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٥، أيلول – تشرين الأول ، ١٩٩٧ .



١١) د . نوري عبد الحميد خليل ، الحصار البريطاني على العراق في الحرب العالمية الأولى ، مجلة آفاق عربية ، العدد ١ – ٢ ، كانون الثاني – شباط ١٩٩٥ .

ثامناً – الصحف : (بغداد ، العراق) .

ت	اسم الصحيفة	السنوات
١	صدى بابل	١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٣ ، ١٩١٤
٢	صدى الإسلام	١٣٣٣هـ ، ١٣٣٤هـ
٣	العرب	١٩١٧ ، ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠
٤	الأوقات البصرية (البصرة)	١٩١٧
٥	العراق	١٩٢٠ ، ١٩٢١
٦	الشرق	١٩٢٠
٧	الاستقلال	١٩٢٠
٨	الفرات	١٣٣٩هـ
٩	دجلة	١٩٢١
١٠	لسان العرب	١٩٢١
١١	الفلاح	١٩٢١
١٢	الإخاء الوطني	١٩٣١

تاسعاً – المجلات : (العراق ، بغداد) :

ت	اسم المجلة	السنوات
١	لغة العرب	١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣
٢	المورد	١٩٨٣
٣	آفاق عربية	١٩٨٣ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٢ ، ١٩٩٣ ، ١٩٩٥ ، ١٩٩٧

